مجموعه آثار ابن خفیف شیرازی

نشر نگاه معاصر

مجموعه آثار ابن خفیف شیرازی

جلد دوم

تصحیح، تحقیق و ترجمه
معین کاظمی‌فر
(دانشگاه شیراز)

پیشگفتار
فلورین زوبیروی
(دانشگاه شیلر آلمان)



نشر نگاه معاصر

مجموعه آثار ابن‌خفیف شیرازی
(جلد دوم)

تصحیح، تحقیق و ترجمه: معین کاظمی‌فر
پیشگفتار: فلورین زوبیروی

نگاه معاصر

ناشر: نشر نگاه معاصر (وابسته به مؤسسه پژوهشی نگاه معاصر)
مدیر هنری: باسم رسام
حروفچینی و صفحه‌آرایی: اُمید مقدس
لیتوگرافی: نوید
چاپ و صحافی: نادر
نوبت چاپ: یکم، ۱۴۰۱
شمارگان: ۷۰۰
قیمت: هزار تومان
شابک:

نشانی: تهران ـ مینی‌سیتی ـ شهرک محلاتی ـ فاز۲ مخابرات ـ بلوک ۳۸ ـ واحد ۲ شرقی
تلفن: ۲۲۴۴۸۴۱۹ / پُست الکترونیک: Negahe_moaser94@gmail.com | اینستاگرام: nashr_negahemoaser

سرشناسه :	
عنوان و نام پدیدآور :	
مشخصات نشر :	
مشخصات ظاهری :	
شابک :	
وضعیت فهرست نویسی :	
یادداشت :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
موضوع :	
شناسه افزوده :	
شناسه افزوده :	
شناسه افزوده :	
شناسه افزوده :	
رده بندی کنگره :	
رده بندی دیویی :	
شماره کتابشناسی ملی :	

فهرست مطالب

مُعتَقَد ابن الخفيف[1]

قال الشيخ الكبير ابو عبدالله محمد بن الخفيف قدس الله سرّه هذا معتقدی و معتقد الائمة السادة و العلماء الصيد القادة الذين قبلی و فی زمانی مـن أهـل السنة و الجماعة.

الحمد لله الذی هدانا السبل و انزل الينا الكتب و منّ علينا بالرسـل و بـيّن الاثار و السنن و فصّل الايات و السُـور فحـذر و انـذر و نهـی و امـر و حـرّم و حرّض و زجر و جعلها عظةٌ لمن اتّعظ و عبرة لمن اعتبـر و للـه الحمـد أوّلا و اخراً و ظاهراً و باطناً و الصلوة علی خير خلقه محمد المصطفی و آله الطيبين الاخيار.

أمّا بعد فان العاقل مَن صحّح اعتقاده عدّةً للقاء ربّـه و أخلـص نيتـه تزكيـةً لأعماله و احسن عبادة ربّه ذخراً لميعاده و علم انه لم يخلق عبثـاً و لـم يتـرک سُدیً فيجتهد فی توثيق عری دينه و تصفية عمله و تصحيح عبادتـه فيـه يـتم و يصفوا و يزيد و ينموا و الله الموفق لسبل الرشاد و لما يحبّ و يرضی.

فاول ما يحتاج اليه العبد اعتقاده التوحيد ليتمّ به ساير الاعمـال فيعتقـد ان

---

۱. اين رساله را مرحوم آنماری شيمل در ذيل کتاب سيرت شيخ کبير تاليف ابوالحسن ديلمی منتشر کرده است. نگاه کنيد به: ديلمی، ابوالحسن(۱۳۶۳). سيرت شيخ کبير ابو عبدالله بن خفيـف شـيرازی، ترجمه يحيی بن جنيد شيرازی، تصحيح آنماری شيمل، به کوشش توفيـق سـبحانی، تهـران: انتشـارات بابک.

الله واحد لا من حيث العدد و لا كالاحاد و انه شئ لا كالاشياء و انه لا شبه له من خلقه و لا ضدّ له فى ملكه و لا ند له فى صنعه و لا هو جسم و لا عرض و لا جوهر و ليس بمحلّ الحوادث و لا الحوادث محلّ له و لا حالّ فى الاشياء و لا الاشياء حالّة فيه و لا يتجلىّ فى شئ و لا استتر بالحدث و انه العالم بما كان و بما يكون و بما لا يكون لو كان كيف يكون.

و يعتقد انه كان و لا شئ معه و انه عالم و لا معلوم و قادر و لا مقدور وراء و لا مرئى و رازق و لا مرزوق و خالق و لا مخلوق والعلم غير الرؤية و انه يرى الأشياء موجودةً و يعلمها معدومةً و المعدوم ليس بمرئى و لا هو شىء و الصفة لا هى الموصوف بل هو معنىً فى الموصوف قايم بالموصوف و هو عالم بعلم و قادر بقدرة و الاسماء و الصفات مأخوذة من السمع اما ما وصف الله به نفسه او وصف به رسوله او اجمع المسلمون على صفته لا توخذ أسماءه تلقيباً و لا قياساً و الاسم و الصفة ليسا مخلوقين و كلام الله تعالى منه و اليه مسموع و مكتوب و محفوظ و متلوّ و مدروس.

و يعتقد انه على عرشه استوى و انه ينزل إلى سماء الدنيا عند الاسحار بمعنى الصفة لا بمعنى الانتقال و انه خلق آدم عليه السلام بيده لا بيد قدرته بل بيد صفته و هكذا جميع الاخبار الصحيحة التى رويت فى الصفات يعتقده ايماناً و تسليماً لا مقايسةً و لا مناقشةً و يعتقد انه تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامّون فى رؤيته من غير احاطة و لا تحديد إلى حدّ مستقبل او مستدبر او فوق او تحت او يمينه او يسرة و يعتقد انه تعالى فعّال لما يريد لا ينسب إلى الظلم و انه يحكم فى ملكه كيف يشاء بلا اعتراض و لا مردّ لقضائه و لا معقب لحكمه.

و يعتقد انه تعالى و يقرب من يشاء بغير سبب و يبعّد من يشاء بغير سبب؛ ارادته فى عباده ما هم فيه و برضاه طاعتهم و المعصية بمراده لا برضاه و يعتقد انه يعطى و يمنع و يذم و يمدح و يعتقد ان الافعال لله تعالى لا للخلق و الاكتساب للخلق و الاكتساب خلق الله لا خلق لهم و ان الاشياء لا تعمل

بطبعها فلا الماء يروى و لا الخبز يشبع و لا النار تحرق بل يحدث الله تعالى الشبع عند الاكل و الجوع فی غیر وقت الاكل و هكذا الشرب من الشارب و الریّ من الله تعالی و القتل من القاتل و الموت من الله تعالى لا يدركه الوهم و لا يحيط به العلم و لا ينعته العقل هو الواحد الاحد الصمد الفرد له الاسما الحسنی و الصفات العُلی له الحكم فی الاخرة و الاولى و له الحمد و الشكر و الثناء و المجد.

فصل

ثم يعتقد ان النبوة حق و انّها الحجة على الخلق القاطعةَ للعذر و انَ نبينا محمداً صلى الله عليه و سلم خير الانبياء و المرسلين و خاتم النبوة لا نبی بعده طاعته فرض و مخالفته كفر و امره ختم الا ما قام به دليل ندبة و افعاله سنة و يعتقد انه ليس كأحدنا فی جمع معانيه و انه قد اطلع على علوم لم يدع الخلق اليها و إنه العالم بما كان و ما يكون و اخبر عن علم الغيب و انه رفع فی المعراج لا رؤيا و انه رأى ربّه عزّوجلّ و كلّمه و اوصاه و فرض عليه و اباح له و انه رأى الانبياء عليهم الصلوة و السلام و دخل الجنة و رأى النار و أنه سأل فأعطى و قال فسمع و انه أول شافع و انه أول من يقوم من القبر و انه أول من يدخل الجنة و انه بعثه الله تعالى إِلى الجن و الإنس كافة و ان شريعته نسخت الشرايع التی قبله و انه بلّغ الرسالة و نصح الامة و انه غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و فرض الله عليه اشياء دون امته و حظر عليه اشياء أباحها على غيره كل ذلک اكراماً له صلّى الله عليه و على آله و صحبه.

فصل

يعتقد ان الايمان هو صفة المؤمن و التوحيد صفة الموحد و المعرفة صفة العارف و المحبة صفة المحب كما انّ العلم صفة العالم و القدرة صفة القادر و الايمان قول و عمل و نية يزيد و ينقص و انه نور يقذف فی القلب لا نور

الذات و الایمان غیر الاسلام و التوحید غیر المعرفة و المعرفة غیر الایمان و یعتقد ان معرفة الاثبات للصانع ضرورة و معرفة الصفات مکتسبة و معرفة التخصیص موهبة و اصل الایمان موهبة و شرایطه مکتسبة و یعتقد ان الایمان و التوحید و المعرفة ظاهر و حقیقة و انه تعالی دعا الخلق إلی ظاهرها و هدی من شاء لحقیقتها و کل مؤمن مسلم و لا کل مسلم مؤمن.

و یعتقد ان الاستطاعة مع الفعل و ان نعیم أهل الجنة باقٍ مع بقاء الله تعالی و عذاب أهل الکفر باقٍ مع بقاء الله تعالی و المؤمنین یخرجون من النار و الکبائر لا تخلّد فاعلها فی النار و یعتقد ان الله تعالی لا یجبر عباده علی معصیة و انه لا یدخل الجنة احد بعمله الا بفضله و رحمته و منّه و یعتقد ان الجنة حق و النار حق و البعث حق و الحساب حق و المیزان حق و الصراط حق و عذاب القبر حق و سؤال منکر و نکیر حق و یعتقد ان خیر الناس بعد رسول الله صلی الله علیه و سلم ابوبکر ثم عمر ثم عثمان ثم علی رضوان الله علیهم اجمعین.

و یعتقد ان خیر القرون ما بعث فیه النبی علیه الصلوة و السلام ثم الصحابة ثم التابعون ثم الافضل بالاعمال و من رأینا منه فضلا شهدنا له به و یعتقد انّ من شهد شهادتین و صلی إلی القبلة و آتی الزکوة و صام شهر رمضان و حجّ البیت لم نشهد له بالجنة و لا بالنار و لا نشهد علیه بالکفر الا علی معنیً من معانی الکفر و وجه من وجوهه مثل قوله الله تعالی: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»(۳:۹۷) و من لم یحجج فلیس بکافر و یصلی خلف کل برّ و فاجر و یطیع الوالی و لو کان عبداً حبشیّاً و یعتقد ان اخبار الاحاد توجب العمل و لا توجب العلم و اخبار التواتر توجب العلم و العمل؛ العقل لا یحسّن و لا یقبح بل الشرع یحسّن و یقبّح و الشرع حاکم علی العقل و الناس علی العدالة حتی یظهر الجرح و الاشیاء علی الاباحة حتی یقوم دلیل الحظر و اموال المسلمین و ذبایحم حلال الا ما روینا فیه التحریم.

فصل

و نذكر فی الفصل الرابع ما يختص بـه هـذه الطبقـة اعنـی الصـوفية دون غيرهم و يعتقد ان الفقر افضل من الغنی و الزهد فـی الكليـة افضـل منـه فـی البعض و الوصول إلی الحق من غير طريق العبادة محال و الرؤية فی دار الدنيا محال و النبوة اجلّ من الولاية و لا يُبلغ إلی درجة النبـوة بالعمـل و المعجـزة للانبياء و الكرامة للاولياء و الفراسة كسب و المحدّث و المكلّم غير صـاحب الفراسة و الحّرية من رق العبودية باطلة و من رق النفوسية جايزة و العبوديـة لا تسقط بحال و الصفات من العارفين تفنی و من المريدين تخمد و الرجوع بعد الوصول جائز.

و يعتقد ان العبد ينقل فی الاحوال حتی يصير إلی نعـت الروحانيـة فـيعلم الغيب و تطوی له الارض يمشی علی المـاء و يغيـب عـن الابصـار و السُـكر للمريدين حق و للعارفين باطل و غلبـات الحـق علـی سـاير الخلـق جـايز و الاحوال للمتوسطين و المقامات للعارفين و الشدة للمريدين و الصحو افضـل من السكر و الاماد أفضل من الاصطام و دخول العارف فی الاشياء غيـر قـادح فی حاله و اذا صحّ التوكل لم يضر الادّخار و يعتقد ان عصـيان الانبيـاء سـبب لقربتهم و فوايد لامتهم و لا يسمون عصاة بعصيانهم بل نقـول عصـی آدم و لا نقول هو عاصٍ.

و يعتقد انّ التصوف ليس بعلم و لا عمل بـل هـو صـفة يتجلّـی بهـا ذات الصوفی و له علم و عمل و هو ميزان العلم و العمـل و التصـوف غيـر الفقـر و التقوی غير التصوف و ليس للفقير ان يتصرف فی الاسباب و للصوفی التصرف و الاحوال لا نهاية لها و لكـل حـال نهايـة فـی الحـال و المعرفـة و الايمـان و التوحيد ليس باحوال و الوجود ليس بحال و هو مصحوب العبد فی الاحـوال و معرفة المعترفين غير معرفة المعرّفين و السـماع للعـارفين جـايز و للمريـدين باطل و ليس هو بحال و لا قربة و تركه اولی علی الجملة لكثـرة آفاتـه و عظـم فتنته و يعتقد ان جميع ما يجده الواجد فهو واجد لا غير و الحق من وراء ذلک

و من سمع بالله کفر و من سمع بمخلوق بمعنی النفوسیة فسق و یعتقد ان الواجد المحقق محفوظ و أهل الغلبات یجری علیهم ما یفوتهم به الواجبات فان فاقوا عادوا و ان مضوا فی سکوتهم عذروا و الشیطان لا یعلم ما فی قلب العبد و لیس له سوی الوسوسة شئ.

و یعتقد ان النفس غیر الروح و الروح غیر الحیوة و الروح یفارق الجسد اذا نام و الحیوة لا یفارقه الا اذا مات و هي مخلوقة و هذا کله ما حضر الوقت و فیه مقنع لک إن شاءالله تعالی و لکن بعد ذلک اعتقادک فی الناس الخیر و النصح و الامانة و احذر فیهم الغدر و الخیانة فهو طباعهم و اعتقد فی نفسک السوء و العداوة و فی الشیطان العصیان و المخالفة حتی تنجوا منها و اعتقد فی مولاک الفضل و المنة و حسّن الظن و الرجا آخر عهدک بالاخرة فهو لا یخیب رجاءک و لا یقطع أملک و صلی الله علی خیر خلقه محمد و علی آل و صحبه و سلم.

فضل التصوّف على المذاهب[1]

بسم الرحمن الرحيم

و به الثقة

کتابٌ فیهِ فَضلُ الْتّصوّف عَلی سائر الْمذاهِب ممّا صنّفَهُ الشیخ أبو عبدالله محمد بن خفیف رحمة الله علیه.

قال: الحمدللهِ المنفرد باسمائه السنیّة قبل وجودِ البریة وَ المُظْهِر فی کلامه ما هوَ مُسْتحقٌ من صفاتِهِ النّاشر فَضلِهِ علی من اعْتصَمَ بِفضلِهِ و الّداعی لِلمُعرضینَ عنهُ بِما اَسبَلَ عَلَیهم مِن ستره اللطیف بالعُصاة حین لَم یُغَافصهم بعذابِهِ و اَمهلُم إلی وقتِ لقائه و صلی الله علی آدمَ بَدیع فِطرَته و لِسان قُدرته و امام ملائکتِهِ و علی محمد صاحب لواء حمده وَ المأذون فی القیامةِ بِسجدَته و علی آلِهِ الطاهرینَ من انسابه و علی جمیع المهاجرینَ و أنصاره و علی امَّتِهِ فی جمیع امصارِهِ.

امّا بعد فانّی طالعتُ أوصافَ أهل المذاهبِ من القائلینَ بالسّنةِ و المتبعین لرسولهِ صلی اللهُ علیهِ و سَلَّم منَ الامِمِ فَرأَیْتهمْ علی طبقاتٍ مختلفاتٍ فَهم فی

---

۱. این رساله را فاطمه علاقه و کاظم برگ نیسی تصحیح و در مجله معارف منتشر کردند. نگاه کنید به: ابن خفیف(ابوعبدالله بن محمد)(۱۳۷۷). "فضل التصوف علی المذاهب"، تصحیح فاطمه علاقه و کاظم برگ نیسی، مجله معارف، دوره پانزدهم، شمارهٔ یک و دو، فروردین . آبان.

الاصل علی اوجه ثلث فطائفةٌ موسومین بطلب الحدیث و حفظها و دراستها و منعَ التحریف من قوم ضلالِ عنها و الثانیة فهم الموسومینَ بالتفقهِ فیها و مراعاتِ اظهار حلالها مِنْ حرامِها و اظهار الخاصّ و العام فیها و رأیتُ المتصوّفَةَ منازلین لها واجدین و الفرق باجْمعهم تقرّبوا إلی الله فیما انتحلوهُ و قَصَدوه فَرأیتُ الصوفیةَ اذا کانوا صادقین و علی حقایق العِلم منازلین و باوصافِه آخذینَ فَهُم اعلی القومِ و اسناهُم منزلة لاِنَّ المدحَ خرج لهم من اَلله و من رسولِه و ذلک ان أهل الحدیثِ و الفقه فهم مخبرینَ عَن رسول الله صلی الله علیه و سلَّم اوصافهُ وَ الفقهاء مثلُ هؤلآء یظهرونَ عنَ اوصافِ العبویة و ما وَرَدَ من الرسول صلی الله علیه و سلَّم کیفیة افعاله و احواله و الفقهاء مخبرینَ عن صحةالاحوالِ و فسادها و کیفیة حقائقها و الزیادة و النقصان فی ذلک و رایت الصوفیة منازلین لها و معارفینَ لِلدخولِ فی تِلک الافعالِ و هم المعروفین بذلک.

فاولی اوصافُ الصوفیة معرفةُ اَسمائه و صفاته و معرفة اوصافُ النّفوسِ و دواعیها و معرفة دواعی الغدو و مکائدها و معرفة الدنیا و اسبابها و کیفیّة الخروج منها و التجافی عنها مَعَ ما الْزموا نفوسهم من عظیم المجاهداتِ و شدید المکابدات و صعوبة الریاضات و ما بذلوا من نفوسهم للهِ بِصحةِ الاجتهاد ممّا کانَ هولاء الْفرق عنها ذاهبین و لذلک غیر فاعلینَ و عَن منازلتها خارجینَ حتّی نقل فی الدّواوینِ صفاتهم و سَطَروا فی الکُتُب افعالهم فیما تحمّلوا من العبادة وَ ابذلوا من المال و الخروج عنها حتّی خرجوا إلی نعتِ الوَرعینَ و اوصافِ الزاهدین و نعت المُنیبین و هُم المعروفین فی کتب العلماء الرّبانیین حتّی نطق بفضلهم النّبی صلی الله علیه و سلَّم و اخبر عَنْ وَصْفِهِم جملةً و متفرقة.

فأوّل الفصل

من صفاتهم اَن رسول الله صلی الله علیه و سلَّم تلا قوله: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ(٣٩:٢٢) فقيل: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ فقال: نور يَقْذَفُ فى القلب فقيل: و هل لذلک من علامة و امارةٍ؟ فقالَ: التجافى عن دارِ الغرور و الانابة إلى دارالخلود و الاستعداد للموت قبل نزول الموت» فاظهَرَ صلى الله سلَّم انَّهُ وصفهُم بانوار هدايتهِ الذّى قال عزَّوجل: «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»(٢٤:٤٠) ثمَّ اخبر انَّ شواهدُ تلک الانوار اذا بدت البس القلوب التجافى عنِ الدّنيا و اسبابها و فارقوا كلّ ما شغلهم عن الله و رفضوا ما فى ايديهم و انفردوا بالواحِد القهار فكانَ اذا خرج فيهم من ظهور آثار ذلک عارف بينهم و كشف عَن صفتهِ حتّى خاطبَ صلى الله عليه و سلَّم رجُلا منَ الانصارِ يُقال لهُ حارثة بن مالک رضى الله عنه فقال: «كيف اصبحت؟ فقال: مؤمنٌ حقّاً» فاستنطقه صلى الله عليه و سلّم و استكشف عن دعواه و عَن حقيقةِ حالِهِ فاوَل ما اخبرَ اَن قالَ: «عزفت نفسى عن الدنيا» و هذِهِ كِلمةٌ تامّةٌ فى اخراج الرغبةَ سراً و علانية ثمَّ اردفهُ ببذل المجهود بعدَ الخروجِ من الدنيا فقال: «فاسهرتُ ليلى و اظْمأتُ نهارى» و ذلک غايةُ بلوغ العبادةِ فيما بَذل من نفسه ثمَّ اخبر عمّا افادهُ اللهُ لِمنْ كانَ بهذه الاحوالِ موصوفة اذا حَضَر عن مشاهِدة القلوب بتحقيق عِلمِ اليقين بفناء كل شاغله و كل ساتر عن الله تعالى و هذا مِن اوائل اوصافِ الصّوفيةِ استعمال الزهدِ و تركِ الدّنيا و بذل الارواحِ لالتماس مرضاه الجبّار و كانَ هذه الحالة منهم لما انشرحت الصدور بانوار الغيوب طالعوا الدُّنيا و مقدارها انَّ الكلَّ لا يزن عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ فمعرفتهم بذلک اراهم إلى ذلک.

و فصل آخر

لمّا سمعوا يقولُ فى صفة الدنيا و سمعوا رسولهُ صلى الله عليه و سلَّم يقولُ مثلُ ذلکَ لما قال: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ»(٣:١٤) و بقوله: «أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ»(٥٧:٢٠) و سمعوه يقول: «فَلَا

تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ»(۳۱:۳۳) و سمعوهُ يقول: «انَّ الله لَم ينظر إلى الدنيا منذ خلقها بُغضاً لها» و يقول: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان من ذكر اللهِ» و قد تقدّم القولُ منهُ فى مقدار ما اذن الحق منها من سدّ الجوعة و ستر العورةَ و بيتٍ يواريه منَ الحرِّ و البرد ثُمَّ يصفُ عليه صلوة و السّلام اذا كان القوم بنعت الآدمية و نعت الانسيّة على اوائل الاشياء قبل ظهور اسمآء الاحوال فيهم فيقول: «لو أنَ لابن آدم وادياً من مال لابتغى اليه ثانياً و لو كانَ لهُ ثانياً لا بتغى اليه ثالثاً و لا يملاءُ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تابَ» ثم اخبر صلى الله عليه و سلَّم انَّ: «لكُل امة فتنةٌ و فتنة امّتى المالُ» فَعرف الصوفية وجوه الفتنة الداخلة على الدين فى اخذها و ان اضلّ ما هلک الامم ممن كان قبلنا لمّا مالوا إلى الدنيا و اخذوها فالقى اللهُ بينهم العداوةَ و البغضاء كما قال عمر رضى الله عنهُ: «سمعتُ النَبى صلى الله عليه و سلَّم: ما فتح اللهُ الدنيا على احدٍ الا القىٰ بينهم العداوةً و االبغضاء» ففهم الصوفيةُ عن رسولِ الله صلى الله عليه و سلّم خطابهُ فعملوا فى تركِ ما يولِدَ عليهمُ الفتنه فاعرضوا عنِ المالِ و قنعوا بالبلغة و سدّ الجوعة خوفاً من الوقوعِ فيها و تعلّقوا بقولِه صلى الله عليه و سلّم: «اذا سددت كلبُ الجوع برغيفٍ و كوزٍ من ماء الفراتِ فعلى الدُنيا الدبار» فلمّا سمعوه عليهِ الصلوة و السّلام يَصفُ الدُنيا بالدبارِ و مَرَّةً باللَعن و مرَّةً بالبغض من اللهِ لَها و مَرَّةً بمقدارُها و لانها لا تَزن جناحَ بعوضَةٍ خافوا اَن يتعلقوا بَها فتصحيهم اللعنة الّتى قال صلى الله عليه و سلّم: «انّها ملعونةُ ملعون ما فيها الا ما كان لله منها خالصاً» و انّ مَن اَحَّبها فقد استحقَّ مِنَ اللهِ ما هُوَ عقوبةً منهُ لهُ و انّ موادّ الرحمة عنهُ مرتفعةٌ و الفوايدُ عنهُ محجوبةُ و البُعد و اعراضُ الحق غير مأمون قصدوا إلى ماخذ لهم ممّا رواهُ عثمان بن عفّانٍ رضى اللهُ عنه عَن النّبى صلى الله عليه و سلْم انَّه قالَ: «ليسَ لاحَد فى هذا المالِ حقٌ الا ما يَستُرُ الرّجُلُ عورتهُ اَو يسدُ جوعتهُ او بيت يواريهُ منَ القرَّ و الحَرِّ» فعلمتِ الصّوفية اسقاطِ المحظوراتِ و فناء الحظوظ و التعلّقِ بالحقوق و اقاموا للهِ على المحدودات

الّتى نَصبَ لهُم صلى اللهُ عليه و سلّم فنَزَّهوا قلوبهم و نفوسهُم عَن موافقتها و عَن الاشتغالِ بِها فنظروا اليها بالعينِ الّتى وصَفها رسولُ اللهِ صلى اللـه عليـه و سلّم انّ الكُلَّ لا تَزِن عندالله جناحَ بعوضةٍ فالبغضُ الّذى يُريدُ هذا الطالبُ كمْ يكون مِقدارُها كذلکَ يقولُ صلى الله عليه و سلّم: «من اَخذَ منَ الدّنيا فوق ما يكفيه اخذ جيفة و هُوَ لا يَشعرُ» ففقهت الصّوفيةُ عن رسولِ الله صلى اللهُ عليه و سلّم ما اَخبرَ عن اوصاف الدّنيا و اسبابها فاَجابوهُ و اِستِعملوهُ.

و فصل آخر

و قَد كانَ صلى اللهُ عليه و سلّم [يعلم] ان طائفـة سـيجيبوه و يأخـذوا عَـن مِنْهاجِهِ فيقولُ: «دعوا الدّنيا لاهْلها ثلاثاً من اَخذ مِنَ الدّنيا فوقَ ما يكفيه اَخـذَ جيفة و هو لا يشعر» فكرهـوا أهـل اللـه اَن ينسـبوا إلـى الـدنيا بَعـدَ اَن كـانوا منسوبينَ الىٰ اللهِ كما يقـول صـلى اللـهُ عليـه و سـلّم: «تعـس عبدالـدينار و عبدالدرهم و عبدُالخميصة» فخافوا السّقوطِ مِن عينه و التصّوف بغيرهِ فيخـاف على امّته فيوصيهم بالتّحذير و الزّجر و التّهديد فيقولُ: «انَّ هذا المـال خضـرةٌ حلوةٌ و انَ اللهَ مُستَخلِفكُم فيها فنـاظِرٌ كَيـفَ تعلمـون الا فـاتَّقوا النّـار و اتّقـوا النساءَ» فَاَسرَعتِ الصَوفيةَ الىٰ قبولِ قولِهِ عند ما عَرَّفهُم انّها خضرة حلوةٌ فعملوا فى حلاوةِ مناجاتهِ و اِسقاطِ حـلاوةِ الـدُنيا و ذكرهـا و اَزالوهـا الرَغبـةَ و تركـوا الاهتمامَ لِتَصفوا قُلوبهم و يَستوعبوا ذِكرهُ كمـا قـالِ صـلى اللـه عليـه و سـلّم: «روحوا قلُوبكُم» يعنى بالذّكر اذ كان قلب ثَبَتَ فيه حَلاوةٌ ما اَبْغـضَ اللـهُ لَـمْ يوجَدْ لله فيها حالٌ و لا مقدارٌ و انَّما عملوا فى صفاءِ القلبِ بَعدَ ما اَخَبرَ صلى الله عليه و سلّم عَن الدّنيا و مقدارِها اذ قالَ: «انّ اللهَ لا ينظُرُ الىٰ صُـورکُم و لا الىٰ لباسِكُم و لٰكِنْ يَنظُرُ الىٰ قلوبكُم و اعمالِكُم» فعلموا انّ الله لما لـمْ يَنظُـرُ إلى الدُنيا مِنذْ خلقها كانَ قلبٌ عاكفة علىٰ لذاذة الـدنيا و لـذّاتِها احـرى اَن لا ينظْر اليها فَحلوا محلّ نَظَرِ اللهِ اَنْ يكون فيها مِن الـدّنيا المَلعونـةُ فعملـوا فـى ازالتها و اسقاطها و وجود محبتها صيانة لِذِكرِهِ و حُرمة لِنظرِهِ عزَوجلَّ.

و فصل آخر

اعلم انّی بَدَأتُ ذکر النّبی صلی الله علیه و سلّم و اظهار اوصافه اَنّ قولهُ موافقُ لِفعله و انَّ القومُ اتّبعوا رسوله صلی الله علیه و سلّم لَما سمعوه یَقولُ: « إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»(۳:۳۱) فقالَ فی وصفه: «لَستُ مِن الدّنیا و لیست منّی انَّما بُعِثْتُ انا و الساعةُ نستبق» مخاطبةً لعمر رضی الله عنه لمّا رای رسولَ الله صلی اللهُ علیه و سلّم مضطجعاً علی حصیرٍ قدْ اَثّر بجنبه فقال عمرُ: «الا اذنتنی حتی کنتُ ابسطُ لک شیئاً یقیک مِنَ الأرضِ فاسَتوی صلی الله علیه و سلّم وَ کان متکئاً أفی هذا انتَ یابنَ اَلخطاب بعد؟ اولئکَ قوم عجلت لهم طیباتهم فی حیوتهم الدّنیا و هیَ وشیکة الانقطاع» و فَعَذَلَ صلی الله علیه و سلّم عمر رضی الله عنه انّه قد ازال عنه الدنیا و اسبابه بقوله: أفی هذا انتَ یا بن الخطاب بعدُ؟ اذ لَم تشهدنی انّی لست من الدّنیا و لیست الدّنیا منّی فترید اَنْ تبسطَ لی ما قد حمَلَنی الحق عنها و اَفْرَدنی به فاستفداه عمر رضی الله عنه من وصفه ما کانَ فی غَفْلَةٍ عنها و هذا الاحوال لا یوجدُ الّا فی الصوفیّة و یقول صلی الله علیه و سلّم فیما یَصِف نفسه: «الدّنیا متاعٌ و لیس من متاعِ الدّنیا افضل مِنَ الامرأةِ الصّالحة» ثُم یقول: «ما اصبنا من دنیاکُم الا نساءکم هذه» فَاَخبر عَن زُهدِهِ و قِلَّةِ متاع الدُنیا عِندَهُ فَمن اوصاف إلی النبی صلی الله علیه و سلّم ذنباً بعد هذا القول فقد بآء بِغضَبِ مِنَ الله و رسول الله صلی الله علیه و سلّم و هو فی امر النسآءِ مدفوع الیها و معلق علیه الاحکام اقتداءٌ للامَةِ بهِ فیقولُ: «حبّب إلی من دنیاکُم النّساء و الطیب وَ جعَلَ قُرةُ عینی فی الصلوة» هذا مَعَ ما کانَ یَلحقُهُ من الجوعِ الشدّید و ترک الاسبابَ و یقول اَنس رضی الله عنه: «کانَ النبّی صلی الله علیه و سلّم لا یدخر لنفسه شیئاً لغد» و یزجر بلالا عن شیءٍ اِدّخرهُ فقالَ: «اما تخشی اَن یفور دخانا من جهنم انفق بلالا و لا تخش من ذی العرش اقلالا»و هل یوجدُ هذهِ الحالهِ الا عندَ الصّوفیة.

و فصل آخر

قال ابو طلحة: «دخلت على ام سليم رضى الله عنها فقُلتُ: اعندكِ شىءٌ فانّى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه و سلّم يقرىءُ اصحاب الصّفة سورةَ النساء و قد رَبطَ على بطنِه حجراً من الجوعِ» فقصدت الصوفية إلى اختيار الجوع معَ سدّة الوصال و ترک الشهوات و الاعراض عن الدار بما فيها عن الاختيار اتباعاً لَهُ و اقتداءٌ لهُ فَخَرحوا بتجريد الزُهدِ على اوصافه باستعمالِ القناعة كذلک روىٰ انس رضى الله عنهُ: «انَّ فاطمة رضى اللُه عنها جاءت بكسرة خبز الىٰ رسول الله صلى الله عليه و سلّم فقالَ: ما هذِه الكسرةُ؟ قالت: قرص خبزتهُ فلمْ تَطُب نفسى حتى اتيتک بهَذهِ قال: امّا انَّه أول طعامٍ دخَلَ فَمِ ابيکَ منذُ ثلثهُ ايام» فلذلک اختار الصّوفيةُ الكسرة و لبس الخرقة و الجلوسَ فى الزَوايا و مراعاةَ وصفه و الاخذِ بمنهجه و استعمال التقلل و ترک التسلل كما قالت عِايشة: «اهدىٰ الينا ابوبكر رضى اللِه عنه رجل شاةٍ فقُمتُ انا و رسول الله صلى الله عليه و سلّم نقطِّعها فى الظلمة قال: قلتُ لها: اما كانَ عندكُم سراجٌ؟ قالت: لو كان عندنا ما نجعلُ فيهِ اكلناهُ» فَاخذتِ الصوفيةُ علىٰ منهاجه و سلكول سبيلِه و فارقوا الاهلَ و الاوطان للهِ على اتباعه.

و فصل آخر

و انَّما طالعت بعضَ صفاتِ النّبى صلى الله عليه و سلّم علىٰ ان القومَ بنوا اوصافَهْم علىٰ صفاتهِ و قصدوا اخلاقه و مَنهَجَهُ اِن كانوا أهل السّنةِ و التباع علىٰ الحقيقةِ دونَ الدارسينَ لأوصافه و الجامعين لافعاله و انَّما ذِكْرُ وَصْفِهِ عليه و السّلام و الصلوةُ لاظهار تخصيص الصوفية و ما اَفرَدَهُمُ اللهُ عزَّوجلَّ و افرَدهم الرسولُ صلى الله عليه و سلّم من اوصافهِم و افعالِهم مِن ذلک قولُهُ عروجل لنبيّهِ صلى اللهُ عليه و سلّم: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»(۱۸:۲۸) و كانوا فقراء مساكينَ صبروا مَعَ رسول اللَه على تحمّل البلاء فيما اخبارهِم من القديم و لبسه الصَبر و ارادة

النظر الیٰ وجه الله الکریم و قد قالَ صلی اللهُ علیه و سلّم: «تحفةُ المؤمن فی الدّنیا الفقرُ» و قال رجلٌ: «یا رسول اللهِ انّی اُحِبُّکَ قال: فاستعدْ للفَقـرِ تجافـاً فأن الفقر اسرعَ الیٰ من یحّبنی من السیل الیٰ معادنِه» فَاَخْبَر صلی الله علیـه و سلّم اِن عِوَض مَن اَحبَّ رسول الله صلی الله علیه و سلّم فی الدّنیا الفقرُ و قلةُ الشیء و قالَ کعب بن عجرة: «اتیت رسول الله صلی الله علیـه و سـلّم فَرَایتُـهُ متغیّر اللون فقُلتُ: بابی انت و امی اراکَ متغیّر اللّون قالَ: ما دخَـلَ جـوفی مـا یدخُلُ جوف حران کبد منذُ ثلثُ قال: فذهبتُ فاذا یهودیٌ سقی ابلاله فسـیقت لهُ کُلُ دَلو بتمر ثم اتیتُ النبی صلی الله علیه و سـلّم فقـالَ: مِـن اَیـنَ لَـک یـا کْعب؟ فاخبرته قال: تحبنی یا کعب؟ قلت بابی و امّی من اَحبَّ اذا لم احّبـک قالَ: فانَ الفقر اسرَع إلی من یُحِبُّنی منَ السیل إلی معادنه و انّه سیصیبک بـلاءٌ فاعد للفقر تجفافاً» الا تریٰ کیفَ خص من احبهُ وَ جَعلهُ عوضـاً عـاجلاً قبـل الآجلُ أَن افَرَدهُ بالفقر الذّی کانَ علیه الصلوةِ و السّلام یسألُ اللهَ اَن یحشره فی زمرةِ المساکین و علی هذا کان دعاء النّبی صلی الله علیه و سـلّم: «مَـن آمَـنَ بک و شهد انّی رسولکَ فحبب الیه لقاءک و سهل علیه ضلک و اقلِلْ لـهُ مـن الدّنیا» و ذکر سید قال: «قال رسولُ الله صلی الله علیه و سـلّم: لانـا فـی فتنِـه السّراء اخْوفَ علیکم من فتنِةِ الضَّراء الا انَّکم قد اَبْتَلَتم بِفتنَةِ الضَّراءِ فصـبرتُم و الدّنیا خضرةٌ حلوَةٌ» فَقَد اَخبرَر اَنَهُ یخافُ علیهم فتنه السّراء عندَ اقبالِ الدّنیا فلا یَصبروا عنها کما امر النبی صلی الله علیه و سلم: «انی اخاف علیکم ان یَفـتحُ علیکم فارسَ و الرّومَ فیتنافسوا و لا یـزیغَنَّکم اِن زغـتم الا هـی» فَـاخبرهم اَن القوم یخافون للفَقرِ و الّشدةِ و أنَّ الدّنیا اذا اَقبلت لا یؤمنُ علـیهم اَن یـدْخلوها حتّی یَستِلب قلُبَهُم و عُقولَهُم الهلع و بالجزع و هل قامت الصُوفیةُ الا فی هذهِ الأحوالِ السیئةِ و الفقر العائل غیرهم.

و فصل آخر

انَّ عبدالله رَوَی عَنِ النّبـی صـلی اللـه علیـه و سـلّم فـی وصـفِ الفقـراءِ

المتخففين قال: «كنّا عِندَ النَّبى صلى اللهُ عليه و سلّم اذ طَلَعَت الشَّمس فَقال: يأتينى يوم القيامه اناس نورُهم كضوءِ الشمس قال ابوبكر: نحنُ منهُم؟ قال: لا و فيكُم خيرٌ كثيرٌ لكنّهُم فقراءِ المهاجرين الذين تُتَّقَى بِهِمُ المكاره يموتُ احدهم و حاجتُهُ فى صدرهِ يحشرونَ من اقطار الارض» الا ترىٰ كيفَ تطاولَ لهُ الصديق الاكبرُ وَ رُوى عنهُ صلى اللهُ عليه و سلّم و وصفَ القومَ حتّى صار آخر الذّى لا غايةُ فى الفقرِ وَرَاءَهُ و هوَ النّهايةُ طلباً لتلكَ المنزلةِ و الرّفعة و كذلک الفاروقُ فى آخرَ امرهِ على مِنهاجِ صاحِبِه فهَل حَصَل هذا الوصف الّا للصّوفيةِ الذّينَ هُم فى اقطارِ الارضِ و ذَكر فضالة قال: «كان اصحاب الصفة حتّى تخّر رجالٌ من قيامهم لِمَا بهم مِنَ الجهد و كانوا اصحاب الصّفِة حتّى يقولُ الاعراب: هولاء مجانين فلمّا قضى الصلوةُ اِنْصرَفَ اليهِم فيقولُ: لو تعلمونَ ما لكم عند الله لأَحبَبْتُم اَنَّ تزدادوا فاقة» فقد وَصفْهَم فضالةُ انَّ الذى بهم مِن الجهد ادّاهم إلى السّقوطِ فلمّا صلّا عَرَّفهم أنّ هُناکَ علم يزيد على ما انتم عليه من الجهد و العرىٰ و الجوع لِينبه القومَ علىٰ ما هنالک مِن الاحوال العالية و أنَّ ليس الذى هم عليه هُوَ النهايةُ لان وراءه ما هُوَ اعلا مما اَنتُم عَليهِ ممّا لَهُم عِندالله اذ ما عِندالله بلا حَد و لا نهاية فهل حَصَلَ هذهِ الاَحولُ اِلّا للصّوفيةِ؟

ذكَرَ ابوذر فَقالَ: «سألنى رسول الله صلى الله و سلّم عَن رجُلٍ مِن قريش فَقال: هَل تعرفُ فلاناً؟ قال: قُلتُ: نَعم قالَ: فَكيفَ تراهُ؟ قُلتُ: اذا سألَ اعطى و اذا حَضَرَ ادخلَ ثُم سألَ عن رجُلٍ مِن أهل الصّفة فقال: فَهل تَعرفُ فلاناً؟ قُلتُ: نعم قال: فكيفَ تراهُ؟ قال: قُلتُ: رجلٌ مسكينٌ من أهل المَسجد قال هُو خيرٌ من طلّاع الارضِ من مثل الآخر» أَلاَ ترىٰ صلى الله عليه و سلّم كيفَ عرَّفهُ الرَّجل ثُم عَرفهُ فكانَ الفقيرُ انَّهُ اَفْضلُ مِن طلاعِ الارضِ مِن مِثلِه و انَّ الاوّلَ كان لهُ الجاهُ و المقدارُ ما اذا سئل اعطىٰ و اذا حضر ادخل و كرم ثُم سألهُ عن من لا مقدارِ لهُ كما قال صلى الله عليه و سلّم: «اشعث اغبر ذوطمرين لا يُؤبه له» و انَّهُ افضلُ عند الله من ملءالارض ممّن هو بغير صفته و هُلْ توجدُ

هذهِ الحالة الّا هٰؤلاء الفقراء مِن الصوفية؟ و على هذا الحالةِ كانت اقواله قال ابوذر: «قال رسولُ الله صلى الله عليه و سلّم: انظر افضَلُ مَن فی المسجدِ فنظرت فاذا رجُل عليه حلة قالَ: انظر اوضع من فی المسجد فنظرتُ فاذا رجل على اخلاقٍ لهُ فقالَ: هذا خيرٌ من ملءالارض من هذا عندالله يوم القيٰمة» فأمر ابوذر اَن يكون الرّفيعُ عندهُ من هُو فاذا هُو صاحبُ الحلة و الوضيع صاحبُ الخلقان فَعَرَّفه مقدار الخلق على مَن قد بقىٰ عليه مِن صفاتٍ زينة فاخرة حلته و علىٰ هذا اُحرىٰ خطابهُ فی تفضيل الضعفآء و الفقرآء فقال سعد: «قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم: انّ الله ينصُر هذهِ الامة بضعفائها بدَعواتِهم و صلواتهم و اخلاصهم» فافرد الضعفاء باعمالِ العبوديةِ و سلّم لَهُم اَلاخلاص اَلذى قد عَجَز عنهُ الكبارُ لأَنهم القومُ الذين تعقلوا بعلوم الصدقِ و الاخلاص و فيهم يظهر و بهم عُرِفَ عن خاصّهِم و عامهم حتىٰ عرفوا فی الآفاق بالاخلاص.

و فصل آخر

انّه قال: «جلستُ الىٰ عصابة من ضعفاء المهاجرين و أن بعضهم يستتر من بعض من العُرى و قارى يقرا عليهِم اذ جاءَ رسولُ الله صلى الله عليه و سلّم فقام علينا فقال: ابشروا يا معاشر صعاليک المهاجرين بالنّور التام يوم القيمة تدخلون الجنةَ يوم القيمة قبلَ الاغنياءُ بنصف يومٍ و ذلک خمس مائة عامٍ» و ذلک لما شاهدَهُم علىٰ تلک الصفة مِن العرى و فناءِ كل سبب قابلهُم بما يتقوّى علىٰ حمل تلکَ الحالةُ كما رواهُ معويةُ قال: «ارسلَ إلى رسولُ الله صلى الله عليه و سلّم لاكتب لهُ فاحتسبت عليه فلمّا فرغ من كتابه ارسَلَ إلى المسجد فقالَ: اُنظروا مَن ثَمَّ قالَ: فَرَجعَ الرسولُ فقالَ: ثّم اصحابُ الصّفة سلمان و ابوذر و صهيب و ابوهريره فخرج اليهم نبى اللهِ صلى اللهِ عليه و سلّم و خرجتُ مَعه فقالَ: انطلق الناس الىٰ حوائجهُم و بقيتم تفيضون فی ذكر الله اُبشروا فوالذى نفسى بيدهِ اِنّ اللهِ ليباهى الآن بكم ملائكتَهُ» فَهَل وَجد مِن

احدٍ من الصحابة مثل هذهِ المزلة و الرَفعـة بـان اللـه يبـاهئ بهُـم الملائكـة؟ فلذلک قصد القومُ إلی العکوفِ فی المساجِد و الرباطات و البراری و القفار و الاودیة و الآکام و یُحّبو الظلام بذکره و یراعوا لیلهم لتحـری مسّـرته و اظمـأوا نهارهم للیوم الذی لهم عنده علی منهـاج مـن تَقـدمهُم مِـن اصـحابِهم حَـین خرجوا من الدَّیارات و التّجارات و الصناعات و ترکـوا البضـاعات و هـم علـی احوالهم یراعوا فقرهم و یضربهم الحرّ و البرد و یمنعوا نفسهم عن التطلع إلـی الرفاهیات مع اصحاب الاعبیة و المرقعات علی ما رواهُ ابن عمر رضی الله عنه قال: «کنت عند النبی صلی الله علیه و سلم و عندهُ ابوبکر الصدیق رضی الله عنه و علیه عباءةً قد خلها علی صدره بخلال فنزل جبریل علیـه السّـلام فـأقرأه من الله السَلام ثُم قال: یا رسول الله ما لی اری ابابکر فی عباة قد خلّهـا علـی صدره؟ فقال: یا جبریل انفق ماله عَلَیَّ قبل الفتح قال: فَأَقْرِئْهُ من الله السّـلام و قل لهُ یقول ربک عزّوجلّ: اراض عَنیّ فی فقرکَ ام ساخط؟ فالتفت النّبی صلی الله علیه و سلّم و قال هذا جبریل یقرئک عَن الله السّلام و یقـول: أَراضٍ عنّـی فی فقرک ام ساخط؟ فبکئ ابوبکر فقال: علی ربّی اسخط؟ انا عـن ربّـی راض انا عن ربی راض» و هذا البکاء من ابی بکر لما یُقدّر تلکَ الْمنزلة علـی تلـک المقابلة و کان بکاؤه شکراً لما هو اهلـه و تلـک الحالـة هـل تلـبس بهـا غیـر الصوفیة؟ فهل عرف ذلک فهم قدیماً و حدیثاً؟

و فصل آخر

و هو حاله مصعب بن عمیر رضی الله عنه اقبل و علیه طمرة لا یکاد یواریهِ و النّبی صلی الله علی و سلّم جالسٌ و معهُ نفر من اصـحابهِ فلمّـا راوهُ نکسـوا لیسَ عندهُم ما یعطونهِ ما یتواری بهِ قالَ: «فَأَثْنَی علیـه خیـراً قـال فسـلّم فقـال رسول الله صلی الله علیه و سلّم: لقد رأَیتهُ عند ابویه و ما فتیٰ من فتیان قریش عند ابویه مثلُه یکرمانه و یُنَعِّمانه فخرج من ذلک ابتغـاءَ مرضـاةِ اللـه و نصـرة رسولهِ اما انّکم لو تعلمون ما اعلم لاستراحت انفسـکم منهـا امـا انّـه لآیـاتی

علیکم الا هکذا حتیٰ تفتحوا فارس و الروم فیغدو احدکم فی حلة و یروح فی حلة و یغدا علیکم بقصعة و یراحُ بأُخری و تسترونَ بیوتکم کما تستر الکعبة فایُّهم الیوم خیرٌ» فاخْبَرَ صلی الله علیه و سلّم حداهُ علی الخروج ابتغاء مرضاة الله و نصرة رسوله صلی الله علیه و سلّم و جَعَل ذلک سنةً و حقیقةً لکل مَن ابتغیٰ مرضاةٍ اللَه فذلک حقیقة لولایة الله و هو نعت الصدیق رضی الله عنه و علی اثره خرج مصعب بن عمیر ثمّ اعلمهم ان الذی یعلم صلی الله علیه و سلّم من ترک الدُنیا و زینتها و الخروج منها یلبسه الراحة و الرّوح اذ کان ذلک قد اراحة مِن تَعب الطلب و شدّة الحرص و انَّ المتحققین بثواب الله التارکین لَها و مفارقته لها من المتلبّسین یخیروا عن الرَّوْح و الرّاحة فهل توجد هذه الاحوال و الاخبار عَن وجود الرّوح الّا فی الصَوفیة؟ کل ذلک دالّةٌ من صِفاتهِم علی فناءِ الحظوظ و مفارقة ما للنفوس من لذاذتها کما رواهُ طلحةُ: «ان رجلاً قال: یا رسول الله خرّق بطوننا التَمر قال: فَصَعد المنبر فخَطبَ فقال صلی الله علیه و سلّم: و الله لو وجدتُ خبزاً و لحماً لاطعمتکم ثم قال اما انّکم توشکَونَ او تدرکونَ او من ادرکَ ذلک منکم ان یُراح علیکم بالجفان و تلبسونَ مثلُ استار الکعبة» و انّما اراد الجفان اللحم و لم یذکر صلی الله علیه و سلّم الوان الطیّباتِ من المأکولات و المشروبات و مثل استار الکعبة من الثیاب الدیباج و الحریر المذهبة و الالوان الشتی کلُ ذلک یدلُّ علی التّرک و التّجافی کما رُوی ابوسعید انجدانی قال: «بینا رسولُ الله صلی الله علیه و سلّم یخطُبُ ان قالَ اِنَّ ممّا اَتَخَوَّفُ علیکم اذا فَتَحت زهراتُ الدّنیا فتتنافسوا کما ینتافسُ من کانَ قبلکم و یهلککم کما اهلکم» فانّه صلی الله علیه و سلّم فی کل مشهد ینبهُ الامّة علی ترک الدنیا و زهراتها و انَّ التنافسَ هلاکٌ لهُم و لِمن قبلهم و لمن بعدهم فهل قَبِلَ هذهِ الوصایا و التحذیر الّا الصوفیة حین انقبضوا عنها و تجافوا عن زهرِتها و رضوا بالیسیر منها خوفاً من الوقوع فیها کان صلی الله علیه و سلّم یُحَذِّرهم یزجُرهم و یرغّبهُم فی الآخرة و یُزهِّدهم فی الفانِ بالباقی.

و فصل آخر

و هوَ انَّه صلى الله عليه و سلّم لم يخشَ الفقراء درجاتٍ المُنْفِقين بِنِيَّاتهم و سوّاهم فى احوالهم و رُوى ابوكبشة الانصارى قال: «قال صلى الله عليه و سلّم: مثل هذهِ الأمّة مثل أربعة نفر رجلٌ اتاه الله مالاً و علماً فهو ينفق مالهُ بعلمه و رجلٌ اتاهُ الله علماً و لم يؤته مالاً فقالَ لو آتانى مثلُ ما آتى فلاناً عملتُ فيها عملَ فلانٍ فهُما فى الاجر سواء» و ذَكَرَ الحديثَ و تلكَ لصحّةِ نيّاتهم و جميل مقاصِدِهم و لذلک يقُول صلى الله عليه و سلّم: «نيّةُ المؤمن خيرٌ من عمله» حتى قال فيها رواه ابوهريرةُ أَنه قال صلى الله عليه و سلّم: «سبق درهم مائةَ الفٍ قال: يا رسول الله كيفَ سبق درهم مائة الفٍ؟ قال: رجلٌ لهُ مالٌ كثيرٌ أخرج من عَرضها مائة الفٍ فتصدق بهِ و رجلُ لهُ درهمان فاخرج أَحَدَهما فتصدق بهِ» و هذا اَحدُ فضايل الفقراء و الزاهدينَ اذ قد جهلت الصحابة كيفية ذلک انّهُ كائنٌ تعجباً حتى عرفهُم صلى الله عليه و سلّم تفضّلاً من الله المُقِلِّين ان لا يسبقهم المكثرين ثمّ أَنَّه صلى الله عليه و سلّم سأل اصحابهُ فقال: «ايُّ الناسُ خيرٌ؟ فقالَ بعضهُم: مؤمنٌ غنىٌ مُعْطٍ حق نفسه و ما له فقال النبى صلى الله عليه و سلّم: نعم الرجل و ليس بذلكم خير الناس مؤمن فقيرٌ يعطى جُهْدَهُ» فَفَضَّلَ الفقير اذا بذل جُهْدَهُ و قدّمهُ على المنفق المعطى للحقوقِ على التمام و الكمال فَافردَ الفقير و خصَّهُ باعْلى الاحوالِ و اسنى الدَّرجاتَ فكانَ صلى الله عليه و سلّم لمعرفته بما عرَفهُ من رفعة الفقراء و المساكينَ يسأل الله عزّوجلّ فيقول: «اللهم احينى فقيراً و توفُنى فقيراً و احشرنى فى زُمرةِ الفقراء يوم القيمةِ» فسأَل الله إلى تمام حالهُ و مرتبته و نبوته تلك الحالة و المنزلةُ حتى ظهر عليه آثاره اذ قال جبريل: «اسأل الله عزّوجل فيعرض عليک مفاتيح خزائن الارض فقال: اجوعُ ثلاثاً و اشبَعُ يوماً فاذا جعتُ تضَّرعتُ و اذا شَبَعتُ حمدتُ» و كان صلى الله عليه و سلّم يختارُ ذلک و نذير الله لانهُ سمع الله فى حال مخاطبته لهُ تعليمه الايمانَ قال صلى الله عليه و سلّم: «رأيت ربى فى احسن صورة إلى ان قال: قل يا محمد: اللهم انى اسئلک

فعِل الخیرات و ترکَ المنکرات و حب المساکین و ان تغفر لی و ترحمنی و اَذا اردْت بقومٍ فتنةً فاقبضنی الیک غیر مفتون» فلمَا رأی صلی الله علیه و سلّم انّ الله قد خصّهُم فی مشهد القلوب وما علم الله من حبّ المساکین فی جملة ما علّمهُ سأل الله انّ یکون فی تلک الحالة السنیة اللائقة بنبوّتة و علی منهاج القومِ الذین خَصَّهم الله من انبیائه مِمّن کانوا علی تلک الحال معَ نبوتهم اذ لم یوجد فی الانبیاء لهم مع الحقُّ أنس و بسطُ لسان الّا من کان بالعُذر و الزّهد موصوفاً و باحوال الأملاک فی القرب منعوتاً مثل موسی علیه السلام کان بالفقر قائماً و کان یأوی حیثُ ما ادرک من بیوت بنی اسرائیل فروی ابن عمر قال: «قال رسولُ الله صلی الله علیه و سلّم: لما عرج بی إلی السّماءِ سمعتُ تذمرَا فقلتُ: یا جبریل من هذا؟ قال: هذا موسیٰ یتذمر علی الله قلت: بم ذلک؟ قال: عَرَف ذلک منهِ فاحتملهُ» هذالک المسیحُ علیه السلام لیسَ لهُ مأویٰ و لا قرار یأکلُ من قلوب الشجرِ و یشرب من ماء القراح و نقلَ اوصاف هؤلاء فی دواوین المنقطعین إلی الله و لمْ یذکر لابراهیم لا لسلیمان و لا لیوسفَ علیهم السلام مع جلالتهم و رفعتهم عندالله و هَل خَرَج علیٰ منهاجِهِم الّا الصَوفیةُ و هَل اخبروا عن أحوالِهِم غیرهم؟

و فصل آخر

و هوَ ما ابداه من شرف ما فاض فضلهم علی أهل المملکة عالی القومِ و رائدهم فرواه ابن عمر قال: «قال رسول الله صلی الله علیه و سلّم: ان لکل امر مفتاحٌ و مفتاحُ الجنّةِ حبُ الفقراء و المساکین الصُّبُر قلت: بم ذلک؟ قال لانهم جلساء الله یوم القیمة» فاشهدْ ایُّها العاقل اللبیب و العالمُ الاریب علم ذلک لاَن الله اشتریٰ من المؤمنینَ انفسهم و اموالهم بان لهم الجنّة فبذلوا اموالهم و انفسهم طلباً للجنّة و جعلَ حبَّ الفقراء و المساکین فی مساواة المالِ و النفس عِوَضاً لمحبّتهم و غایةَ نعیم الجنّة النظر إلی اللهِ عزّ و علا و مجالسته فوصفهُم باعلی النعم من المجالسةِ و اعطاء الجنّة ثواباً للمحبّین لهُم

فهل وَجدَ الاَ للصوفيةِ المهديين؟ ثمّ لم يبخس الحق حظهم مـنَ الجنَـةِ مـعَ المجالسة الىٰ اَن خصَّهُم معَ هؤلاء و اَفرَدهُم بوقتٍ لـمْ يشـاركهم احـدٌ فَـرواهُ عبدالله بن عمر و عن ابيه عن رسول الله صلى اللـه عليـه و سـلّم قـال: «هـل تدرون أول مَن دَخَلَ الجَنَّةَ مِن خلق الله؟ قالوا: الله و رسولهُ أَعْلَم قال: أول مَن يَدخُلُ الجنَّة الفقراء المهاجرينَ الذين تُسَدَّ بهم الثغـور و تُتَّقَـى بهـم المكـاره يموت احدهم و حاجته فى صدره لا يستطيعُ لها قضاءً.»

و فصل آخر

ما اخبَرَ صلى الله عليه و سلّم عن الحـقِ فيمـا خصّـهم بمحبتـه و أجـرىٰ عليهم آثار ذلک ان قال: «اذا احبَّ اللهُ عبداً حمـاهُ الـدّنيا كمـا يظـل احـدُكم يحمى سقيمه» فاَخْبَرَ انّه ابتدأ بهم بمحبتهِ تفضّلاً و امتناناً و منعَ الـدّنيا عَـنهم تكرّماً و احساناً حتى ظهرت آثارهُم فى القيمة و تعينَ فخصصـهم عنـد الامـة فاعطاها كرماً و نَوَّه اذكارَهم تفضّلاً فرَواُه سعيدُ بن عامر قال: «قال رسول اللـه صلى الله عليه و سلّم: يجىءُ فقراء المؤمنين يَزِفُّون كمـا تَـزِفُّ الحمـام فيقـال لهم: قفوا للحساب فيقولونَ: ما تركنا شيئاً تحاسبونا عليـه فيقـولُ اللـه: صـدق عبادى فيدخلون الجنّة قبل الناس بسبعين عاماً» فهل صح هذه المخاطبة منهم فى تلک العرصات الّا لهـؤلاء الفقـراء؟ و هـل يَتَجَـرَّأُ احـد ان ينطـق بـذلک غيرهم؟ و كفاهم من الله ان يقول الله صدقوا عبادى فصَدَّقَهم اللهُ فى دعواهم و صَدَّقَهُم فى فقرهم فاينَ أهل المذاهبَ من هذه الوقفة و المقامـات العاليـة؟ حتى قالَ ابوهريرةُ قال: «قال رسولُ الله صلى الله عليه و سلّم: ملوک الجنّة كل اشعث اغبر ذوطمرين اذا استاذنوا على الامر لم يؤذن لهُم و ان خطبـوا النّـاس لم ينكحوا و اذا قالوا لمْ ينصَتْ لهم حاجة احدهم ليتلجلج فى صـدورهم لـو قسّم نورٌ احدهِم على أهل الارِض لوَسعتهم» فَهل اعطـاء اللـه الملوكيـة فـى الجنة الّا لهؤلآء؟ و هل علّم انَّ فى الآخر من يوطا هذه التسمية الا لهـم؟ ثـمّ انّه صلى الله عليه و سلّم وصف القومِ بحالة هـم المغـابين بهـا و المعـروفين

بذلک و قال صلی الله علیه و سلّم: «یدخُلُ الجنّة سبعین الفاً بغیر حسابٍ فقال: من هم؟ فقالَ: هم الذّین لا یسترقون و لا یکنونَ و لا یتطیرون و علی ربهم یتوکّلون» فهل عُرِفَ صحة التوکّل و الاکتفاءُ بالله و الخروج عَن موافقة الاسباب اعتماداً علی اللهِ فی غیرهم و هُم الذّین یراعون احکام الله فیما سبق من الخیر و الشَّر و الاسقام و الامراضِ ان ما قدر و کائن لامحالة فَمَن اَعلَمهَم لذالکَ ازالَ عنهم التّعلقُ بالاسباب لنظرِهُم إلی المسبِّب.

و فصل آخر

ما عرّف صلی الله علیه و سلّم من صفة من آثَر الدّنیا علی الآخرةِ ان قال صلی الله علیه و سلّم: «من آثر الدنیا علی الآخرة ابتلاهُ اللهُ بثلاث همّ لا تفارق قلبهُ ابداً و فقرٌ لایستغنی ابداً و حرص لا یشبعُ ابداً» حتیٰ قال صلی الله علیه و سلّم لهؤلاء: «تعس عبدالّدینار و تعس عبدالدّرهم و عبدالنطیعة تعس و انتکس و اذا شیک فلا انتعش إنْ اُعطی رضی و اِن مُنعَ سخَطَ طوبیٰ لعبد او قالَ لرجل اخذَ بعنان فرسه فی سبیل الله اشعث رأسهُ مغبر انْ کانت الساقةُ کانَ فی السّاقة و ان کانت الحراسة کان فی الحراسة طوبیٰ لهُ ثم طوبی له» فسمعَ هؤلاءِ الطائفةَ فعملوا فی اسقاطِ العلائق و الاسباب الموانع و افرَداو الهمة لله وحدهُ و ذلک لا یحصِلُ الاَ لمن اخرجَ حظّهُ من الدّنیا من المأکولات و الملبوساتِ و المنکوحات و الاروقة و الدیاراتِ و جمعَ للاکثارِ الیٰ اَن بلغوا الیٰ قولِه صلی الله علیه و سلّم: «انّما عبد انقطع إلی ضمنت السموات و الارض رزقَهُ و کنتُ من وراء کل تاجر» و قال صلی الله علیه و سلّم: «مَنْ جعَلَ همَّهُ فی اللهِ همّاً واحِداً جعَلَ اللهُ لهُ فی کلّ همّ فرجاً و من کل ضیق مخرجاً و اتتهُ الدّنیا و هیَ راغمةٌ و من شتت علیه همَّهُ شتت اللهُ علیه ضیعتهُ و جعلَ الفقرُ بینَ عینیه و لم یأتِه من الدّنیا الّا ما کتبَ لهُ ثمَّ لمْ یبال اللهُ فی ایّ وادٍ اهلَکه» فنحن الذّین نقفوا آثارَ فقراءِ المُهاجرینَ و طلبنا صفاتهم لُمصادفةِ رضی ربّ العالمین و قُلنا بالایثار علیٰ اوصافِ الانصار من المتقین و

المختارينَ للجوعِ على صفةِ النبيين و الجائعين اكباداً طلباً لمنهج الصّديقين و العارينَ ابداناً طلباً لآثارِ المهذبينَ و زهدنا فی الدّنیا شوقاً الیٰ ربِّ العالمین و تَرکنا الشَهواتُ لنتقدمَ الاوّلینَ و الآخرینَ و تَلبسنا له بالمحبة علی صفاتِ المشتاقینَ و لبِسنا الاعیبة اقتداءً بالمنفقین و لبسنا المرقعّاتِ اتباعاً لِسراخ أهل الجنّة من المؤمنین و اسهرنا اللیل لمناجاةِ اللهِ العظیم وَ عاملنا الله علی صفات أهل التحقیق و توکلنا علیه اکتفاءً برب العالمین و لبسنا ثوب الولایةِ علیٰ نعت الرّاضین و جاهدنا العدّوَ جهاد الاکبر بسلاحِ المتقین و اَخلصنا لهُ العبادة طلباً لَمرضاتهِ و شوقاً الیٰ لقائه و طمعاً للنظر الیٰ وجههِ المشرقُ المنیرَ الذّی اشرقت السموات لنورهِ فهلمّوا معاشِرَ الاخوانِ الیٰ میدان أهل الولایةِ و العاملین من أهل الارادةِ و المتبعین لآثار الرسالةِ و القائمین علیٰ اوصافِ الحقیقة و الدّاعین إلی اللهِ بلسانِ المعرفةِ و المخبرینَ عن اللهِ بقول الموعظة و المثنین علیه بحقایق الولایة.

و فصل آخر

اِعلَم وقفکَ الله انَّ کُل فرقة اذا هاج بِهِم الارادةُ و غار فیهم الخوفَ و الرّهبة انحازوا الینا و طلبوا آثارَنا و قَصدوا احوالنا و تعلقوا باخلاقِنا و رجعوا الیٰ اللهِ بنا و جعلوا ذلکَ الاحوالِ النّاجی لهُم من اللهِ و الفائزُ لهُم عند اللهِ و تعلّقوا ببعِض صفاتنا و اتبعوا اوصافنا و اخذوا علی منهاجنا و اظهرو حقائقَنا و تسربلوا بثوبِ افعالنا و جعلوا تلکَ الاوقات ذریعة الیٰ طلبِ مرضاتهِ و النجاةِ من عذابه.

و فصل آخر

واعلَم اِن کلُّ من لَم یجالسنا فی ابتدائه و لم یخدمنا فی حالِ مقاصدهِ و لمْ یُراع اوقاته فی طولِ خدمتهِ لَنا فَلیسَ لهُ قدم و لقد حضرتُ عند ابی العباس بن سُریج امام الدّنیا و حضرَ هناکَ فقهاء شیراز من فقهاء الشافعیةِ و المالکیةِ و

الحنفیةِ و اصحاب الحدیث للمشایخ الجلّة مثلُ ابی علی الشعری و اصحابه فلمّا فرغ منَ المجلس قامَ البحرانی و قال: «مسئلة ایّها القاضی فقال: هاتها فقال: متی یهش الرّاعی غنمه بعصاء الرعایة عن مراتع الهلکة؟ فاجابهُ فی البدیهة فقال: اذا علم انَّ علیه رقیبٌ ثمّ قالَ: یا شیخ هذا علم شریفٌ و لهُ مجلس خاص و قد کنا نحضر عند ابی القاسم الجنید و ابن محمد رویم و نتجارا معهم و اذا سببٍ فخرجَ القومُ فصار الصوفیة مقدار» و ذکر بقیة الحدیث و حضر الحکیمی فی الجامع و حضرَ الفقهاء مثل ابن حمدانِ بنُ عمر و ابوالحسین الکسا و ابن قیراط و حضرت عندهم فجری للصوفیة ذکر فقال: «ما صرنا من الناس الا بمجالستهم و ما تعلمنا الآداب الّا منهم و اَنی لاتاسف علی ما فاتنی منهم» او کما قالَ و هذا ابوعبدالله بن المبارَک کان سنته موزعة علی اربعة اصنافٍ صنفُ فی التجّارة اربعة اشهر و اربعة اشهر فی الغزو و اربعة اشهر فی الحج فترک ذلک کلّها و بقی سنتین یَتَعَبّد فلمَّا ماتَ رایته فی المنام فقُلتُ: «یا اباعبدالرحمن ما فعل اللهُ بکَ؟ فقالَ: لو لا السنتینِ لکنت» فکُل من ذکر من أهل الحدیث و أهل الفقه فانّما ذکر بعد ان کانَ اخذَ بعضُ صفاتنا و راعی منازلةُ احوالنا و قصد مأخذنا و تعلق ببعض صفاتنا و تلبس بافعالنا و هل ظهرت الایاتُ و المعجزات الّا لنا و لمن اخذَ باحوالنا؟ و هل کانَ طی الارض و المشی علی الماء و الاستتارِ عنِ الخلق اذا شاؤا الا فینا؟ و اعلم انّه ما انقطع عنّا الا فانه رجعَ إلی الرُخصة فی طلبِ الدّنیا و عجزَ عنِ القیامِ معنا و عرفَ مقدارَ اوقاتهِ الفائت له معَ اللهِ عزّوجلّ و هُوَ داخلُ فی قولهِ: «لکّلِ عاملِ شرهٌ و لکلّ شرهٌ فترة فمنْ کانت فترتهُ إلی سنّتی نجا و الّا فقَدْ هلکَ» فوَصفهُم بالهلاکِ الاَ منِ إعتَصَمَ بالسّنةِ و لمْ یتّعدا إلی بدعة او دخولِ إلی الدّنیا علی الشرهِ.

و فصل آخر

و هوَ ما اخبرَ صلى اللهُ عليه و سلّم عن صفاتهم و كَشَفَ عَن اَحوالِهم فقالَ: «خيارُ عبدالله الاخفياء الاتقياء الّذين اذا غابوا لم يُفْتَقَدوا و اِذا حضروا لم يُعرفوا قلوبهم مفاتيحُ الدجى لو قسم نورُهم على أهل الارضِ لوسعهم» و لقَد بدأتُ بذكرِ بعض اوصافِهم و ما عُرِفوا بِه من جميل عباداتِهم و شدَّة مجاهداتِهم و ما قد خصّوا بها من جميع العبادِ فقَد رُوىَ قال: «كنتُ مع المغنم بن سليمان فى السفينةَ فقلتُ لهُ: رحمکَ اللهُ كيفَ كانَ عبادةُ ابيکَ؟ فقالَ لی المغنمُ: و ما سؤالک عن ذلکَ؟ قلتُ: لَعَل الله ينفعنى بها فقالَ: صلى ابى صلوة الصبح بوضوء عشاء الآخر اربعين سنة قالَ: ثمَّ وليتُ عنهُ فقالَ لى: أتعرف مذهب ابى فى النُوم؟ قال: قلت: لا قال: كانَ مذهبُ ابى فى النّوم انَّهُ اذا خالَطَ النّومُ قلبهُ اعادَ الوضوء فَلَم يختلج النّومُ بقلبه اربعين سنة» روى عبدالرحمن المقرى قال: «كان ابراهيمُ بن ادهم رحمةُ اللهُ عليه على بعض جبالِ مكةِ يحدثُ اصحابهُ فقالَ: اِن رجلا مِن اولياء اللهِ قالَ للجبل: زُل فزال قال: فَتحَرک الجبلُ مِن تحته قالَ: فضربهُ رِجلهُ ثمَّ قال: اسكن فانّما ضربت مثلاً لاصحابى» و هذا رجُلٌ لَمْ تختلفْ امَّةُ محمد صلى اللهُ عليه و سلّم فى زهدِهِ و وَرعِهِ و خروجِهِ عن املاکِه علىٰ وصفِ الصوفية و روى ابنُ شعيب قال: «كنتُ مع ابراهيم بن ادهم فى طريق مكّةِ فاذا بسبع قد ظهر للناس فدنا منهُ ابراهيم فعرک اذنهُ و ركله بِرجلِهِ و قال: تنح عن الطريق فتولّى و له زئير فقلتُ: يا اباسحاق نوهت بنا قال: اسكتْ فلولا الشهرة ما حمل زادنا الىٰ مكة سواه. و هذه الاحوال و الكرامات لا يوجدُ الّا فى هؤلاء المنسوبين إلى التّصوف دون غيرهم لانَّهم القوم الذين تحملوا من العبودية فى مرضاة الله ما عجرتِ الامةُ عن مثل حالِهم روى الثورى عن الاعمش قال: «قال ابراهيم التيمى ربما يأتى عَلَىَّ الشَّهر و الاربعينَ لا آكلُ الّا ابا ربّما اشربَ شربةُ قال الثوریُ: فقلتُ للاعْمش: أصدقتهُ فى ذلکَ؟ فقال: ويحک و الله لو قالَ نزلتُ البارحةَ منَ السماء لَصَدَّقْتُهُ ويحکَ يا سفيان هوَ ابراهيمُ التيمى» و ذكرَ الثوریُ قال: «بت

عند الحجاج بنُ فرافصة ثلاث عشرَ لیلة فما رایتهُ اکلَ و لا شربَ و لا نامَ» و هذهِ الاحوالُ لا توجدُ الّا فی الصوفیة المنسوبین إلی التقویٰ و الزّهد و العبادة.

و حدَّثنی ابومحمد عبدالله بنُ الفضل قال حدَّثنی ابوعبدالله القاضی الحاملی قال: «قال لی ابی: کان عندنا ببغداد رجلٌ مِن هؤلاء التّجار صدیقاً لی و کان کثیراً ممّا اسمعهُ یَقَعُ فی الصّوفیة قالَ: فَرایتهُ بعد ذلک بصحبتهم و انفقَ علیهم جمیعَ ملکه قال: فقُلتُ لهُ: الیَسَ کنتَ تبغضهم قال: فقالَ لی: لیَس الامر علیٰ ما توهمت قلتُ لهُ: کیف؟ قالَ: صلَیتُ الجمعةَ و خرجتُ فرأیتُ بشربن الحارث الحافیُ یخرجُ من المسجد مسرعاً قال: فقلتُ فی نفسی: انظروا إلی هذا الرجلُ الموصوفُ بالزُهد لیس یستَقِرَّ فی المسجد قال: فترکتُ حاجتی فقلتُ: أَنْظُرُ الیٰ اینَ یذْهبُ قالَ: فتبعته قال: فَرأیتهُ یقدمُ إلی الخبَاز و اشتریٰ بدرهمٍ خبزاً لمّا قالَ: أَنْظُرُ إلی هذا الرّجل اشتری خبزاً لما قال: فتقدَّم الیٰ الشّواء و اعطاه درهماً فاخذ الشِّواء قال: فزادنی علیه غیظا قال: و تقدَم إلی الحلاوی فاشتری فالوذج بدرهم قال: فقُلتُ فی نفسی: و الله لا تقف علیه حتی یجلس و یأکل قالَ: فخرجَ إلی الصحراء و انا اقولُ یُریدُ الخضرةَ و المآء قال: فما زالَ یمشی إلی العصر و انا خلفهُ قال: فدخَلَ قریة و فی القریة مسجدٌ و فیه رجلٌ مریضٌ قالَ: فجلَسَ عِندَ رأسهِ و جَعَلَ یُلْقِمُهُ قالَ: فقمتُ لأَنْظُرَ إلی القریةِ قالَ: فبقیتُ ساعةً ثمَّ رجعتُ فقُلتُ للعلیل: این بشر؟ قالَ: رجعَ الیٰ بغداد قلتُ: و کم بینی و بین البغداد؟ قال: اربعینَ فراسخَ قال: قلتُ انّا لله و انّا الیهِ راجعون ایش عملتُ بنفسی و لیس معی ما اکتریٰ و لا اقوی علی المشی قال: اِجلس إلی ان یرجعَ قال: فَجلَسْتُ إلی الجمعةِ القابل قال: فجاء بشر فی ذلک الوقتِ و معهُ شیء یاکُل المریضُ قال: فلمّا فرغَ قال لهُ العلیلُ: یا ابا نصر هذا رجُلٌ صحبکَ من بغداد و بقی عندی منذ الجمعةِ فردّدهُ إلی موضعهِ فنظر إلی کالمغضب و قال: لم صحبتنی؟ قال: قلتُ: اخطاتُ قال: قم فامش فمشیتُ معهُ إلی قربِ المغربِ قال: فلمّا قربنا قال این محلتکَ ببغداد؟ قلتُ: فی موضع کذا قال: اذهب و لا تعد قال: فتبتُ إلی الله و

صَحِبْتُهُم فانا على ذلک» او کما قال و کانَ صحةُ هذه الاحوال ظاهرةً فی بِشْـر بن الحارث و شاهده موجودٌ و احوالهُ متحققةٌ.

ذکر محمدبن الهیثم قال: «کنتُ ادخلُ علی اُختِ بِشْر فی صغری و اقضی لَهم حوائجَ فاعطتنی یوماً کُبّة من غزِل قالتِ: بع هذا الکُبة و اشتر خبزاً و سمکا ففعلتُ قال: فدَخلَ بِشْر و الخبزُ و السَمَک موضوع فقال بشر: ما هذا؟ قالـت: الطعام رایتُ امّی و امّکَ فی المنام فقالتْ: اِن اردت فرَحی و ادخالک السـرور عَلَیَّ فبیعی من غزلک و اشتری خبزاً و سَمَکاً فانَّ اخـوکَ یشـتهیها قـال: فلمّـا ذکرتُ امّی و امّهُ بکا و قالَ: رحمها الله تغتم لی حیّاً و میتاً قالت: فقال بِشْر: انا لا اشتهیه منذُ خَمسَ و عشرین سنة ما کان اللهُ یرانی اَن اَرجع فی شـیء ترکتـهُ للهِ ثُم قال: و رایتُ بشر متغیّر اللون فقلت لهُ: ما لکَ متغیر اللون؟ قال: سلامة قلتُ: نشدتُکَ بالله قالَ: انا منذ اربعین یوماً آکل الطّین فی الصحراء لما لـیس یصفوا لی الاکل فی بغداد فقَد تغیّر علیّ بطنی و انا لذلکَ متغیّر اللون» او کما قالَ و لیسَ یستنکرُ لهُم ذاک اذا کانوا امنـاء الـدّین و رعـاة وصـف المتقّـین و کانت اخت بشر قصدتْ احمد بن حنبل فقالت: «مسئلةٌ إِنّا قومٌ نغزَلُ باللّیل و معاشنا فیها و ربّما تمرُّ بنا مشاعیل علـی بـن طـاهرٍ ولاة بغـداد و نحـنُ علـی السطوح فنغزل فی ضوءها طاقاتُ فنحله أَمْ نحرمه؟ فقالَ لَها: مَن انتِ؟ قالت: اخت بشر و قال: آه یا آلَ بشر لاعدمتکم لازالَ اسمع الورعَ الصادق من قبلکُم لا تغزلی» و ذکر یوسف بنُ اسباط قال: «سمعتُ ابراهیم بن ادهم یقولُ: بینا انا فی فلاتٍ من الارض اذکر فیها فنادانی حَجَـرٌ: اقلبنـی تعتبـر فَقَلَبتـهُ فـاذا هُـوَ مکتوبٌ: یابن آدمَ انتَ لَم تعملْ فیما تعلم کیفَ تطلب عِلَم ما لم تَعلَم؟» و قَدْ اَخبرَ صلی اللهِ علیه و سلّم عن صفةِ القومِ یقالُ صلی اللـه علیـه و سـلّم: «اَن اغبط اولیائی عندی مومنُ خفیفُ الحاجة ذوحظٍ مِن صلوة اللیل اَحسَنَ عبادة رَبِّهِ فی السر و کانَ غامضاً فی النـاس لا یشـارُ الیـه بالاصـابع قَلَّـتْ تراتـه ثُـمّ عُجِّلَتْ مَنِییَّتُهُ فَقَلَّتْ بواکیه» فَهل توجدُ هذهِ الصفاتُ الّا للصوفیّةِ؟ و هل خرجَ هذه الاعمال و الافعال السنیة و الآیاتُ الکریمة الّا لهؤلاء الـذّین جعـلَ اللـهُ

الورعَ سجیتهم و الزّهدَ مَطیتَهم و التوکّل علیه معتمد و بالرّضا مناخهم و علی الیقین معاملتهم و علی الإخفاء و الکتمانِ مُعَوَّلُهُمْ و بأَداءِ الفرائض نَهْمَتُهُم و بالسنن و النّوافلِ مأخذهم و علی النّصیحته للـه طویتهم و بالایثار و العطایا ارادتُهُم و من الدّنیا و اهلها فرارُهُم و مِنْ ابناءِ الدّنیا مهربهم و بالاستئناس عامةَ اوقاتهم و بطول المناجاتِ راحَتهُم و باللهِ استغنائُهُم و إلی اللهِ افتقارهم و اللـه سائقهُمْ و دلیلهُم؟

حدَّثنا ابوالطّیب الواسطی حدثنا ابوحاتم الرّازی حدثنا ابوبشر المصری حدثنا ابراهیم بن شیبة العبدی قال: «رایت حبیبا ابومحمد الفارسی فصلی کل یومٍ الف رکعةً» و حدثنا ابوالطیب النعم بن احمد الواسطی حدثنا ابوحاتم الرّازی حدثنا آدم بنُ ابی ایاس العسقلانی حدّثنا حمزة عن البیبرس بن یحیی قال: «کان حبیب ابن محمد الفارسی بالبصرةِ یوم الترویة و یُرَی بغرفة یومُ عرفه» و اعلم وَفَّقَک اللهُ لو أَنَّ الحَقَّ اذن لاهلِ المعامِلةِ من المتحققین عن الکشف عن نَعتِ وجودهم و الاخبارِ عَن بعضِ صفاتِهم و ما استسر الحقُّ الیهم فی طول مقامهم و ما تناجوه فی طول لیلهم و نهارِهم و کیفَ یُسرع الحقُّ الیٰ اجابَتَهم لَعَلِمَ المنکر انّه فی معزل من اخیارهم و روی محمد بن منصور قال حدثنی ابوعمر قالَ: «بینما فتح الموصلّی فی طریق لا یظن ان خلفهُ احد فَسمعتهُ یقولُ: الهی إلی متی ترددنی فی طرقها؟ امّا ان للحبیب اَنْ یلقیٰ حبیبهُ فما عاشَ إِلّا جُمعة او نحو ذلک حتی ماتَ» قالَ: «و سالتُ معاقا بن عمران فقلت: أَکانَ فتح فقیهاً؟ فقال لی: من فقهه ترکَ الدّنیا» و یقال: «اصابهُ اسهال قال: و کانت امرأةٌ تقومُ بخدمتِه قالت: فقال: صلیتُ المغرب و قلتُ اسرعُ صلوتی و اذهب الیه فلعلَّه یحتاجُ إلی الطشتِ قال: فَدَخل علیه شاب ابیض و جلس عندهُ إلی نصف اللیل قالت المرأة و أنا جائیة و ذاهبة مغمومة من اجل بطنه فلمّا کانَ نصفُ اللیل خَرَج فبادرتُ الدخولَ علیه فقلتُ: من هذا الرّجل؟ اطال و کنت اغتم لکَ فضحکَ و قالَ: رَأَیْتِهِ؟ قلتُ: نَعَم قال: انتِ امرأةٌ صالحةٌ هذا الخضر جاءنی مُسَلِّماً فاخبرنی انی میتٌ لیلة الجمُعة انا احضَر جنازتکَ

فی المقبرةِ الفلانية قال: فماتَ ليلةُ الجمعةِ فدفناه فی تلک المقبرة و کسر کـذا و کذا سریراً و دفِنَ بَعد العشاءِ الآخرةِ و کان قد رفع بعد الظهر رحمةُ الله علیه فاعلم ذلک» ثم ذکر احمدُ بنُ بشر قال: «قال فتح الموصلی رحمةُ الله علیـه: لو نظرتَ إلی الدنیا نظرة شهوة لقلت عینی» و ذکر الجنیدُ قال: «قلـتُ: لا فـی دارٍ تلقّنی ان فتی کانّی غریباً؟ قال: نعم کانَ من الازد و ما یشکُ انّهُ عن الابدال أهل الموصل یزعمون انَّهُ یَمشی علی الماءِ» و ذکر رباح بن الجراح قالَ: «بَلَغَ المعافا عنْ فتح ضیق من حاله فارسَلَ الیه بالف درهَمَ قال: فَردّها علیه و قـال: بهذا اُمرنا انّما قال: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَـا لَا نَسْـأَلُكَ رِزْقًـا نَحْـنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْـوَى(۱۳۲:۲۰)» و ذکـرَ محمـد بُـن الولیـد قـال حـدَّثنی ابوالیمان البصری و کانَ شیخاً فاضلاً و کانَ یواخی فتحاً قال: «کنت اصطادُ انا و الفتحُ السمک علی شطّ یلقی کلُّ واحدٍ منا حرحرته وَ کان فتح یُصَلِّی و قَـد اَلقی حرحرته رُبَّما اغفی وَ کنت رُبَّما استیقظت من نومی و هو یصـلی فرایـتُ رجلاً حسن الوجهِ ابیضُ الراسِ و اللحیة طویلٍ من الرّجال یمشی علی المـاءِ حتّی عبر الیه من ناحیة لم یبلّ ثوبة فاعتنقَهُ و جالسَ معهُ ثمَ رجعَ یمشی علـی فقُمتُ الیه فقلتُ: یا ابا محمد لقد رایت عجباً من هـذا الشـیخ قـال: یـا ابالیمان قُم رأیتهُ؟ قلتُ: قد رایتهُ من هذا؟ قالَ: هذا الخِضرُ قال: یـا ابالیمـان بالحرمة أَلَّا تُحَدِّث بهذا ما احییت فانی اتّخوفُ الفتنةَ فی ذاک قالَ ابوالیمـان: فما حَدَّثتُ بهِ حتی ماتَ» و ذکر محمدُ بنُ الهیثم قالَ: «اِعْتلَّ معروفُ الکرخیُ فدَخلتُ الیه فلما قمتُ قال لی: القَ ابانصر بشر و سلّم علیه و قُل لـهُ: یجیئنـی فجئتُ الیه و قلتُ: انّ معروفاً یسلْم علیکَ و یقولَ: تجیئنی فقالَ بِشْر: انا القـاهُ قبلَ الغداهُ ان شاء اللهُ قال: قلتُ فی نفسی: اصحبهُ أَنظُر ما یجری بیـنهم قـال: فَصَلَّیْتُ فی مسجد مغلق علی بـاب بشـر و قـال فصـلیتُ الظُهـرَ و العَصـر و المغربَ و العشاءَ فلم یـذهب قـال: قـال و شـدو الـدّریاتِ و الّسـمریاتِ فـی الدجلةِ و خرجت الحراسُ فَبَقیتُ فی المسجد فلمّـا ذهـبَ مـنَ اللیـل بعضـهُ خَرَج معَهُ فصلّی حصیر للصلوة فَنزلَ إلی الدّجله و جعلتُ أَنْظُـرُ حتـیٰ مشـی

على الماءِ و صارَ من الجانبِ الآخرَ قالَ: فَجلسَ فَذهبِ عنّی النوم قالَ: فلمّا كان عند السَّحر اقبل و هُو يمشى على الماءِ فلمّا خَرَجَ رَميتُ بنفسى فقالَ لى: مَن انتَ؟ فَتَعَلَّقْتُ بِرجلهِ و قلتُ: نشدتک باللهِ الا دعوتَ اللهِ لى؟ قال فانا افعَلُ و لكن نشدتُک الّا تعلم بهذا احداً حتى اموت قلتُ و شاهدتُ لهُ: انى اكتُم ذلک فدعا لى و دخل الدار و كنتُ هكذا» و كما قالَ.

و اعْلَم وفقک اللهُ انَّهُ لمّا تغير القومِ عَن استعمالِ ما عملوا اوقعتِ المباينة و الّا كانَ العُلماءُ على صفاتِنا و الفقهاءُ على احوالِنا حتّى قيلَ: «انَّهُ سُئِلَ الحسنُ بنْ ابى الحّسن البصرى رحمةُ الله عليه فاجابَ فقالَ السائلُ: انَّ الفقهاء يخالفونک فقالَ: تربتْ يداک و هلْ رأيتَ فقيها قط؟ انّما الفقيهُ الزّاهدُ فى الدّنيا الراغبُ فى الآخِرةِ» فهذا القولُ منَ الحسن يدل على انَّ القومَ هُم الذّين وَصفَهم و عرفول بذلک قديماً و حديثاً إلى اَنْ حَدَثَ فى القومِ منَ الدخولِ إلى السّلاطينَ و قبول صلاتهم و جوائزهُم و ساعِدهُم على ما كانوا عليه فاْفَرقت الحال بينهم و عرفوا المتحققين من المتموّلين و الآخذينَ مِن التارَكين و الزّاهدين من الراغبين فلمّا انقطعتِ العلماء منَ المعاملاتِ و ركنوا إلى التأويلاتِ كما حلَّ بنّا بمثل ما حلَّ بهم منَ البلاء كانَ الفريقانَ اذا صحّ احوالّهم كنّا ارجَحَ بافعالِنا عليهم و على احوالِ مختلفةٍ عند وُرود البلآءُ فلقد حَدَثنا عَن محمد بنُ كثير المصيصى قال: «اشتَدَ بفتحُ الموصلىُ ذاتَ يومٍ الصّداع قالَ: فَأَقْبَلَ يقولُ: لکَ الحمدُ مثلى تبتليهِ ببلاء الانبياء لَأُصَلِّيَنَّ لکَ اليومِ بخمسِ مائة ركعةً» فَلَم توجدُ مثلُ هذه للاحوالِ الّا للصوفية و ما عرفَ طُرقاتُ الحق الّا لَديهِم و فيهم و لقَد حدَّثَ ابوالحسين الدّراج الصوفى رحمة الله عليه قال: «كنتُ احجَّ فيصحبنى جماعةً فكنتُ احتاجُ إلى القيامِ معَهم و الاشتغالِ بهم قالَ: فَذهبت سنة منَ السنين و خرجتُ إلى القادسيّه فدخلتُ المسجدَ فاذا برجل فى المحرابِ مجذومُ عليهِ منَ البلاء شىء عظيمٌ قالَ: فلمّا رآنى سلّم علىَّ و قالَ: يا اباالحسين عزمت الحج؟ قال: فقلتُ: نعم علىٰ غيظ منّى عليه و كراهيّةٍ لهُ قال: فقال لى: فالصُّحبةُ؟ قال: قلتُ فى نفسى: انا هربتُ

منَ الاصحاء اقع فى يدى مجذوم قال: قلتُ: لا قالَ لى: افْعل فقلتُ: و اللـهِ لا افعلُ فقال لى: يا اباالحسين يصنعُ اللهُ للضـعيفِ حتّـى يتعجَّـبُ منـهُ القـوىُ فقُلتُ: نعم على الانكارِ عليه قـال: فتركتـهُ فلمّـا صـليّتُ العصـر مشـيتُ إلـى النّاحية المغيبة فبلغت بالغد ضحوةً دخلتُ المسجد اذا انا بالشيخ فسلّم علـىّ و قال لى: يا اباالحسين يصنعُ الله للضّعيفِ حتّى يتعجَّبُ القوى قالَ: فاخذنى شبه الوسواسِ فى امرهِ قالَ: فَلَم اجْلـسُ و حـذرتُ إلـى القرعـاء علـى العـدو فبلغتُ معَ الصُّـبح فَـدَخلتُ المسـجدَ و اذا انـا بالشـيخ قاعـدٌ فقـالَ لـى: يـا اباالحسين يصنعُ اللهُ للضعيفِ ما يتعجَّب القوىُّ قال: فبادرت اليهِ فوقعتُ بـينَ يديهِ على وَجهى و قلتُ: المعذرةُ إلى اللهُ و اليكَ فقالَ لـى: مـا لـكَ؟ فقُلـتُ اَخْطاتُ فقالَ: ما هوَ؟ قلتُ: الصُحبةِ قالَ: اليَسَ حلفت و انا انكَر اَن أُحَنِّثُـكَ؟ قالَ: قُلتُ: فاكونَ اراكَ فى كل منزلٍ فقال: لكَ ذاكَ قالَ: فذهَبَ منّى الجـوعُ و التَّعبُ فى كل منزلٍ لَيَسَ لى همةٌ الا الدّخولُ إلـى المَنـزلِ فـاراه قـالَ: إلـى اَن بلغت المدينة فغاب عنى فَلَم ارهُ قالَ: فلمّا قَدِمتُ مكة حضرتُ عند ابـى بكـر الكنانى و ابوالحسن المزيّن و الطبقـة فـذكرتُ ذلـكَ لَهـم فقـالوا: يـا احمـقَ ابوجعفر المجذوم و نحنُ نسأل اللهَ اَن نراهُ قالَ: قُلتُ: قـد كـانَ ذاک قـالوا: ان لَقيتهُ فتعلَّق به لعلّنا نراهُ قُلتُ: نَعم قالَ: حتّى اذا خرجنا الىٰ منـا و عرفـات لـم القاهُ فلمّا كانَ يومُ الجمرة رميتُ بالجمراتِ فجذبنى انسان و قالَ: يا اباالحسين السّلامُ عليكَ قالَ: فلمّا رأيته لحقنى من رؤيته فصحتُ فغشى علىَّ و سقطت و ذهبَ عنّى قال: فجِئتُ إلى مسجدِ الخيف فاخبرتُ اصحابنا فلمّا كـانَ لـوداع صليّتُ خلفَ المقام ركعتين و رفعتُ يدى فاذا بانسان من خلفى جذبنى فقال: يا اباالحسين عزمُک ان تصبحَ؟ قلتُ: لا قلتُ: اسئلکَ اَن تدع الله لـى فقـالَ: سلْ ما شِئت فسالتُ اللهَ بثلاثِ دعواتٍ فامَّن على دُعاى فغـابَ عنّـى فَلَـم ارهُ فقيل لى سلهُ عنَ الادعية فسالتهُ فبكا فقالَ: امّا احدها فقُلتُ: يا رب حبّبْ إلى الفَقْرَ فَليسَ فى الدنيا شى أَحبُّ إلى منها و الثانىُّ قلتُ: اللّهمَ لا تجعلنى ممِنْ ابيتُ ليلة و لى شىء ادّخرهُ بعد فانا منذ كذى سنة ما لى شىء ادّخرهُ و الثّالـثُ

قلتُ: اللّهم اذا اذنت لاولیائکَ ان ینظروا الیکَ فاجعلنی مِنهم و انا ارجوا ذلکَ ان شاء الله» اَو کما قالَ و هذا بعضُ صفات القومِ علی الاختصارِ دونَ الاکثار و لله المنّة و الحمدُلله و صلی الله علی محمد و آلهِ و سلّم.

الاقتصاد[١]

بسم الله الرحمن الرحيم
رَبِّ يَسِّرْ وَ أَعِن

الحمد الله الذى حمد نفسه بالثناء على نفسه المتعرّف إلى خلقه بأسمائه و صفاته المتحبّب إلى خلقه بجميل ما أنعم عليهم من آلائه و نعمائه والداعى لهم إلى خلع الأضداد و الأنداد فى توحيده و الحمد الله الذى خصّ من يشاء بلطيف هدايته و شرح صدورهم لقبول أوامره و نواهيه و حبّب إليهم ما دعاهم إليه من الإيمان بواحدانيته و سهّل لهم السبيل إلى طلب مرضاته و حذّرهم كرماً منه من أليم عقابه و زجرهم عن الوقوع فى مخالفته و أعانهم على ذلك بتوفيقه و تسديده وأسبل عليهم سوابغ ستره و حجب العباد عن رؤية زلاّتهم بمنّه و صلّى الله على آدم بديع فطرته و لسان قدرته و امام ملائكته و من كوّنه فى قبضته و أسجد له ملائكته و على محمد خاتم أنبيائه و أصحاب لواء حمده و على آله المختصين بنسبه و على جميع المهاجرين و أنصاره و على أمّته فى أمصاره.

---

١. این رساله را فلورین زوبیروی همراه با تعلیقات و ترجمه آلمانی در سال 1998 منتشر کرد. نگاه کنید به:

Sobieroj, Florian (1998). *Ibn Hafi□f as□-S□i□ra□zi□ und seine Schrift zur Novizenerziehung* (*Kita□b al-iqtịsa□d*) : *biographische Studien, Edition und U□bersetzung*. Stuttgart : Franz Steiner.

فصل

هذا كتاب اختصرته للمبتدئ من المريدين ممّا لابدّ لهم من معرفة جمل علوم المتصوّفة و خرّجته على الاختصار دون الإكثار ليقفوا على أصل المذهب و يجعلوا ذلک ذريعة منهم إلى البحث عن فنون ما صنّفوا و كشفوا من لطيف إشاراتهم و سنّى عباراتهم و بالله التوفيق.

فصل

فأوّل ما عليه فى ابتداء إرادته أن يقصد إلى حكيم من أهل زمانه مؤتمن على دينه معروفٍ لأمّته عارفٍ بطرق أهل إرادته قد قطع طريق أهل نحلته قد نازل الأحوال على حقيقته عارفٍ بطلب سنن نبيّه صلّى الله عليه و سلّم فيُسلِّمَ نفسه بخدمته و يعتقدَ ترک مخالفته و يكونَ الصدقُ حالته ثم يلزم العارف أن يعَرِّفَه كيفية الرجوع إلى سيّده و بارئه و هو التوبة إلى الله عزّوجلّ فأوّل الرجوع المعرفة بتوحيد الله و التصديق لرسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و هو تحقيق إثبات وحدانية الله بكمال أسمائه و صفاته بنفى الأضداد و الأنداد و الأشباه و أنّه ليس كمثله شىء و هو السميع البصير و بذلک أخبر الله سبحانه فقال: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»(۵۱:۵۶) قال ابن عبّاس رضى الله عنهما: أى: إلاَّ لِيَعْرِفُونِ و بصحّة ظاهر القرآن ورد السنّة قال ابن عبّاس رضى الله عنهما: «لمّا بعث رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن فقال له: يا مُعاذُ أول ما تدعوهم إلى عبادة الله عزّوجلّ المعرفة فإذا عرفوا الله فأعلمهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات» و ذكر الحديث بطوله فعلى المريد أن يعتقد صحّة ذلک تحقيقاً و يقيناً.

فصل

ثم على المريد أن يعرف الإيمان و ما يلزمه من صحّة الاعتقاد خوفاً من أن يقع فى الاختلاف و البدع فيعتقد أنّ الأيمان فى التسمية ينقسم على حالين:

أحدهما موهبة و الثانى إكتساب فأمّا الموهبة فقوله تعالى: «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»(٤٩:١٧) و قوله: «مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا»(٤٢:٥٢) و قال عّزوجلّ: «لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ»(١٤:١) و إنّما أخرجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان و قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «من أراد أن ينظر إلى عبدٍ نوّر الله الإيمان فى قلبه فلينظر إلى حارثة» و بالأنوار يقع على القلوب الانفتاح و النشراح و ذلك كلّه داخل فى قوله تعالى: «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ»(٤٩:١٧) والقسم الثانى فهو المفروض على عباده بقوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ»(٧:١٥٨) فطالبهم بالإيمان و كان خاطبهم به معروفاً عندهم أنّه التصديق فينبّه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى هذه الآيه على التوحيد فى الأسماء و الصفات ثم طلبهم أن يصدّقوه فيما أخبرهم عن الله عزّوجلّ و التصديق صفة القلب ثم قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلاّ الله و أنّى رسول الله» و ذلك قسط اللسان من الإيمان.

فصل

ثمّ يلزم المريد أنّ الأعمال من الإيمان كما قال الله عزّو جلّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»(٢٢:٧٧) و ذلك قسط الجوارح من الإيمان فدخل فى هذه الآية جميع الأعمال من الفرض و النفل و هو مسمّى بتسمية الأصل إذا كان الباعث لهم على ذلك التصديق و كلّ ذلك خضوع و تذلّل للواحد القهّار و بذلك نطق صلّى اللّه عليه و سلّم حين قال أبوذرّ: «يا رسول الله أَيّ الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله و جهاد فى سبيله» فسمّى الإيمان عملاً ثم أجمل ذلك كلّه فقال صلّى

اللّه علیه و سلّم: «الإیمان بضع و سبعون باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلاّ اللـه و أدناها إماطة الأذى عن الطریق و الحیاء شعبة من الإیمـان» فصـحّ أنّ الإیمـان تصدیق بالقلب و إقرار باللسان و عمل بالجوارح.

فصل

ثم على المرید أن یعرفَ أسماء أصول الدین و مـا اتّفـق علیـه رسـول اللـه صلّی اللّه علیه و سلّم و جبریل علیه السلام من ذلک أنّ جبریل علیـه السـلام سأل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عن الإیمان فقال: «الایمان أن تـؤمن باللـه و ملائکته و کتبه رسله و البعث بعد الموت و القدر خیره و شـرّه ثـم سـأله عـن الإسلام فقال: شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّی رسول الله و إقـامُ الصـلوة و إیتـاءُ الزکاة و صومُ و حجُّ البیت فقال: فإذا فعلت ذلک فأنـا مسـلم؟ فقـال: نعـم» و هکذا أجاب فی الإیمان فقال: «إذا فعلت ذلک فأنا مؤمن؟ فقال: نعم ثم سـأله عن الإحسان فقال: أن تعبد الله کأنّک تراه فإن لم تکن تراه فإنّه یراک» فکانـت السؤالات مفهومة و الجوابات معلومة فجعل ذلک کلّها أفعال العبد الذي هـو مطلوب بها و مجازی علیها و معاقب علی ترکها ثم قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «هذا جبریل جاءَکم یعلّمکم أمر دینکم» فـاکتفی المؤمنـون بمـا اتّفـق علیـه الإثنان جبریل و رسول الله علیهما الصلوة و السلام و ذلک مفصّل من جملـة قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «الإیمان بضع و سبعون باباً» و هذا مجمل ثم قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «بُني الإسلام على خمس» ـ الحدیث.

فصل

ثم تلزم المرید معرفة التوبة من المخالفات التي لا یخلو منها العبـاد بعـد دخولهم في الإیمان بقوله تعالى: «یَا أَیُّهَـا الَّـذِینَ آمَنُـوا تُوبُـوا إِلَـى اللَّـهِ تَوْبَـةً نَصُوحًا»(۸:۶۶) و قوله عزّوجلّ: «وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِیعًا أَیُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ»(۳۱:۲۴) و کان فـي أول المطالبـة سـمّاهم بأسـماء الجـنس بقولـه

تعالى: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»(٧:١٥٨) فلمّا دخلوا فيه سمّاهم بأسماء الأحوال فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا»(٦٦:٨) فتلزم المريدَ معرفة التوبة فصارت التوبة الرجوع إلى الله عزّوجلّ من حيث ذهابه عن الله اذا كان راجعاً إلى الله بالتصديق و التوحيد و ذلک أنّ أصل التوبة يختلف على ابتداء أوصاف الخلق من الذاهبين عن الله عزّو جلّ فإن كانت ذهابهم بالكفر و الشرک و الجحد و المعالصى فيلزم الخلق الرجوع إلى الله بالتصديق الذي ضدّه التكذيب و بالتوحيد الذى ضدّه الشرك و بالإقرار الذي ضدّه الجحد و بالطاعات التى ضدّها المعاصى فرجع طائفة بالتصديق و التوحيد و الإقرار و الأعمال و عارض طائفة مِن هؤلاء المعالصىَ على أحكام الهوى و سلطان الغفلة عن غير عقد و لا إقرار فاستحقّوا أسماء الإيمان مع كون الخلاف منهم فلم يسقط الله عزّوجلّ عنهم أسماء الإيمان و جوّز عليهم المعاصى فطالبهم بالرجوع عن المعاصى و بالله توفيق.

فصل

ثم على المريد معرفة أحكام الداخلين فى الإيمان و كيفيّة خروجهم منها بعد وقوع التسميّة عليهم؛ إعلم أنّ الله عزّوجلّ ذكر ثلاثة أصناف: كافر مشرک و منافق مقرّ و مؤمن عاص فقارن الله عزّوجلّ توبة الكافر فى حال توبتهم (!) بالإيمان و قارن توبة المنافق بالإخلاص و قارن توبة المعاصى بالصلاح فقال فى توبة الكافر: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا»(٢٥:٧٠) و قال في توبة المنافق: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ»(٤:١٤٦) وقال فى توبة العاصي: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِک»(٢٤:٥) «وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا»(٢:١٦٠) فلزمهم الرجوع إلى الله من حيث ما ذهبوا و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد عند تصحيح التوبة الرجوع إلى الله فی ظاهره و باطنه فأمّا الباطن فالندم على قبيح المخالفات من السر و الإجهار و صحة العقد على ترک المخالفات مع حلّ الإصرار و دوام الاستغفار فإذا فعل ذلک فقد دخل في تسمية التوبة في الوقت عند وجود هذه الأفعال ثم عليه صحّة ما أوجب عليه التوبة على ترتيب الموافقات بمفارقة ترتيب المخالفات فأوّل ذلک ما ضيّع من عبوديّة الله تعالى مثل الصلوة المفروضة بترک صحّة الركوع و السجود و الطمأنينة و الاعتدال مع الجهل بأحكام الطهارات و وضع الوضوء مواضعها مع الغفلة بالنيّة و الصيام مع الجهل بأحكامه و ما يفسد على الصوم و ما يصلحه ثم عليه ردّ المظالم على العباد الذين هم عليه فمن عليه الظلامة فی ماله فعليه أن يردّه و يستحلّه أو يكسب عليه فيردّه فإنّ مات المظلوم ردّ على وارثه و أمّا ما كان من ضرب الإنسان فالقصاص و الاستحلال منه و ما كان من الغيبة و الوقيعة و النميمة و الشتيمة فالاستحلال أو الاستغفار لصاحبه و بالله التوفيق.

فصل

ثم على التائب من المريدين أن يعلم أحكام نفسه و معرفة دواعيها و الوقوف علي شرورها و يعلم أنّ لها أخلاقاً وحشيّة و أوصافاً جموحية فيعمل في ملاطفتها في إلزام أحكام التوبة فی الظاهر و يعتقد لها العداوة فی الباطن فيلزمها القمع بالرياضة و الكسر بالمجاهدة و يطالع اختلاف مطالبتها فيما تهوى و المبالغة فی منع شهواتها و يأخذ عليها أنفسها فی منع لذّاتها بدوام الحراسة و يتفقّد أوقاتها بالمراعاة لها لتستديم له صحّة ما اعتقد من التوبة و أحكامها و يعلم أوقاتها في حال الزيادة و النقصان فی الأيام و الليالي مع ترک الإغفال عنها فإنّ بذلک تدوم له صحّة العبوديّة و القيام بصحّة المجاهدة فإنّها مأوى كلّ سوء و بذلک وصفها الله تعالى أنّها أمّارة بالسوء و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد بعد المعرفة بسوء أخلاقها الجدّ و التشمير في منازلة الأفعال و كثرة الأوراد فيلزم الصوم على الاستدامة فإنّها تسدّ خلل الهموم عن القلوب مع ترک المطعم و المشرب فتنقلب صفاتها و ينقلها عن عاداتها فيجعل بدل الشبع جوعاً و بدل النوم سهراً و بدل طيب مناولة ما أراد ترک الشهوات و بدل الرفاهيّات طول المجاهدات في إلزام ترک المحابّ و يمنعها عن التمتّع بلبس الفاخرات فيلبسها الصَّغار و الذّلة و يلبس الخشن الضيّق حتى لا تجد العزّ و الفخر فيها مساغاً فإنّ ذلک مانع له عن طلب الفضولات بالرجوع إلى ما كان عليه من البطالات و الغفالات و التهاون بالفرائض و الإعراض عن النوافل و يطالبها بدوام الصلوات و أن يستديم الجماعات و أن يقلّ المجالسات مع مراعاة الخلوات و كثرة البكاء فى الأسحار فاحذر ألّا يفوتک طلب التوبة و الاستغفار من الذنوب فی تلک الأوقات و يكون القلب منک مفتقراً و اللسان منک سائلاً و يعفّر الوجه فی التراب بين يدي الله عزّوجلّ مغفرةً و يراعی النفس فی تضاعيف ذلک عن عوارض الفترة و ترک الملال فی الخدمة و يحذر عن معارضات التأويل في طلب العلم ممّا فيه الرُخص المؤدّي إلى الفترة و إيّاک و أكل اللحم فإنّ لها ضراوة كضراوة الخمر و قد قيل إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى داود عليه السلام فقال: «يا داود ما بال الأقوياء و مناولتهم الشهوات إنّما جُعِلَت الشهوات لضعاء خلقي إنّ القلوب المتعلقة بالشهوات عقولها عندها محجوبة عني» و بالله توفيق.

فصل

ثم على المريد طلب أخلاق الكرام و مطالعة أهل الوفاء ممّن مضى من صدر هذه الأمّة ممّن خرجوا على السلامة و يكون مراعياً لقوله تعالى: «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ»(۲۴-۲۳: ۳۳)؛ و اعلم أنّ أول فتنة

المريد مجالسة أهل الرخص و المتأوّلين و أول عارض من الفترة طلب العلم المانع لهم عن حقيقة حالهم و الانقطاع عن مقاصدهم فيركنون إلى التأويلات في طلب التبحّر فى فنون الروايات عند مجالسته مع هؤلاء الفرق الفتّانة فقد روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: «دخلت على عمر رضي الله عنه و هو يبكي فقلت: ما يُبكيک؟ قال: ذكرت أقواماً يكونون فى آخر هذه الأمة يتسمّون بالعلماء و يتشبّهون بالعلماء و قد وعوا ما قالت العلماء عيّابين لعّانين طغّانين مغتابين لا اللهَ يخشون و لا الناسَ يهابون هم و أشياعهم أول ما يُسَدّ بهم أركان جهنّم فينادون: واصلاتاه واصياماه لا يجابون و لا يسمع منهم قم عنّى ! فقمت عنه و هو يبكى و أنا أبكى» أو كما قال و قد وصفهم أنّهم قد وعوا ما قالت العلماء إلاّ أنّ الله تعالى لم ينفعهم بعلمهم لتخلّفهم عن استعماله و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد الحذر من مطالعة علم يُقعده عن إقامة الأحوال الموظّفة و يجنح إلى داعى الرخص بورود الفترة و أن يحذر أن يورثه الإغماض في مناولة الدنيا و المسامحة فى أخذها فإنّ الله عليک الرقيب بل عليک منه زجر و تهديد و قد وصف الله قوماً في ذلک فقال: «رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»(۵۷:۲۷) فقد أعلمكم الله ما اختارو طلباً لرضوانه و النجاة من أليم عذابه فصار آخرهم بترک الوفاء و القيام فيها من الفاسقين فأعماهم عن البصيرة التى كانوا بها قاصدين و فيها سائرين و قد قال عزّوجلّ: «وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ»(۲:۲۶۷) و ذلک أنّ بلاء المريد و فتنته ظهور الفترة و الرجوع إلى أحكام الرخصة و ذلک أنّ أصل الفترة إنقطاع موارد الغيب عن القلوب مع تسكين الحدّة و ذهاب الإرادة و خمود الطلب عند ركون النفس إلى التأويلات بكثرة الروايات من أوصاف المفتونين من صدر

هذه الأمة كما وصفهم عمر رضي الله عنه فصارو فتنةً على المريدين و احتّج بهم الفاترون ممّن رجعوا عن طريق الإرادة الذين قد رموا نفوسهم عن أحكام المحظورات و ماكسوا نفوسهم في أخذ المباحات و جاهدوا نفوسهم في منع الشهوات خوفاً من فتنة الدنيا طلباً لترک المسائلة في القيامة لمّا سمعوا من العلماء حقائق الصادقين و إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم خرج فرأى أبابكر و عمر رضي الله عنهما و هما جائعان فأخبر عن نفسه صلّى اللّه عليه و سلّم بعض ما كانوا فيه فحملهم إلى بيت بعض الأنصار فأطعمهم خبزاً و لحماً و بسراً و شربوا من الماء فقال: «إنّ هذا من النعيم الذي تسألون عنه» و كان القصد مرتفعاً و الطمع منهما غير موجود خاطبهم بذلک حتّى يسأله عمر فقال: «إلاّ ما يستر الرجل عورته أو يسدّ جوعته أو بيت يواريه من القرّ و الحرّ و ما فضل عن ذلک فليس لابن آدم فيه حقّ» فلا زال أحكام الفترة فيهم متحكمة إلى أن واقعوا الدنيا فأخذوها و رجعوا إليها أقبحِه (!) فخرّج قول النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم عليهم إلى أن قال: «فمن كانت فترته إلى سنّتي فقد نجا و إلاّ فقد هلک» و بالله توفيق.

فصل

ثم على المريد إن طالبته نفسه بتعلم العلم أن يقصد إلى أجلّ العلوم و أسناها بتعلم علم الزهد و الورع المؤديين إلى إصلاح المطعم و الملبس الذي لا يصحّ لنبيّ و لا صدّيق و لا شهيد و لا بديل إلاّ بصحّته إذ كان مدار الدين عليهما و قبول العبادات بهما فإنّ تصفية القوت و الملبس يؤدّيان التائب المريد إلى الإستقامة في أداء الفرائض و النوافل و قد قال النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «و مطعمه حرام و ملبسه حرام فإنّى يُستجاب له» و قد قال صلّى اللّه عليه و سلّم لسَعدٍ: «إن أردتَ أن يجيب الله دعوتک فطيّب مطعمک» فكان يُعْرَف في أصحابه أنّه مجاب الدعوة فقال: «ما دخل في جوفي إلاّ ما علمت من أين مخرجه» و هو رأس العبادة و سنام ذروتها و بذلک يجد المريد الزيادة

فی حاله و بالإغفال عنها و المسامحة فیها طالت حیرته و قلّت برکته و فقد الروح و الراحة فی عبادته و بالله توفیق.

فصل

ثم علی المرید أن یعلم أنّه لا یصحّ له ما ذکرنا من الأفعال إلاّ بتعرّف علم الإخلاص فإنّ الله تعالی طالب العباد بذلک و أوصل علی العبودیّة و داناها بالإخلاص فقال عزّوجلّ: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»(۹۸:۵) إذ لا یقبل الله من القربات إلاّ ما کان لله خالصاً و هي إفراد المقاصد لله و تصفیة الأعمال عن رؤیة الخلق و لا یصحّ للمرید ذلک حتی یصحّ له علم التوحید و المعرفة بأوصاف الله فیتحقّق أنّه الضارّ النافع المعطي المانع و أنّ مقالید السموات و الأرض بیده فیکون القصد في إتیان العبودیّة طلب نواله و الطمع فی غفرانه و الفوز بجنّته و الهرب من ألیم عقابه و أنّه قالْ: «قائِمٌ عَلى كلِّ نَفْس بِما كَسَبَتْ»(۱۳:۳۳)مع معرفتک بمقادیر الخلق وضعفهم و قلّة نفعهم و ضرّهم: «وَ أَنَّهُم لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا»(۲۵:۳) و أنّهم کما وصفهم: «لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا»(۱۹:۴۲) فالخلق بالحقیقة کما وصفهم إبراهیم صلّی اللّه علیه و سلّم مع صحّة عقدک علی ما خاطب رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم ابن عبّاس رضي الله عنهما فقال: «یا غلام إعلم أنّه لو اجتمع الأوّلون و الآخرون علی أن ینفعوک بشيء لم یقدّره الله علیک ما قدروا علی ذلک» ثم قال: «جفّ القلم بما هو کائن إلی یوم القیمة» و إنّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «لا یجد أحدکم حلاوة الإیمان حتی یعلم أنّ ما أصابه لم یکن لِیُخْطِئَهُ و ان ما أخطأه لم یکن لیصیبه» فتکون المقاصد مبنیّة علی هذا العلم مع صحّة المعرفة بالحقّ إذ یقول: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(۳:۲۶) مع صحّة العلم بمقدار المخلوقین أنّهم لا یملکون لأنفسهم ضرّاً و لا نفعاً

فيصحّ الإخلاص على تيقّظ القلوب على أوصاف المعبود و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد أن يعلم الإخلاص يجري على أوصاف مختلفة و هو فرض في جميع العبوديّات فأوّل الفرض الإخلاص فى التوحيد لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنّة» و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده و عبادة ربّه لا شريک له فارقها و الله عنه راض» ثم قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «و هو دين الله الذي جاءت به الرسل و بلّغوه عن ربّهم قبل مرج الأحاديث و اُختلاف الأهواء» فالإخلاص في التوحيد إفراد الموحّد بكمال ما أخبر عن نفسه من أوصافه و صفاته و أسمائه ممّا نطق به الكتاب و أخبر عنه الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و أنّه المتفرّد بالعزّ و الكبرياء و القدرة و السلطان و العظمة الحيّ القيّوم الذي لا يموت وَ أنّهُ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»(۴۲:۱۱) بلا تشبيه و لا تمثيل و لا تصوير و لا مقايسة و لا مخايلة و لا ممازجة و أنّه لا يُشَبَّه و لا يوصَف بالأعضاء المفصّلات و لا بالتراكيب المخترعات و لا يوصف بالألسنة و اللهوات و لا يوصف بالسكون و الحركات و لا بالزوال و التقلّبات إلهاً واحداً أحداً صمداً فرداً «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»(۴-۳: ۱۱۲) و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد بعد تصحيح العقود بإخلاص التوحيد أن يعلم الإخلاص في العبودية الذي قال: «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»(۱۸:۱۱۰) و إن كان التوحيد من أجلّ العبوديّات فهو خاص من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فالإخلاص في العبوديّة تصفيّة الأعمال عن ذكر أذكار الخلق و رؤيتهم و صحّة القصد فيما طالبک الحقّ به و ندبک

إليه فرضاً و فضلاً إزالة المخلوقين و إقساط المربوبين فيكون الله الغالب على قلبک فی مقاصدک عند التماس النوال منه بعبوديّتک و تمنع القلب عن طلب الجاه و الرفعة عند الخلق في عبوديتک له حتى يكون كما قال: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ»(۳۷:۹۹) و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد أن يتفقّد عِلمَ الإخلاص من الحكماء و أن يسعى بمقدار علمه في إخلاصه حتى يعرّفه الحكيم أنّ الإخلاص في الأوصاف و أجلب ذلک إخلاص الهمّة عن المتفرّقات و الخروج عن موافقة الصفات و ترک موافقة النفس عند مطالبتها و ترک مراعاة الخلق فی منافعک و إزالة الهمّ عنهم فيما أنت متصرّف فيها من أمر دنياک و آخرتک فيكون الهمّ في الله همّاً واحداً و إنّه المراد و المقصود عزّ وجلّ وذلک أنّ الهمّة إذا خلت عن الأسباب طالع الملكوت و قرب من المحبوب و قد أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: «أنزلْني عن نفسک لهمّک واجْعلنی ذُخْراً لمعادک و تَقَرَّبْ إليّ بالنوافل أُدْنِکَ و لا تَوَلَّ غيري فأخذلک كن يقظاناً إذا نامت عيون الغافلين وراعِ الليل لتحرّي مسرّتي و اظمأ نهارک اليوم الذي لک عندي» فإذا منعتَ الهموم عن مراعاة طلب الحظوظ للنفس صفا الهمّ و طالع الغيب و بتفرّقها في طلب حظّها تتشتّت عليک الهموم و يتولّد عليک كثرة الغموم ثم لم يبال في أيّ وادٍ هلک وبالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد استعمال الإخلاص في جميع أحواله حتى في مأكله و مَلبسه و تصرّفه فيخلّص الأكل عن حظّ النفس فيكونَ آكلاً لحقّ و يمنعها عمّا عليه لسان العلم فيفارق المناولة على الشره المتولّد من الطبع و يفارق التكالب على أخذها عند منع النفوس عن حظّها بقوّة الشهوة الثائرة من الطبع

عند الطلب الطيّبات و مطالعة اللذّات بأحكام الهوى بالاختيارات كما أجاز صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله: «إنّ لنفسک علیک حقّاً فيقصد إلى إعطاء حقّها دون حظّها» فأوّل ذلک أن يصفّي الطعام من الحرام و يخلّصها من الشبهات و يقوم على المحدود من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ثُلْثٌ للطعام وثُلْثٌ للشراب و ثُلْثٌ للنفس» و هو الاعتدال عند الحاجة على تقويم النفس على أحكام السياسة و تراعى صحّة الوفاء فيما اعتقدت أنّک لا تأکل إلّا لله دون نفسک فتدخل في جملة من قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما يستر الرجل عورته أو يسدّ به جوعته أو بيت يواريه من القرّ و الحرّ» و أن لا يختار عند القدرة و أن لا يبسط عند التملّک بالأغذية الشهيّة بل يصرف الفضول في وجوه القربة و يقيم النفس على منهج النبوّة الذي کان يربط على بطنه الحجر و الحجر من الجوع صلّى اللّه عليه و سلّم فتخلّص أکلک عن نفسک و تکون لربّک خالصاً و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ على المريد أن الإخلاص في اللباس كما استعمل ذلک في أکله فيکون رجوعه إلى اللباس بترک الجمال و محبّة البذاذة و أن يقتصر على ما يؤدّى به الغرض و لا يزدرى به عند الأغنياء و أن لا يترفّع على الفقراء و يحذر الشهرة فإنّه قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «من لبس ثوب شهرة ألهب به في نار جهنّم» و يقصد إلى ما مدح صلّى اللّه عليه و سلّم: «من ترک من ثوب جمال و هو قادر على أن يلبسه من حلال کساه الله من حلل الکرامة يوم القيامة» فيأخذ من اللباس ما يدفع الحر و البرد بترک الزينة و أن يکون في جملة العَوام و لا يقصد إلى لباس لم يسعه حقيقته إلى لبسها فيکون متشبّعاً بما لم يُعْطَ فيتحلّى بما ليس فيه و يتمنّى أحوال الصّدّيقين لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ليس الإيمان بالتحلّي و لا بالتمنّي ولکن ما وَقَر في القلب و صدّقه العمل» فيکون لباسه بخمسة دراهم و شهوته و إرادته بعشرة دراهم فيکون علانيّته أعلى من سرّه و

ذلک ساقط من نعت الصادقين و يحذر في لباسه الترفّع على الأنام فيدخل في قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ثلاث لا ينظر الله إليهم و لا يزكّيهم و لهم عذاب أليم: الشيخ الزاني و الإمام الكذّاب و الفقير المختال» فيكون في لبسه قاصداً إلى أداء فرائضه و ستر عورته و ترک ما لا يليق بوصفه و لباسه فيكون متواضعاً متذلّلاً منكسراً غير متكبّر و لا يترفّع في لبسه و ليحذر المريد أن لا يغرّه الشيطان بالإعجاب فيتطاول على الأنام و يترفّع على نظرائه و أن يطالب بلبسه نوالاً من عباده أو يظهر في لباسه طمعاً لِما في أيديهم أو يُري بلباسه حقوقاً له على خلقه فيرجع في حاله إلى مقصود سوى الله فيزيله عن الإخلاص و يأوي بإراداته إلى المخلوقين و بالله التوفيق.

فصل

ثم يلزم المريد أن يعرف ما حذّر صلّى اللّه عليه و سلّم من أوصاف الفقر المختال إذ كان ذاک الحال مطيّته و سجيّته و مطلبه فيعلم أن شواهد الفقر المختال هي التكبّر بحاله على عباده و الترفّع في نفسه على أشكاله و أنّ الذي أدّى الفقير إلى التكبر و الترفّع قلّة العلم لا محالةً و نظره إلى نفسه بعين الكمال و أنّه ليس هناک مستزاد فرأى فضل فقره برؤية نفسه و شرف حاله أنّه لا مثَلَ له في حاله فأدّاه رؤية حاله إلى استعباد الخلق و طالبه بالانقياد له فلم يرَ لعالم لبيب و لا لحكيم أديب و لا لناسک خبير عنده مقداراً فتلاشى مقدار الخلق عند رؤية مقداره فصار نظره إلى شرفه و علّو حاله مستغنياً بها و مستقلاً بما هو فيه فاستصغر الأنام مزرياً بما يُعطَى مستدعياً لاكثر من ذلک فيكون في حال أخذه متقلّلاً مزرياً بالمعطي غليظ القلب عليه لِما يرى من التقصير منهم في حاله و أنّه لم يعرف مقداره كمعرفته بمقداره و لا بالقليل يشبع و لا بالكثير يشكر فبرؤيته لنفسه يرى أنّ ما في أيدي الناس حقّه و أنّه المستحقّ بحاله و هو بعين التخلّف أليهم ناظر و برؤية تقصيرهم شاهد فالغضب عليهم سجيّته و الحقد و الغيظ منه لهم أرومته والبغضاء لهم في وهمه و النظر اليهم بعين

الإزارء محبّته والوقيعة و اللؤم لهم إرادته و ترک التسـليم علـيهم نهمتـه و الـرد لجواب السلام لهم غرامته و مجالسته لهم خسارته و النظر إليهم بعين الشين و التقصير حالته و لذلک عاقبه الله بترک النظـر إلـيهم و قـارنهم مـع الزنـاة فـي مخالفته فليحذر الفقير من المريدين من هذه الأوصاف أن لا تعارضه فيواقعـه فيهلک مع الهالکين و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد الإخلاص في كلامـه عنـد إظهـار و الإخبـار عـن أوصـافه فيكون القصد منه في طلب علمه و إظهار ذلک و نشره على عبـاده و أن يکـون في طلبه إرادة النجاة و ما يعود اليه نَفعه فأوّل الإخلاص في طلبه ما يحتاج إليه في حركته و سكونه و ما هو مطلوب من عبادته و يراعي قوله صلّى اللّه عليـه و سلّم: «مَن طلب العلم ليماري به العلماء أو يجاري به السفهاء أو ليصرف بـه وجوه الناس أليه فهو فى النار» فيكون شغله في طلبه معرفة الحلال من الحرام و الحقّ من الباطل و أن يجعل مطيّته إلى الله بالنجاة مـن عـذاب اللـه و أن لا يشتغل بطلب علم قد كفاه الله عزّ وجلّ أمره و قد قام من هو مطلوبـه فيشـغله عمّا هو أولى به و أنفع له من طلب علم ما طالبه الله عزّوجلّ في اليل و النهار و السرّ و الجهار من أحكام مأكله و ملبسه و صلوته و صيامه و مـا هـو مـدفوع إليه من مراعاة نفسه و انتصاف عدوّه و دواعيه و ما طالبه الله من صحّة التوجّـه إليه فإنّ في ذلک تأثيراً في الإخلاص وضعاً في الحقيقة و أنت موصوفاً(!) بترک ما يعنيک ذاهباً (!) عن طلب ما لا يعنيک و قال صلّى اللّه عليه و سـلّم: «مِـن حسنِ إسلام المرءِ تركه ما لا يعنيه» و بالله التوفيق.

فصل

ثم يلزم المريد أن يُخلص في نشر ما علم و أظهـار مـا فهـم فيحـذر أن لا يعارضه عرض من الدنيا و طلب الجـاه و الرفعـة و اسـتعطاف الخلـق و رفـع

المنزلة و أن يقفوا آثاره فقد قال صلّى اللّه عليه و سلّم عن جبريل عن الله عزّوجلّ فقال: «يا محمّد بَشِّر أَمَّتک بالسَّنا و الرفعة و اليقين و التمكين في الدين فمن عَمِل عَمَل الآخرة يريد به الدنيا فليس له في الآخرة من نصيب»؛ و اعلم أنّ الله عزّوجلّ قد ذمّ طالبي الدنيا بالدين و ذمّ رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و قد حذّر الله عزّوجلّ عن الأمم ممّن كانول يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: «هٰذِا مِن عِند اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ»(۲:۷۹) و قد قصّ الله عزّوجلّ علينا أخبارهم و عرّفنا صفاتهم كذلک مُظهر السنّه للدعوة و أظهر الحكمة و طلب بذلک المنزلة و أراد الرفعة و الوصول إلى الدنيا الدنيّة فدخل في جملة من لم ينفعه الله بعلمه و منه استعاذ صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: «و أعوذ بک من علمٍ لا ينفع» و رُوِيَ عنه أنّه قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا يكون أحدكم مثل السراج يحرق نفسه و يضيء غيره و لا يغرَّنّ أحدكم كثرة من حوله» و ليحذر المريد من تعلّم المراء في الدين و الجدال في حال المنافقين و ينبغي للمريد أن لا يحترف بوصفه من العلم و الحكمة و أن لا يزري بغيره و أن لا يصول بحاله و أن يكون فى نشر العلم ناصحاً لعباده غير طامع فيهم و يكون في نشره مراعياً لنفسه خوفا من الإعجاب بفعله فيعارضه الترفيع على الأنام و ليحذر أن لا يكون كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «أوّل من يدخل النار ثلاث: القارئ و الغازي و السخيّ قال: فيسأل القارئ ماذا أردت بقراءتک؟ فيقول: أن تكون كلمة الله هي العليا فيقال له: كذبتَ انّما أردتَ أن يقال: فلان قارئ و قد قيل ذلک ثمّ يؤمر فَيُسْحَب على وجهه في النار» و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ يلزم على المريد تفقّد ما ورد من أخبار الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و التفقّه فيها فقد روي عن عدي بن حاتم قال: «قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إذا كان يوم القيامة بعث الله أناساً من الناس إلى الجنّة حتى إذا دنوا منها

و نظروا إلى ثمارها و استنشقوا من رائحتها و إلى ما أعدّ الله لأهلها فيها نُـودُوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها قال: فيقولون: يا ربّنا لو فعلتَ بنا هذا قبل أن تُرِيَنا ما أريناه كان أسـهل علينـا فيقـول: هـذا أردت بكـم كنـتم إذا خلـوتم بمحارمي بارزتموني بالعظام هبتم الناس و لـم تهـابوني أجللـتم النـاس و لـم تجلّوني تركتم للناس و لم يتركوا لي اليوم أُذيقكم من عذابي مـع مـا حَـرَمتُكُم من ثوابي» فاسمع يا أخى فإنّه أظهر فيها أوصاف من أظهر الترک و کان بنعـت المراءاة و إنّه غلب على قلوبهم من تعظيم الخلق ما نشزهم عـن تعظـيم اللـه تعالى و إجلاله و أخبر أنّهم هابوا الناس فغابوا عن هيبة الله تعالى و أنّهم كانوا مطلوبين بالتعظيم و الهيبة لله فيكون تركهم لما أرادوا تركها تعظيمـاً و إجـلالاً لله عزّوجلّ فقد أخبر أنّ الترک لكلّ ما لا يرضي الله عزّوجلّ تركوا لغير اللـه و ما كان من مخالفات و الموافقات فكان ترک المخالفة خوفـاً مـن الخلـق كمـا وصفهم الله إذ يقول: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّـهِ»(٥٩:١٣) و مـا كان من الموافقات كان قصدهم فيها التماس الجاه و المنزلة فتركوا للخلـق لا للخالق و أظهروا ما كان الحق المستحق من عباده تعظيماً و إجلالاً فعظّموا ما صغّرهم الله فى عبوديتّه و أعرضوا عن تعظيم الله تعالى و هذا الحديث خاصّ للمريدين و عامّ للمؤمنين و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد في صدق دعواه و افتقاره في نجواه أن يراعي الليل لتحـرّي مسرّة الله فإمّا أن يكون نائماً لله أو نائماً بالله و ليحذر أن يكون نائماً عنـه فقـد ورد في مناجاة داود عليه السلام: «كَذَبَ مَن ادَّعَى مَحبّتي فإذا جَنَّهُ الليـلُ نـامَ عَنّي أَلَيسَ كُلُّ مُحِبَّ يُحِبُّ خَلوةَ حَبيبِهِ هَا أنا ذا مُطَّلِعٌ على قلوب أحِبّائي فـإذا جَنّهم الليلُ تملّقُوني» و ذلک أنّ النائمين لله هم القاصـدون إلـى أخـذ النـوم بُلْغَةً ليستعينوا بذلک على القيام في آخـر الليـل حيـث يظهـر الحـقّ بالـدعوة لعباده فيقـول: «ألا مِـن داعٍ؟ فأسـتجيب لـه: ألا مِـن سـائل؟ فأُعطِيـه ألا مِـن

مستغفرٍ؟ فأغفر له» فكرهوا أن يكون محبوبهم يناديهم و هم عنه موتى في طيب الرُّقاد على فرش المهاد و أمّا النائم به فهم الذين أيقظهم من نومهم لمعرفتم بمن «لاتَأخُذُهُ سِنَةٌ ولانَومٌ »(۲:۲۵۵) فكانوا على إزالة ذلك منهم معتقدين أن لا يقصدوا إلى لذيذ الرقاد طالباً للسهاد فورد النوم عليهم بلا اختيارهم و هم الممدوحون بقوله: «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ »(۳۹:۹) ثم قال: «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا»(۲۵:۶۴) فهم على طيب المناجاة و ورد عليهم النوم فناموا في سجودهم قال: «فيقول الله عزّ و جلّ: عبدي ساجد و روحه عندي» و لا يكون ممّن نام عنه قصداً إلى طيب الرقاد قد تخلص من بلاء النهار و تعب الغفلات و كثرة الهفوات و ركوب الزلّات ممتلياً من الموبقات قد أثّر في الفرائض الموظّفات قد نسي ذكر الله عزّوجلّ في حال رقاده نام على غير وضوء كلّما انتبه كره ورود النهار لم يشبع من النوم و طره و لا أخذ منها أربه فإذا انتبه أصبح قد بال الشيطان في أذنه كسلان تعس النفس.

فصل

ثمّ على المريد استعمال الصدق فيما أعطى من نفسه أن يتلبّس من ثوب الحريّة بإسقاط الرغبة من قلبه و أن يشتمل بثوب الزهد الذي يُسقِط عنه ثوب المذلّة و يراعي القناعة لتصحيح حاله بإسقاط ثوب الزيادة و يعمل في التحرّي باليسير من البلغة و يتجافى عن حالة الشَّرَه و يطوي بطنه لجاره باستعمال الجوع و طلب الإيثار ليظفر بالكرم و يختار التقّلل ليريح نفسه عن تعب الطلب خوفاً من النزول في أوساخ الناس و يقمع التكالب بشدّة المجاهدة ليستريح من كثرة الغموم و يُفني دواعي نفسه بالإمساك عن الأشر و البطر و يعمل في إرالة مطالبتها و ترک دواعيها التي تستر القلوب عن رؤية ضمان الله عزّوجلّ فقد قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما مُلِئَ وِعاءٌ شرٌّ من بطن ابن آدم حسبه لُقَيْماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه فإن كان و لابُدّ فَثُلْثٌ للطعام و ثُلْثٌ للنَفَس» و قد

صرّح بالدعوة تعريضاً فيقال: «إذا سَدَدْتَ كلبَ الجوع عنك برغيفٍ و كوزٍ من ماء الفرات فعلى الدنيا الدَّبار» و بالله التوفيق.

فصل

ثم على المريد إذا أراد الدخول فيما وصفت لک أخذه بزمام نفسه فألبَسَهُ ثوبَ أخراج الرغبة و النظر في مخارج المطعم و الملبس و أن لا يهمل نفسه بالتسوّف و الأماني بل يسارع فيما اعتد و يزّم نفسه عن الاتّساع في المأكولات بانزمام الهمّة في مناولة الشهوات و أن يراعي قوله من الشره و السؤال للفضولات مع شهوده أنّ أهل الدار من المُتْرَفين و أهل الأسواق من الكاسبين و أهل التقوى من الناسكين و أهل العلم من المتبحّرين أنّما صانوا نفوسهم باستعمال التقلّل و وُصِفُوا برفض الفضول و نقلت صفاتهم في دواوين العلماء بانقطاعهم عن الدنيا و أسبابها و ترک مداخلة أبناء الدنيا و طلابها و إنّما أهلكهم طلبُ فضول الدنيا و أوساخها و عامة من غلب عليه الهلاک من أتّسع فيما قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «من وُقِيَ شرَّ ما بين لِحْيَيْهِ و فَخْذَيْه ضمنت له الجنّة» فصار القرّاء أذلّاء عند أبناء الدنيا و أهل الأسواق هلكى في طلب حطام الدنيا و أهل الجدّة و الأغنياء فقد أهلكهم طلب الإكثار لزوائد مائدةٍ و لباسٍ فاخرٍ فصاروا هالكين و لطلب الازدياد والهين و أهل الأكساب متألفين و القرّاء طامعين و كلّهم عن الله ذاهبين و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ على المريد مطالعة ما رسمتُ من أوصاف الفِرَق على اختلاف أرادتهم و كثرة رغبتهم و كيف أخرجهم إلى الهلاک و يعرف السبب الموجب لهم من الوقوع في هذه البليّات فيشتمل بثوب التجافي و مفارقة أوصاف أهل البلاوي و يطلب أوصاف أهل العوافي بمطالعة الدار الفانية و ذهابهم عن الدار الباقية و ما قد دُفعوا إليه من التعب و النصب فيعمل في طلب الراحة و يركب مطيّة

التقلّل و رفض ما فيها فيكون العلم بأهل الدار و من فيها مطيّته و الزهد و الورع سجيّته و القناعة و التقلّل حليته و طلب الزلفة و الرغبة في الله إرادته و طلب العافية و ترک التعرّض للبلاء نهمته و قصر الآمال و الخروج من الدنيا أرومته و الاكتفاء بالله و الاستعانة به حقيقته و ترک مداخلة أبنا الدنيا و الطالبين لها صناعته و عند استعمال ما وصفتُ لک هِمّته و إسقاط الفضول من القول و مطالبة الطالبين لبسته و بذلک طاب عيشته و سمحت نفسه و استجابت أطواره و زكت أفعاله و خفّت مؤونته و سلم المسلمون من لسانه و يده و أعرض عن كثير من أشكاله لاستدامة شغله و مراعاة حاله و أعرض بالكليّة عن دار جعلها سجناً لأوليائه و جنّة لأعدائه و استحيي من الله تعالى أن يطَّلع على قلبه و هو عاكف على ما أبغض الله و طالب لما لم ينظر الله إليه فأعرض عنهما و اُكتفى بربّه عزّوجلّ و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ على المريد أن يحذر عند انتشار ذكره و إظهار نسبته و إذا عرف عند الخاصّ و العامّ عند ظهور حاله إذا وُصِفَ بالأحوال السنية و مُدّت إليه الأبصار و أشاروا إليه بالأصابع و بذلوا له الأموال من كلّ ناحية و أبيح له الأملاک سرّاً و علانية و خرجت الألسنة بالثناء عليه فيَحفظَ نفسَه و يراعي سِرّه و يلزم الوفاء بصدق أهل حاله من صحّة القصد فيما أعطاه الله من نفسه من الأحوال التي بها أوصَلَه إلى هذه المنزلة و الرفعة و المقامات السنيّة و فأنّه أوان اختباره و صدق مطالبة الحق فيما أعطاه من القيام بالعبودية و أسقاط الخليقة من قلبه و أن لا يجنح إلى الدنيا الدنيّة فأنّها قُبلت بتركها و أظهر الله شأنه في التجافي عنها و يراعى قوله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ»(۲۴-۲۳: ۳۳) و يطالع أحكام غيبه في الامتحان و يحذر الركون إلى التأويل الذي أهلک أهل زمانه من المنسوبين إلى التقوى من أهل نحلته و

الفاترين من أهل قضيّته و الناكثين بعهده و يعمل في تضاعيف ذلك كثرة اللياذ و إظهار الفقر و الاعتذار و التنصّل بالأسحار مع دوام الاستغفار و أن يستعيذ بالله من شرّ نفسه و أن يسأل الله أن لا يردّه إليها طرفة عين فيكون من الهالكين و أن يستعين بالله في إخماده و إقماعه و أن يكثر الافتقار و طرح الكنف عند العزيز الغفّار و ليعلم أنّه أوان بلائه و مطالبة اختباره و إظهار صدقه و إخلاصه و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ على المريد الصادق أن يعلم لا يُترّک سُدىً و أن يُسْتَخرَجَ منه صدقُ ما أَعْطَى من قيام الحال بصدق الوفاء و أنّ الله عزّوجلّ قد أخبر بقوله: «الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»(٣-٢: ٢٩) فكلّ من ظنّ ذلک أو سبق إلی قلبه أنّه لا يستخرج منه حقيقة ما أدّعی فهو مفتون و أشار إليه قولُ الله تعالی: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى»(٧٥:٣٦) و أن لا يُبتَلَی و لا يُطالَب بحقيقة ما أعطی من نفسه في حال العوافي بانقلاب الأعيان من التلوين و التغيّر فعليک أيّها المريدُ أن تُراعيَ صدق الحال و أن تتلبس بثوب الأكياس و تلزَم الحال و تعمل لِما بعد الموت و تحفظ و تعلم ما أوصَلَه الحقّ إلی مُحبّيه و تهتف بصوت الرعاية و الزم المجاهدة علی نفسه (!) فيدعوه إلی الله و يحذر أن لا يقف مع المدّاحين له و أن لا يغترّ بالمثنين عليه و أن لا يعرض عن معرفة نفسه بقول الجاهلين لأنّ ما يُرَی من نفسه خلافُ ما خَفِيَ منه علی الناظرين و ليس الخبر كالمعاينة و أن لا يُصغي إلی قول من أثنی عليه لحظّه و من لا يراعي لسانه فإنّ المغرور من أعرض عن نفسه بأقاويل خلقه و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ ليحذر المريد عند دعواه فيما يرضى الحقُّ من بلـواه أن لا يحجبـه عـن الله عزّوجلّ عند تلوين الأحكام و تغاير الألسنة و انقلاب العادات من الخلـق عندما يبدّل الله من الثناء إعراضاً و من الإقبال عليه إدباراً و جفاءًا و بعد البـذل انقباضاً و إعراضاً و بعد ابتداء السلام بالترحيب إظهـار التثاقـل و استيحاشـاً و بعد الأنس برؤيته و كلامه وحشة و تباعداً فإنّ ذلک من أحكام الاختبار النائطة با ... و ذلک ابتلاء في الدرجة الثانية من القبول و الانقياد و قبول القول و نفـاذ أمره و في هذه الأحوال المراد منه حالان أحـدهما الإقبـال علـى شـأنه و تـرک الالتفتات إلى خلقه و الثاني مطالعة أحكامه فيما يجري على عبده من صـدق اختياره و ليحذر المريد في صحّة قصده ترک الموافقة منـه لهـم علـى أحكـام الاستتار و أن لا يحتجـب بهـم عـن العزيـز الغفّـار فـإنّ فـي موافقتـه للخلـق الاحتجاب عن النظر إلى حكمه و بسط اللسان عليهم بإظهار الوقيعة و النميمة و الغيبة و الشتيمة فيورثه قلبه البغضاء و العداوة و الحقد و المذمّة و الإعـراض عن الله عزّوجلّ بالكلّية و الخروج عن الأحكام الحقيقيّة و ما كـان قـد أعطـى من نفسه من صحّة الإقبال على الله و ترک الصدق و الخروج و أن لا يجد فـي نفسه حرجاً عمّا حكم و قضى و أن يسلّم تسليماً فإن تلاقاه الله بفضله فطـرف سرّه إلى الحالين أحدهما مطالعة الغيب و الثاني الصبر تحت المرّ من أحكامه كان ذلک أولى به (؟) و إن طالع رؤيتة استحقاقه بالإقبال على نفسه باللائمة و ألزم نفسه الجناية لظهور الخيانة كان ذلک منجياً لـه و إلّا فقـد هلـک و باللـه التوفيق.

فصل

ثمّ ليحذر المريد إن سلّمه الله ممّا ذكرنا و أخرجه من الوصفين و أعـرض عن خلقه و راعى الوفاء و استعمل الصدق و قام مع الله بما أعطاه من نفســه و اعتقد لله عزّوجلّ في أحواله فلم يأخذه إقبالهم و لا أثّـر فـي أحوالـه إدبـارهم

فيسلم من فتنة الفريقين و زمّ قلبه عن النظر إليهم قصده الحق في... نفسه و أرسل إليه (عليه) البلاء صبّا و جرّعه مرارة الموت صِرْفاً و صبّ عليه عجائب الأمراض و فنون الأسقام و منع الخلق عن عيادته و حجبهم عن عوائده و تحقّق عليه احكام الفقر مع ضيق الصدر و جفاه الحميم في حالته و أعرض عنه الصديق في مرضه و ضاقت (!) عليه أسباب مرافقه و حجبت القلوب عن ذكره و أنسى الخليقة ذكره و حاله و أسقط الرحمة له عن قلوب عباده و رُمي بالجفاء في مواصلته و طولب في درج ذلک كلّها بترک الشكوى و منع الأنين إليه في بلواه حتّى كاد أن يتحكّم فيه بلواه فإن هو صبر و أستعاذ و تنصل من نفسه و أناب و اعتذر بما هو فيه و استغاث به من دون خلقه بمطالعة أحكامه و رؤيتة محبّته عرّفه أنّ ذلک من سهومه في أنبيائه و أوليائه و أشهده ما سبق له في قديم العلم قبل اتّخاذ عهده و أنّ له الخلق و العزّ و أنّه العدل في قضائه و المختار لهم ما هو أولى بهم في دنياهم و آخرتهم و أنّه مدخول في أوصاف أهل بلائه و المخصوصين من عباده و أهل الصفوة من أوليائه فإنّه أرفق بعبده من أن يسلبه ما اختار له من التوحيد لله و صحّة إيمانه و ما أعطاه الله من المعرفة بآلائه و قديم ما خصه من إفضاله و إنعامه و أنّه لو ردّه إلى نفسه لحظة في بلائه لضاقت عليه أرضه و سماؤه فهو فيما ابتلاه كالئاً حافظاً و له محبّا و له معيناً و له ذاكراً و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ ليحذر المريد مراعاة حاله عند ظهور اسمه و نشر أوصافه من أحكام رياسته و ما عقد له من القبول في الأنام و تمكنه عند الخاصّ و العامّ في حال ابتداء لسان معرفته و تناهي حاله فعليه أن يلزم أحوالاً سنيّة فأوّل ذلک مراعاة أحواله القديمة و أوقاته العامرة و الوفاء بينه و بين الله تعالى فيما اعتقده إلى القيامة و يتلبّس بنور التواضع و خفض الجناح لمن طلب الله و لين الجانب للضعيف و إكرام اليتيم و التفقّد للجار و صيانة الأرامل و بذل العون مع مبادرة

قضاء حوائج الناس و ترک الضجر و التبرّم بهم و أن یعمّ الإخـوان و المعـارف بالتفضل و بسط الوجه و ما یجد السبیل إلیه من المال و الجاه و إن کان مُرّاً شدّ علیه و ما کان من بذل الجاه فلا یمنع و ما کان من قضاء الحوائج فـلا یتخلَّـی (؟) و ما کان من رفع منزلتهم یعطي و ما کان من النصح فلا یمتنـع و مـا کـان من العلم و الحکمة فلا یکتم و من المستحقّ خاصّةً فلا یُعرض و لیحذر أن لا یضیّع ودائع الله و لا یضع الحکمة لطالب الدنیا فإنّ الله یطالبک بحقّ العلم و تضییعه و تعرَّفْ مقدار ما أعطاک الله في طول خدمتک و أیّام عبودیتّـک و مـا خصّک الله بذلک من ترک الدنیا و التجافي عنها مع دوام أوقاتک فیما یرضـي الله حتی أفادک الله تعالی و جعلک أهلاً لذلک فَتجعَلُ ذلک مطعمة و مأکلة تطلب بذلک الدنیا و قد قال صلّی اللّه علیه و سلّم لرجل علّم سوراً من القرآن لرجل من الأنصار و أهدی إلیه قوساً فقال صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن أردتَ أن یقوّسک الله بقوس من النار فاقبلْه» و رُوِي عن إبراهیم بن أدهم أنّه بعـث إلـی سفیان الثوري -رحمة الله علیهمـا- فقـال: «احمـل إلـيّ شـیئاً مـن الحـدیث فحَدِّثْنا به ! فأخذ سفیان جراباً فیها کتب فحمل إلی إبراهیم و أصحابه قال: فلمّا دنا منهم قال إبراهیم: لا تنزعجوا! قال: فجلس الثوري و سـلّم و قـال: إخـواني جاءني رسولکم أن أحمل شیئاً من الحدیث قال: فوثـب إبـراهیم و أصـحابه و صَدِّروه و جلسوا حوله فقال إبراهیم: یا با عبدالله! إنما أردت أن أجرّبک فـأعلم تواضعک للفقراء لمّا صار(!) إلیک الریاسة فقال: إخواني و الله إنّـي وددتُ أن یُبْعَث إليّ الترک و الدیلم فأحملُ إلیهم حدیث رسول اللـه صـلّی اللّـه علیـه و سلّم» و بالله التوفیق.

فصل

ثمّ لیحذر أن یکون عند استعمال هذه الأحوال السنیّة مراعیاً لقلبه لا یوافـق الخلق لِیُعْرَف بذلک فیصیرَ بعد الحقیقة تصنّعاً و ریـاءً و سـمعةً فیخـرج عـن الإخلاص إلی التزیُّد و التکلّف – و أن یکـره أن یُعـرف بخـلاف مـا عُـرف بـه

فيُظهر أوصاف نفسه في نفسه في طلب العزّ و إبقاء الاسم لأنّ النفس لها أخلاق رديّة و أوابد وحشيّة لا يؤمَن للعبد ظهور المحن و استحلاء إقامه الأقدار و محبة انتشار الأذكار فيظهر أوصاف النفس في تلبّس دواعيها فيدّعى أنّ هذا من أوصاف أهل الإجاشة (؟) و القائدين الخلق إلى الله بإظهار الوصف القديم فيجعل إظهار أحواله التي استتر مع الله في الخلوات بالصدق و الإخلاص منكشفاً طالباً بها الجاه و الرفعة بادّعائها أنّ ذلک لا يأخذ منک و لا يؤثر في حقيقتک و أنّها زيادة في حالک و حالهم فإنّ ذلک من خفيّ التأويل و دقيق الرياء المخفيّ في النفوس كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «الرياء فيكم أخفَى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء» و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ ليحذر المريد بعد تحقّقه بأحوال المعارف من سنّي الأحوال أن يداخل أبناء الدنيا من الأغنياء و ينقبض عنهم جهده و طاقته و يحفظ نفسه أن لا تستريح إلى مجالستهم و محادثتهم و يحضر الحضور على موائدهم و يترک مؤاكلتهم و يتحمّل في نفسه محل البلاء عند الحاجة إليهم و أن يراعي الضنک و الضرّ و عظم الشدّة من الفقر المؤلم فى نفسه و يتغصّص بتجرّع نكايات الشدّة فيما بينه و بين الله عزّوجلّ و أن يجهد أن لا يطّلع عليه أحد من هؤلاء و كذلک الأخلاء و الإخوان لإسقاط الشغل منهم بل و يكون في لقياهم طيّب النفس نشيطاً في فقره لا يتماوت عندهم مع إظهار قلّة المبالاة بالقلّة و يتجرّع المرارة بالعزلة عنهم فإنّ في إظهار ذلک ذلّة و مهانة و وضعاً في الحقيقة و تأثيراً في المحبّة و تهاوناً بأهل القضيّة و شيناً على أهل الحقيقة و قطعاً لهم عن الإجاشة(؟) و إظهار شرف الزهد و العدم و ذلک أنّ الواحد منهم لو بلغ معک النهاية ثمّ عرف منک الحاجة إليه لقد كان الصولة لا تفارقه و النخوة و رؤية الفضل لا يُعدمه و الإزراء و النقص يصحبه في سرّه لک و تصير حجّته عليک

و على أهل مذهبک إذا احتجتَ إليه فيجعل ذلک سُبَّةً فيقول: فلان في جـلال حالته أخذ و احتاج فيجعل تأريخاً له و ذريعةً إذا احتاج إليه بالوضع و الوقيعـة و لذلک قال صلّى اللّه عليه و سلّم لعائشة رضى الله عنها: «ايّـاک و مخالطـة الأغنياء و لا تلبسي ثوباً حتّى ترقّعيه و لا تجمعي طعامک لشهر» و الله أعلم .

فصل

ثمّ ليحذر المريد بعد المعرفة أن لا يجعل ذمّ الـدنيا حرفـةً و الوضـع مـن أهلها صناعةً و أن يعرف عند أبناء جنسه أنّه من المبغضين لهم ظاهراً و قد علم الله عزّوجلّ منک أنّک مستحلٍ لقربهم في باطنک و أنت مظهر للزهد فـيهم و أنت بلغت الرغبة مقبلاً عليهم فإنّ الله يمقت ذلک و هو من أحكام النفـاق إذ علم الله عزّوجلّ منک ضدّ ذلک و احذر أن لا تجعل مذمّة أهل نحلتـک مـن أهل الفساد عندهم من سجيّتک فإن احتاج إليه مـن يسـتحق منـک النصـيحة حيث لا بـدّ لـک إظهـار كـذب المـدّعين مـن أهـل الانخـرام فتُظهـر شـرف المتحققين بإظهار الحق من الباطل و لا يكون المدعون(!) منـک ذلـک عنـد أهل الغباوة من الشامتين و لا عند المبغضين عليهم فتصير لسانهم عليهم مـن قولک و يسوقون الكّل بِعَصا المذمّة و لا يميّزون الخبيث من الطيّـب و يكـون سبب وقوع صـاحبک فـي الإثـم علـى أهـل الحقيقـة و ذلـک أنّ طائفـةً مـن المنسوبين إلى العلم و الحكمة جعلوا الوقيعة فيهم سبباً و ذريعةً إلى طلب ما في أيديهم من الحطام الدنيّة و السُّحْت القذرة فليس يتوصّـلون إلـى ذلـک إلّا بإظهار الوقيعة ليصحّ لهم التبرّؤ منهم و أنّه ليس مـن جملـتهم و أن لا ينظـروا إليه أنّه منهم و ما قُبل إلّا بهم فإنّ الله تعالى يمقت على ذلک إذ لـم يـزل فـي الفِرَق صالح و طالح و هذا ما لا تعرى منه المذاهب و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ ليحذر المريد الصادق استعمال الصدق و صحّة الإخلاص في أحواله و

أوقاته إذا كان بنعت الفترة و الرجوع عن الحدّة في العبادة أن لا يتأوّل بحاله خوفاً من سقوط جاهه و أن لا يتشبّع بما ليس فيه فيُظهر أحوال أهل الحدّة و أهل التشمير و ادّعاء الكمال فيوري أماكن التحقيق عند فقدانه و أن لا يخفي حاله و يحتجّ بصحّته فليعمل الصدق و الإخلاص و لا يكون للخائنين خصيماً و يستغفر الله بإظهار الاعتراف و التقصير عند رجوعه إلى اخذ حظوظه بإظهار التأسف على ما فاته و إظهار القول لصحّة أحواله القديمة و أوصافه المرضيّة أن لا تكون فترته و الاحتجاج له بلاءً على أهل نحلته و المنسوبين إلى الدين من أهل مذهبه قال فيقول الله عزّوجلّ: «أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئونَ؟ فبعزَّتي حلفتُ لاتيحَنّكم فتنةً تدعُ الحَليمَ فيه حَيْرانَ» فليكن الحق على لسانه و إن كان بخلافه فقد اعترف من هو خير منه بذلک فقال: «أنّه مرّ الصدّيقُ على قومٍ يقرأُ عليهم القرآن و هم يبكون فقال: هكذا كنّا حتّى قست القلوب» و أخبر عن صحّة أقدامهم فقال: «طوبى لمن مات فى النأناة» يعنى في حال حدّته و صحّة أوبته و حقائق توبته و بالله التوفيق.

فصل

وليحذر المريد ـ و هو أَولى الأشياء في زمانه و ما ظهر من الفساد في أوانه ـ أن لا يكون معوَّله على ادّعاء التوكّل على صفة أهل زمانه و أن يدّعي أنّ مأكله من الغيب و لا يراعي مخرج مأكله و ملبسه و أن لا يستقصي في ذلک إذ لا يقبل الله الصلوة و الصيام و غير ذلک إلّا بتصفية الأكل و اللباس بل يجعل أوقاته بعد الصلوة مصروفاً إلى تحرّي ذلک أن تكون من أطيب ما يجد السبيل إليه من الوجوه الجائزة أحكامها في العلم و أن يكون بعد ما أجهد نفسه في طلب الحلال إن لم يجد أفضل من ذلک فلا ينبسط في أوساخ ما يوجد فإنّ العالم يلزمه ما لا يلزم الجاهل عند ما ظهر في زمانه من انتشار الفساد(؟) بترک التغميض الذي قال عزّوجلّ فيه: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ»(٢:٢٦٧) فإن تعذّر بعد الجهد و

المبالغة فليرجع إلى نفسه بأخذ البلغة و سدّ الجوع عنک و بيت بواريه من القرّ و الحرّ لأنّ النظر في المأكول هو أحد أركان التوكّل و صحّة الاعتماد (؟) على الله و إنّما كان يطيب ترک المكاسب و الجلوس مع الله بالفقر و ترک الأسباب لوجود الحلال و انتشاره في أيدي المسلمين و كان الله قد كفى المسلمين أصل الأملاک و كان المتوكّل من أيّ وجه أتاه أخذ إذ كان الأصل مباحاً و كان يشتغل به بغير الطلب فأمّا طلب الحلال و ... فهو من أصول الدين الذي حثّ العلم على ذلک و هو أجلّ عمدة الإسلام كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «طلب الحلال فريضة بعد فريضة الإسلام» فقارن صلّى اللّه عليه و سلّم فرضه بفرض التوحيد و الشرائع المبنيّة على الإسلام و هذه الحالة تلزم العارفَ في تناهيه و السائر في مبادئه و المريد في أحواله و خاصّةً أهل النسک من المريدين و بالله التوفيق.

فصل

و ليحذر المريد مجالسة هؤلاء الجوّالين في البلدان ممّن ليسوا موقنين في الدين و ليس يُهِمّهم أمر الشرائع و الفرائض ممّن معوّلهم على لبس الصدّيقين و قد استعاروا إشارات المحقّقين و قد تزيّنوا بزيّ الفاضلين فإنّهم المنسلخون من الدين و إيّاک و الاغترار بهؤلاء اللعّابين من المحاكين و عليک بمنهج المتقدّمين و طلب آثار الكرام من الصحابة و التابعين و أهل الأثر من المعروفين ممّن أثنى الله عليهم من الصالحين و لا تغترّ بألفاظهم المزخرفة المستخرجة من علوم الجمع و التفريق و إيّاک و النظر إلى المتحلّين و المدّعين للفقر و لبس المرقّعات من هؤلاء الشحّاذين ممّن هربوا من العمل و جعلوا صناعتهم الرقص و الزفن على محاكاة المخنَّثين فإنّهم القطّاع على المريدين و فتنة على أهل الدين و وضعاً من هؤلاء الفقراء و المساكين ممّن طالت عبادتهم و كثرت مجاهدتهم فإنّ هؤلاء جعلوا ما يتقلّبون فيها ذريعةً إلى طلب هذا الحطام فليسوا يتوصّلون إليها إلّا من هذه الجهات و عليک بأحوال

أسلافک و النجباء المعروفين من أهل نحلتک و عليک بالبحث عن أوصافهم و طلب صحّة أحوالهم فإنّ المتمسِّک بأوصافهم فائز مسرور و الراغب عنه هالک مغرور و النصح واجب و إيّاک و إيّاهم فلا ينسينّک الشيطان فتكون من الغاوين و بالله التوفيق.

فصل

و ليحذر المريد إن طالبته نفسه إلى المجالسات فليقصد إلى طائفة من المعروفين من أهل الدين ممّن هم مشغولون بإصلاح شأنهم مراعين لأوقاتهم فيما يقرّبهم إلى الله عزّوجلّ و يحفظ أوقاته في حال حضور المجالس - فإنّ البليّة في المجالسات كثيرة - بأن لا يكون مغتاباً و لا لعّاناً و لا طعّاناً و لا نمّاماً و لا ممّن قد ذهبت أوقاته بالنظر إلى زلّات الخلق و حفظ مساويهم و لا يحبّ عثراتهم و يحذر أن لا يكون شامتاً بزلّاتهم بل يكون مغموماً لما يحلّ بالعباد و يكون داعياً للامّة بالصلاح و المؤمنين بالفلاح و طالع الفِرَق التي تجالسهم فإن كان همّتهم تصفية القوت و الملبس فالزمهم فإنّ المجالسات قليل سلامتها كثير ملامتها و قد أوصى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عقبة بن عامر حين قال: «يا رسول الله ما النجاة؟ إحفظ عليک لسانک و ليسعک بيتک و ابکِ على خطيئتک» قال بعضهم: و جئت إلى عند فلان فقال لی: «من أين؟ قلت: من عند يوسف ابن أسباط فقال: تعرفه؟ قلت: نعم! فقال: الزمه فإنّه يدري من أين يأكل» و مع هذا فيكون الانفراد أحبّ إليک من الاجتماع و ايّاک و المباينات و أن تعوّد نفسک بالمخالطات النكرة التي يجري فيها الطنز و الخنا و الرقص و المحاكاة و التطايب على السرمديّات فإنّه يؤدّي إلى الغيبة و النميمة و يتولّد منها كلّ بليّة و احفظ أوقات ليلک و نهارک أن لا يذهب منک هباء فإنّه معروض و مسؤول منک فحذر أن لا يكون وبالاً و حسرةً في القيامة و بالله التوفيق.

فصل

و ليحذر المريد فلتكن مراعاة ساعاته عامرة بضرب من ضـروب الأذكـار و ليحذر ساعات الغفلات فتكون ساعاته مقسومة من حـين طلـوع الفجـر إلـى وقت غروب الشمس فيكون سعيُه إما طالباً للعلم النافع ممّا يُقَوِّيك على قطع العلائق و يوصلك إلى ما قد نويتَ من الخيرات و إمّا أن تكون تلقى فيه مَن إذا رأيته ألبسک رؤيتُه إذكار الآخرة و يقوّيک على طلب ما أنت تريده أو تكون في طلب قوتک من وجهه و هو أجل السعي او تكون فـي إقامـة مـا وظَّفـتَ علـى نفسک من أورادک أو تكون في سعي لقضـاء حـوائج إخوانـک أو تكـون زائـراً لبعض الصالحين طلباً لثواب ربّ العالمين أو تكون معينـاً لأخيـک أو ضـعيفاً بفضل علمک أو ذات يدک ممّا تجد السبيل إليه مع استدامة إذكـار القلـوب و التيقّظ من الغفلات و تعطي نفسک حظّها من النوم بالنهار لتكـون عونـاً علـى قيام الليل و تراعى أوقاتک في يوم صومک من مراعاة جوارحک ما يمنـع منهـا إلى ما يكون عليها وبالاً أو تـأثيراً فـي صـومک و اقصـد الجنـائز علـى شـرط الإخلاص و إسقاط رؤية صـاحب الجنـازة أن يـراک فيـذهبَ أجـرک و يبطـل سعيک و عَوِّد نفسک عيادة المَرضَى و خاصّةً المطـروحين بـالأطراف فـأعِنْهم بما يعود عليه النفع بمالک و لسانک و بذل جاهک و تنبيه أهل الفضـل علـى أحوالهم و رغّبهم في ثواب تفقّدهم و ما يعوّض الله لمـن قـام لمـريض فقيـر بإعطاء شهوة أو بسدّ فاقة أو خدمة لنفسه فإنّ ذلک ممّا يقرِّبک إلى الله عزّوجلّ و بالله التوفيق.

فصل

و ليحذر المريد ساعات ليله و هجوم ظلامه أن لا يفوته فقـد حـثّ صـلّى اللّه عليه و سلّم أمّته فقال: «عليكم بقيام الليل فإنّـه دأب الصـالحين قـبلكم و مَنهاة عن الإثم و مَطردة للداء عن الجسد» و قد قال صلّى اللّـه عليـه و سـلّم: «ما نام أحد إلى الصباح إلّا بال الشيطام في أذنيه» و أن يراعي هـو المغـرب و

العشاء فإنّه صلوة الأوّابين و هو وقت يشتغل فيه الصائمون و المفطرون على اختلاف أحوالهم و ليحذر أن لا تفوته الصلوة في الجماعات و خاصّةً الصبح و العشاء الآخرة فقد قال صلّى اللّه عليه و سلّم : «مَن حافَظ على البَردين دخل الجنّة» و قد كانت النساء يحضرن مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيها و ليجتهد أن لا يفوته ورده من القراءات في أول الليل و في آخره خوفاً من أن يكتب من الغافلين و ليجتهد أن يكون مستيقظاً عند السحر قبل طلوع الفجر ليدرك أوقات ما أخبر صلّى اللّه عليه و سلّم عن الله عزّوجلّ أنّه إذا بقي ثلث الليل الآخر ينزل الله سبحانه و تعالى إلى السماء الدنيا فيبسط يديه فيقول: «ألا مِن سائلٍ فأعطيه ألا من داعٍ فأستجيب له ألا من مستغفرٍ فأغفر له؟» و الله أعلى و أجلّ و أصدق القائلين أن يعد ثمّ يخلف فيقوم العبد مصدّقاً لقوله قاصداً و طالباً و متعرّضاً و مفتقراً و ناجياً و سائلاً و مستغفراً نادماً ثمّ يمنعه ذلك و يُبْخَس(؟) حظّه و هو يقول: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»(٤٠:٦٠) «مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِندَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ»(٢:٢٥٥)– و الليل مطيّة الأبرار و ملجأ الأخيار و أهل الضرّ و الافتقار و أهل التعرّض و النوال و بالله التوفيق.

فصل

و ليحذر المريد في حال فترته أن يراعي الصدق و الإخلاص في كتمان أحواله و أن تكون أحواله السرّ أحبّ إليه من إعلانه حتّى يكون اللـه عزّوجلّ يلبسه رداءَ عمله من حيث ذهاب اختياره لمحبّة كتمانه و ذلك أنّ المريد إذا عُرف بالأحوال السنيّة و ظهرت عليه معاملات رفيعة من كثرة الصوم و الصلوة و ترك الشهوات و قلّة النوم في الليالي الداجيات و ترك الدنيا و إظهار الزهد و الورع فإذا كان أوان فترته و وقت انقطاعه من تلك الأحوال السنيّة - كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ لكلّ عالم شِرَّةٌ و لكلّ شرَّةٍ فترة»– فتورثه الفترةُ محبّتَه أن يُذكَر بتلك الأحوال فيُخفي أكله بإظهار صومه و يستر عن الخلق تصرّفه من أين أخذ حظوظه و يكره إطّلاع الناس على رجوعه و انقطاعه و لا

يحبّ أن ينظر إليه بأوصاف فترته و رجوعه و انقطاعه عمّا كان به بدئاً من سـنيّ أحواله حتّى ربّما يصير أكله مستخفياً في مواضع منكرة من الأخلية و الأزقّـة و الأروقة النائية فيكون قبوله من الخلق ثمناً من أعراض الدنيا على الّاسـتخفاء و المراعاة من الناس و إظهار ما كان به من الزهد و الورع و قلّة التصرّف و حالته حالة لا تليق بأهل معاملته فيفارق الإخلاص من جميـع الجهـات الـذي كـان يستعمل و يذهب عنه الصدق الذي كان قد تسربل به مع الحق فتكـون أوقاتـه المعمورة بالعبادة و التقرّب إليه و قلّة المبالاة بالخلق تصير مراعاتهم نصباً في قلبک و مراعياً لأوقاتهم أن لا يطّلعوا على أحوالک في أوقات أكلک و شـربک و أخذک من الدنيا في أوقـات مخفيّـة و مواضـع نائيـة و المواضـع السـارية و الليالي المظلمة لئلا يوقَف عليه في ذلک – و بالله التوفيق.

فصل

ثمّ ليحذر المريد الصادق إظهار نفسه في الرياسة قبـل حينـه و أوانـه فـإنّ ذلک يولُد عليه آفات تقطعه عن الله عزّوجلّ بادّعائه أنّه مـن الـدعاة إلـى اللـه عزّوجلّ فمن ذلک اشتغال قلبه بمن يجالسه و التفكّر في إقبالهم عليـه و كثـرة الاهتمام إذا انتلقوا عنه إلى غيره و ما يَجده عليه و على المقصود الـذي ذهـب إليه من الحقد و طلب الوقيعة و وجود البغضاء فقـد روي عـن زاذان أنّـه قـال: «كنتُ مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه و معه الدرّة و دخل المسجد فإذا رجلٌ يقصّ فوقف عليه فقال له: عرفتَ الناسخ و المنسوخ؟ قال: لا قال: فتَعرِفُ الفرائض؟ قال: لا فضربه بالدرّة فقلتُ: يا سبحانَ اللـه تضـرب رجلاً بذكر الله؟ فقال عليّ: سمعتُ رسولَ الله صلّى اللّه عليه و سـلّم يقـول: يكون في آخر الزمان أقوامٌ يَتَحدَّثون الخلقَ يقصّون فإذا قام أحدهم من مجلسه إلى مجلس غيره فوجده في نفسه أولئک الذين لعنهم اللـه فأصـمّهم و أعمـى أبصارهم» أو كما قال و خصلة أخرى أن يتكلّف لهم ما لم ينوِ من الأفعال التي يتقرّب بذلک إلى قلوبهم ليستعطفهم على نفسه و خصلة أخـرى الوضـع مـن

العلماء و الحكماء عندهم أنّهم طلّاب الدنيا فيصفهم بالآفات و التخلّف الذي به يسقطون من أعين الحاضرين ليرفع نفسه و خصلة أخرى و هو أنّه لا يرتفع -هو- عندهم إلّا بإسقاط هؤلاء العلماء وإلّا بالوقيعة و إظهار التبرّي من عارهم و منقصة أوصافهم لإظهار نفسه و خصلة أخرى و هو الإخبار و التشبّع بما لم يعلمها و لم ينازلها من أوصاف أهل الحقائق ليثبت عندهم نفسه و خصلة أخرى إظهار التصنّع و طلب الترفّع من لَقِيَ العلماء و أهل الحقيقة شرفاً عندهم لنفسه و خصلة أخرى و هو التبجّح بالحكايات عن أهل القصّة و طول خدمته لهم ليظهر شرفه لرؤيتهم ليعرّف الحاضرين منزلته و طول صحبته لإظهار نفسه و خصلة أخرى و هو ما بلغه من أوصاف المتقدّمين و حكايات الصالحين ليضيف ذلك إلى حاله طلباً للمنزلة في نفسه و خصلة أخرى و هو الاستنكاف عن التعلّم عند عقد الرياسة ممّا يحتاج إليه خوفاً بأن لا ينظروا إليه أنّه محتاج إلى التعلّم أنّه لا يستحقّ أن يكون أستاذاً للمريدين طلباً لعزّ نفسه و خصلة أخرى و (!) محاكاة المشائخ في لباسهم و زيّهم ادّعاءٌ منه أنّه من نظرائهم و أشكالهم و خصلة أخرى و هو أنّه ساس نفسه في جملة المذكورين في المحافل و المشاهد و المشي معهم و إظهاره أنّه منهم و من جملتهم لعيون العامّة و بعض الخاصّة لإظهار نفسه و خصلة أخرى أنّه يعمد إلى كلّ ما تكلّم به العلماء من المتقدّمين من الحكمة قصداً إلى الاعتراض عليهم و الردّ لمقالتهم عند هؤلاء الجهّال لإثبات حاله و شرف نفسه و خصلة أخرى و هو أنّه لا يذكر عنده عالم أديب و حكيم لبيب من أهل زمانه إلّا علّق عليه من الزلّات و خصلة من العثرات أو خطأ ممّا لا يعرى منه الكرام لإظهار نفسه و خصلة أخرى و هو من أحفظ الناس لخطأ المتقدّمين و زلّات المتأخرين مع سوء الرأي في جميع أحوالهم لإظهار نفسه و خصلة أخرى إذا وجد منافقاً يصغي إليه كشفاً عن عورات الطائفة المنسوبة إليهم من الوضع و إظهار فساد ما قد أتوا من قبيح الفعل من المجترمين فيعلّق على جملتهم قاطبةً لا يميّز الخبيث من الطيّب كلّ ذلك لتبريء نفسه و خصلة أخرى و هو

أنّه يذهب أوقاته آناء الليل و النهار للاهتمام بمجلسه في مطالعة من يحضره و مراعاة قاصديه و الاهتمام بمريديه و التملّق للعامّة في إثبات رياسة نفسه فليحذر تلک كلّها و يكون منها على خطر وبالله التوفيق.

فصل

ثمّ ليحذر المريد الصادق أن يراعي نفسه و لا يغفل عنها و إن تناهى في المعرفة و العلم بالله عزّوجلّ فإنّه كان في نبوّته صلّى اللّه عليه و سلّم مراعياً لها و مستعيذاً بالله منها فكان يقول صلّى اللّه عليه و سلّم: «اللهمّ إنّي أعوذُ بِکَ مِن شَرِّ نَفسي» و يقول: «أللهمَ لا تَكِلْني إلى نفسى طرفة عين و لا أَقَلّ من ذلک و لا أكثر إنّکَ إنْ تكِلْنى إلى نفسى تكِلْنى إلى ضِيْعةٍ و عورة» فاحذرها على الأحوال كلّها و اعلم أنّها طالبة أن تكون ضدّ الله تبارک و تعالى في دعواه و ندّاً لله في مطالبتها و قد طعمته بل تطلب أنّ ما طالب الله تعالى من عباده لما يستحق منهم هو المُطالِب لهم و ذلک أنّ الله عزّوجلّ طالب عباده بالثناء و المدح له و طالبت النفس ذلک و طالب الله عباده أن يكون هو المذكور في الأنام عند الخاصّ و العامّ و طالبت النفس ذلک و طالب الله عباده أن يكون المشكور المقصود و طالبت النفس ذلک و طالب الله عباده أن يكون المعبود بالذلّة و المهانة و طالبت النفس ذلک و طالب الله عباده أن لا يخالفوا أمره و القيام له بالوفاء و طالبت النفس ذلک و طالب الله العباد أن يكون هو المنزّه عن السوء و طالبت النفس ذلک و طالب الله العباد أن يوصَف بالجود و الكرم و طالبت النفس ذلک و طالب الله عباده أن يكون هو المرهوب منه و المرغوب فيه و طالبت النفس ذلک و قد شرحتُ مطالباتها في مسألة مفردة و فيها ذكرتُ من أخلاقها كفاية و بالله التوفيق.

فصل

و ليحذر المريد الصادق أن لا يترک المكاسب و الحرفة و طلب ما يعود

عليه من مصالح معاشه و الأخذ من الوجه الذي ذكرتُ في أول المسألة احتياطاً لدينه و نزاهة لمذهبه قبل أوانه و لا يكون في تركه المكاسب مقلّداً لأهل زمانه ممّن أدّعى التوكّل و اَختار الفقر قبل أن يستحكم علم النفوس و أخلاقها و ما يلزم من الرياضات و ترک المجاهدات و أحكام السياسات ممّا يلبسه من فنون العبادات من التقلّل للمطعم و استعمال القناعة من الملبس و ذلک أنّ النفس إذا لم يتقدّم لها أوصاف التقلّل بالزهد و الورع و ترک المعتاد من المألوفات من أخذ الطيّبات و مناولة الشهوات إذا فقد ما اعتاد من إراداته وُلد عليه الطمع و تكالبت نفسه في الشَّرَه و استعمل الطلب و التكّلف فألبسه الدورانَ في الأسواق و السكک و أخرجه إلى البلدان طمعاً فيما في أيدي الناس على أحواله و إظهار فقره و فاقته فالمكاسب من وجهه على شرط ما أبيح له من قول الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بخير له إذ قد منع الطمع و استعاذ منه و تكلّم العلماء و الفقهاء و الحكماء من أهل القصّة على فساد الطمع و الطلب و السؤال لهذه الطائفة خاصّةً حتّى قال صلّى اللّه عليه و سلّم : «لأن يأخذَ أحدْكم حبلا فيحطب خيرٌ له مِن أن يَسأل الناس أعطوه أو منعوه» و يعمل في صحّة الطلب احتياطاً لنفسه لأنّه أَقْدَرُ على إصلاح كسبه و الأخذ من حيث ما قد أجهد نفسه بأن (لا) يأخذ من رجل لا يبالي ما أخذ و ما ترک غير مراعٍ لوجوه الطيّب و أخذ الحلال فيكون المريد إذا أجهد نفسه لطلب الحلال فإنْ أعياه ذلک (؟) نزل إلى شبهة أَلطَف من الحرام فهو عند اللـه من المغرورين فأمّا تاركٌ يترک مكاسبه ثمّ لا يبالي في أيّ واد هلک و أخذ ممّن كان أمسه خير له من يومه و بطن الأرض لمثله خير من ظهرها فإنّ عمدة أهل الخصوص من المذكورين على تصفية القوت مثل إبراهيم بن أدهم و غيره و سفيان الثوري و سليمان الخوّاص و وهيب بن الورد و يوسف بن أسباط و أبي معاوية الأسود و داود الطائى و حذيفة المرعشي و الفضيل بن عياض و ابنه و أبي عبد الرحمن العمري رحمة الله عليهم فكانوا لا يعوّدون نفوسهم إظهار الطلب و التكلّف و إنّما حدثت هذه التسمية في قولهم: تارک – منذ سنيّات يسيرة و إلّا فقولهم:

الترک و هو تارک - لم یتقدّمهم في ذلک أحد من الأئمّة ممّن ترک المکاسب و صار معوّلهم علی الطلب و التکلّف و بالله التوفیق.

فصل

و لیحذر المرید في صدقه أن یعمل في ترک مجالسة النظّار من أهل الزمان و الموسومین بالمجادلة فإنّه نهی رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم عنها و زجر عنها إشدّ المنع و ذکر أنّ المراء في القرآن کفر فأوّل ذلک یولّد الشحناء بینهم و یُظهر التحریش بینهم و یعتقد البغضاء و العداوة طلباً الریاسة و لا یهولنّک فصاحتهم في المناظرات و المقالات و إظهار البراعة و رفع الأصوات و قطع الخصماء في المجالس فإنّ ذلک خارج من النصیحة طلباً للریاسة و الوصول إلی الدنیا الدنیّة و طلب البلوغ في الرفعة عند السلاطین و الظلمة و لأنّهم بذلک یتوصّلون إلی أخذ مُناهم من التمکین عندهم و ترک الحق لهم و الإغضاء عمّا هم علیه و تحسین ما قد تبسّطوا فیها فقد قال صلّی اللّه علیه و سلّم عن جبریل عن الله عزّوجلّ أنّه قال: «یا محمّد بَشِّر أمّتک بالسناء و الرفعة و التمکین و الیقین فی الدین» فمن عمل عمل الآخرة یرید به الدنیا فلیس له في الآخره من نصیب و قد قال صلّی اللّه علیه و سلّم : «من طلب العلم لِیُجاري به العلماء أو یُماري به السُفهاء أو لِیَصْرِفَ به وجوه الناس إلیه فلیتبوّأ مَقْعَدَه من النار»- و بالله التوفیق.

فصل

ثمّ لیحذر المرید ولیحفظ سرّه و علانیّته من الإصغاء إلی کلام الموسومین بالبدع و الضلال من أهل ملّتک فإنّهم القوم الذي حذّرهم رسول اللـه صلّی اللّه علیه و سلّم أمّته منهم و خاف علیهم منهم فقال صلّی اللّه علیه و سلّم : «أخْوَفُ ما أخاف علی أمّتي منافق علیم اللسان یقول بالحقّ و یعمل بالجَور» و قال صلّی اللّه علیه و سلّم : «یکون في آخر الزمان حُدثاء الأسنان سُفهاء

الأحلام يقولون بقول خير البريّة يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» و ذكر الحديث و عليک بمنهج أصحاب الحديث و الأخذ من فقهائهم و التعلّق بآثارهم و البحث و الطلب عن مذاهبهم و الكشف عن صحّة روايتهم و النزول في أحوالهم واحذر المفتون منهم و المغرور من جملتهم فانّهم أعزّ الناس إذا سلكوا منهاج أوائلهم و أفتن الناس إذا فسدوا فيهم تهلک الأمّة و تهلک الشريعة فاجعل أوصاف المتقدّمين معيارهم فمن وجدته لعلمهم مستعملاً و لأوصاف مذهبهم متّبعاً و لأبواب السلاطين قالياً و لترک حطام ما في أيديهم تارکاً و للطمع فيهم سالياً و للغدوّ و الرواح إلى أبوابهم مهاجراً و منهم فارّاً و لقربهم غيرَ مريد و إليهم غير متعرّف فتمسّک به! فقد بلغنى أن المعتضد أراد أن يرى بشر بن الحارث الحافي فقيل لبشر ذلک فقال: «قل له: والله الذي لا أله إلّا هو لئن بلغنى أنّک ذكرتني لذلک ثانياً لأخرجنّ من جوارک ببغداد فبلغ ذلک المعتضد فقال: قولوا له: لا أذکرک» أو كما قال - و بالله التوفيق .

تمّ كتاب الاقتصاد ممّا ألّفه الشيخ الإمام العلّامة قدوة أرباب الحقيقة المعروف بالشيخ الكبير أبو عبدالله محمّد بن خفيف قدّس الله روحه و رضي عنه و الحمد لله ربّ العالمين و هو حسبي و نعم الوكيل و صلّى الله على سيدنا محمّد و آله و سلّم تسليماً بيد الكاتب لنفسه نجيب بن إمام الدين الإيجي ـ غفر لهما ـ بالجامع العتيق بشيراز آخر أولى جمادى (!) ثماني عشر و ثمانمائة.

وصیة ابن الخفیف[1]

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین و الصلوة و السلام علی رسوله محمد و آله و صحبته اجمعین اما بعد فهذه وصیة من کلام الشیخ الکبیر سلطان الاقطاب ابوعبدالله محمد بن محمد الخفیف الدیلمی الشیرازی قدس الله سرّه.

یجب علی المرید اذا قصد السلوک الطریق و خرج من اللمضیق إلی الشفیق الرفیق ان یحفظ هذه الخصال التی اذکرها:

الاول ان یبدأ بالندم علی ما سلف من ایامه فی الغفلة و التفریط و ان یخرج عن المظالم؛ الثانی ان یتعلم من العلم ما یستعمل فی وقته؛ الثالث لزوم الصمت و الخلوة و ذکر الله تعالی علی کل حال؛ الرابع [ان] یعرف حق الله تعالی فی قیامه و قعوده و جمیع الاحواله؛ الخامس ان لا یستعمل الا مشورة ان یکون للانسان ... اخ ناصح؛ السادس ان یوافق قلبه لسانه و لا یخطر الدنیا بباله؛ السابع ان یستعمل الصدق فی جمیع احواله و اقوله؛ الثامن ان یضبط بطنه و لسانه فان المرید اذا کان مع شر النفس اکولاً یحبّ الشهوات فانه لا یجد ما یرید و یذهب ایامه بالغفلة و الباطل فاذا کان کثیر الکلام فانه لا یسکن قلبه بذکر الله تعالی و مراقبته فان معصیة اللسان اکثر من سائر المعاصی؛ التاسع ان یستعمل الادب و لا یتکلم الا بما لابد منه؛ العاشر ان لا یأکل حتی

---

۱. این رساله را مرحوم آنماری شیمل در ذیل کتاب سیرت شیخ کبیر تالیف ابوالحسن دیلمی منتشر کرده است. نگاه کنید به: دیلمی، ابوالحسن(۱۳۶۳). سیرت شیخ کبیر ابو عبدالله بن خفیف شیرازی، ترجمه یحیی بن جنید شیرازی، تصحیح آنماری شیمل، به کوشش توفیق سبحانی، تهران: انتشارات بابک.

يجوع و لا يشرب حتى يعطش و لا ينام حتى يغلب عليه النوم؛ الحادى عشر ان لا يحدث مع النساء و لا يجلس معهنّ فى موضع الشهوات؛ الثانى عشر ان يغض بصره و لا ينظر إلى ما بين يديه و لا ينظر فى حجرات المسلمين فانه روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ان من نظر فى حجرات المسلمين فهو منافق»؛ الثالث عشر ان لا يغفل من الوضوء كل ساعة و لا يغفل عنه عند الاكل و عند النوم؛ الخالمس عشر اياه و مجالسة الغافلين الا عن ضرورة او فيما لا بدّ منه؛ الرابع عشر ايّاه و استعمال الكلام فى الدنيا؛ السادس عشر ان لا يقول ان فعلت كذا لكان كذا و لو ام افعل كذا لم يكن كذا فانه كلام النافقين بل يقول ماشاء الله كان و ما لم يشاء لم يكن و ما قدر سيكون حسبنا الله وحده و نعم الوكيل؛ السابع عشر ان لا يناظر قدريا و لا جبريا و لا معتزليا و لا رافضيا و لا احدا الا ما لابدّ منه؛ الثامن عشر اياه و المعاتبة مع احد الناس فان هذا ليس من افعال المريدين القاصدين؛ التاسع عشر ان لا تقبل نفسه شيئاً من الوسوسة انه خير من غيره و انه يعلم ما لا يعلم غيره؛ العشرون اياه و الكبر و علامته ان يزدرى باحد من الناس و يستخف منهم؛ الحادى العشرون اياه و العجب و علامة العجب ان يرضى بنفسه و عقله و لا يقبل من احد شيئاً اذا نصحه؛ الثانى و العشرون اياه و الحسد و علامة الحسد ان يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله؛ الثالث و العشرون ان لا يشتغل بما يشتغل قلبه عن مولاه فيعقد عن جهره و ان يعقد فى مقعد صدق عند مليک مقتدر حتى يهون عليه كل شدة؛ الرابع و العشرون يحتاج المريد إلى اربعة اشياء: دابة قاهرة و دار واسعة و ثوب حسن و سراج مضئ فاما دابة قاهرة فهى الصبر و اما دار واسعة فهى العقل و اما ثوب حسن فهو الحياء و اما سراج مضئ فهو العلم.

و وصيتى لهم بحفظ العهد و الوفاء بالعهد و لزوم الباب و ذكر الله تعالى على كل حال و كتمان الفقر و القعود مع الحق فى طريق الحق حتى يصل بالحق إلى الحق و حسبنا الله و نعم الوكيل و صلّى الله على خير خلقه محمد و آله أجمعين.

ترجمهٔ رسالهٔ شَرَف الفقراء[1]

بِسْمِ اللهِ اَلْرَّحمٰنِ اَلْرَّحيمِ

اَلْحَمدُ لله الَّذى زَيَّنَ الْفُقَراءَ بِشَرَفِ الْفَقرْ جَعَلَهُ لَهُمُ الْمُباهـات و الْفَخـرْ وَ وَفَقَهُم لَلْاقْتِداء بِکُلّه شیخ کبیر و الْتَرحَمِ بِکُلِّ مسکینِ و فقیرٍ و صغیرٍ و لِلْحَمدِ احمدُ مِنْ نِعَمِهِ وَ اسْتَزیدُ منْ فَضلِهِ و کَرَمِهِ وَ اَشْهدُ اَنْ لااِلَـه اَلَّا اللـهُ وَحْـدَهُ لا شَریکَ لَهْ الَّذی قالَ فی کَلامِهِ: «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَـرَاءُ»(۴۷:۳۸) وَ اشْـهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسولُهُ سیّدِ الاَنبیاءِ وَ الْمُرسلین وَ بعد چنین گوید تُرابِ اقْدامِ الْعُلَماءِ و الْفُقراءْ الْمُعْتَصَم بحبل اللهِ الْمَلِکِ الْوَدُودْ عَبدُالْرَحیم بن [محمدبن] محمود کانَ اللهُ لَهُ که ایـن فقیـر نسبت خرقـه بـا حضـرت قطـب الاولیـاء و المحققین برهان المدققین ولِّی اللهِ الوالی لطیفةُ صُنعَ اللهُ الْتعالی الْمسـتغنی عَنْ الاِطنابِ فی الالقاب الْتّابع لِلْبَدرِ المُنیر الْشیخ الْکبیـر قَـدَّس اللـهُ روحَـهُ العَزیز و لا حرمْنا من بَرکاتـه دارد و در بقعـهٔ شریفـهٔ آن حضـرت بـه شـرف تدریس در پایین این أهل تقدیس مشرف می‌شود خواسـت کـه کتـاب شـرف

۱. این رساله را فاطمه علاقه در سال ۱۳۷۸ در مجلـه معـارف منتشـر کـرد. نگـاه کنیـد بـه: ابـن خفیف(ابوعبدالله بن محمد)(۱۳۷۸). "شرف الفقراء"، تصـحیح فاطمـه علاقـه، مجلـه معـارف، دوره شانزدهم، شماره یک، فروردین. تیر.

اصل عربی رساله در درست نیست؛ متن موجود، ترجمه‌ای کهن از رساله است که مترجمی به نام عبدالرحیم [بن محمد] به محمود آن را به فارسی ترجمه کرده است.

الفقراء از تصانیف حضرت ایشان ترجمه نماید تا نفع آن عام باشد و بالله التّوفیق و اسئله فی الاول ٱلتحقیق.

باب در شرف فقر و فضیلت أهل آن

حضرت شیخ حسین[1] قُدِسَ سِرُّه می‌فرماید که از شرف و فضل آن بر توانگر آن است که حضرت الله تعالی جلّ جلاله بیاگاهانید بندگان خود را به آنکه بی‌مالی و خالی بودن از دنیا بنده را به خدای تعالی نزدیک می‌گرداند و بنده به مال و فرزند به خدای تعالی نزدیک نمی‌شود. به چند دلیل:

اوّل آیهٔ کریمهٔ: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى»(۳۴:۳۷) یعنی نه اموال شما و نه اولاد شما را به حق مقرب نمی‌سازد نزد ما پس در این آیه دعوت و اشارت است به فقر.

دوم «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»(۱۸:۴۶) مال و پسران آرایش [و] زینت زندگانی دنیاست. پس این آیهٔ شریفه تنبیه است بر شرف نفس و ترک دنیا زیرا که الله سبحانه و تعالی یاد نکرد امر شخص را الّا زینت حیات دنیا بعد از آن عطف کرد بر آن «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»(۱۸:۴۶) پس معلوم شد که زینت حیات دنیا باقی نخواهد بود پس در این آیت نیز دعوت و اشارتی است به فقر.

سیم «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم»(۸۹–۸۸: ۲۶) روزی که سود ندهد نه مال و نه پسران الا کسی که بیاورد دلی سلیم به حضرت عزّت جلَّت کَلِمَته. پس تنبه فرمود حضرت الله سبحانه و تعالی بندگان خود را که نفعی در مال و پسران نیست و چیزی که در آن نفعی نباشد پس در آن مضرت خواهد بود زیرا که دنیا و آخرت ضد یکدیگرند «فَمَاذَا بَعْدَ

---

۱ . کلمهٔ حسین بالای سطر نوشته شده و کلمهٔ «اصل» آن پاک شده است. کنیهٔ ابن خفیف ابتداء ابوالحسین بوده است.[مصحح]

الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ»(۱۰:۳۲) و چه چیز است بعد از حـق غیـر از گمراهـی؟ و عطف فرمود بر آن جملـهٔ خود: «الّا مَن اَتـی اللـهَ بِقَلـبٍ سَـلیم»(۲۶:۸۹) و کسی را که رغبت او در دنیاست دلش رنجور است و سلیم نیست و الله تعالی دنیا و مال بسیار اَضلّ بَغی و عدوان ساخته پس بـه ایـن مقـدّمات ثابـت شـد شرف فقر و أهل آن.

چهارم « وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَـدَرٍ مَـا يَشَاءُ » (۴۲:۲۷) و اگر فراخ گردانی الله تعالی روزی را از برای همـهٔ بنـدگان خود ایشـان سـتم کردنـدی در زمـین و سـر بـه خرابـی و فسـاد و گناهکـاری برآوردندی و لیکن فرو می‌فرستد روزی به‌اندازه چنانکه خواهد پـس خبـر داد حضرت الله تعالی که درِ فراخی روزی از برای بندگانْ فَساد ایشان اسـت و در کمی و اندکی صلاح دین ایشان است پس معلوم شد شرف فقر و درویشی.

پنجم «كلّا إنَّ الاِنسانَ لَيَطغَى اَنْ رآهُ اسْتَغنىٰ»(۷-۶: ۹۶)حقـا بـه‌درسـتی که آدمی سر به طغیان و نافرمانی باز می‌نهد به سـبب آنکـه خـود را مسـتغنی می‌بیند پس الله تعالی توانگری را سبب طغیـان و نافرمـانی گردانیـد و فقـر را سبب طاعت و صلاح زیرا که فقر ضدّ غِنیٰ است.

ششم «تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»(۱۸:۲۸) بر سبیل عتـاب بـا پیغمبـر خـود علیه السلام فرمود که می‌خواهی زینت حیات دنیا و این عتاب از برای شـرف فقر و أهل آن [است] که فقرا اند.

هفتم «أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ»(۷-۵: ۸۰)اما آن کسی که توانگرست پس بر او متعرض می‌شوی پس در ایـن آیـت تفضـیل فقر است و أهل فقر و دعوت است به فقر.

هشتم « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْـكَ إِلَـى مَـا مَتَّعْنَـا بِـهِ أَزْوَاجًـا مِـنْهُمْ زَهْـرَةَ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا»(۲۰:۱۳۱) و نظـر مکـن بـه هـر دو چشـم خـود ای محمـد بـه آنچـه برخورداری داده‌ایم به آن اصنافی ازین کافران دنیادار را یعنی شکوفــهٔ حیـات دنیا پس در این آیه دعوتی ظاهرست به فقر.

نهم «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ»(۹:۵۵) به عجب نینـدازد تـرا یـا محمد، مالهای کافران و نه فرزندان ایشان پس وصف کرد کافران را به این پس درین آیت ترغیب و دعوت است به فقر.

دهم «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نسارع لَهُمْ فِي الْخيراتِ بَلْ لَا يَشْعرونَ» (۵۶-۵۵: ۲۳) آیا می‌پندارند که آنچه ما امداد ایشان به آن می‌کنیم از مال و پسران مسارعت می‌نمـاییم بـرای ایشـان در خیـرات یعنـی پنداشـتی خطاست بلکه ایشان نمی‌دانند پس بیان کرد الله تعالی که مال و پسـران نـه از خیرات است پس در این آیه دعوت و ترغیب به فقر است.

یازدهم «و يُحِبُّونَ الْمالِ حُبّاً جَمّاً»(۸۹:۲۰) و دوست می‌دارند کفار مـال را دوست داشتنی سخت پس مذمت نمود الله تعالی کفّار را به حبّ مال پـس در این آیت زجر است از دوستی مال و دعوت است به فقر.

دوازدهم «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ»(۱۰۲:۱)مشغول گردانید شما را تکاثر و بسیاری اموال و مفاخرت بدان پس در این آیه نهی است از تکاثر و دعوت است به فقر.

سیزدهم «قَـالَ الَّـذِينَ يُرِيـدُونَ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا يَـا لَيْـتَ لَنَـا مِثْـلَ مَـا أُوتِـيَ قَارُونُ»(۲۸:۷۹) گفتند آنانی که می‌خواستند حیات دنیایی کاجکی کـه مـا را بودی مثل آنچه داده شد قارون را پس بیان فرمود الله سبحانه و تعالی که تمنّی دنیا از آن جاهلان و گمراهان است و هر کس که حظّی عظیم داند نادانی باشد حقاً.

چهاردهم «الْشَيطانُ يَعِـدُكُمُ الْفَقْـرَ وَ يَـأمُرُكُم بِالْفَشـاءْ»(۲:۲۶۸) شـیطان وعده می‌دهد شما را درویشی و می‌فرمایـد شـما را بـه زشـتی یعنـی شـیطان وسوسه می‌کند که اگر مال را صدقه دهید درویش شوید و ترسانیدن او خلق را از فقر نیست الا از جهت شرف فقر است والله اعلم.

پانجدهم «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا»(۴۶:۲۰) در روز قیامت بـا کافران گویند که بردید خوشیهای خود در دنیا شما پس در این آیت ترغیـب و تحریض است بر فقر.

شانزدهم «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّـهِ»(۲۴:۳۷)مردانی که مشغول نمی‌دارد ایشان را تجارت و نه بیع از یاد حق تعالی پس در این آیهٔ کریمه تفضیل فقر است و دعوت به سوی فقر.

هَفْدهم «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ»(۳۴-۳۳: ۴۳) حاصل مضمون آیه -والله اعلم- آن است که اگر نه آن بودی که خلایق همه کافر شدندی ما چنان می‌کردیم که پشت خانهٔ کافران و نردبان خانهٔ ایشان و درهای خانه و تختها که بر آن تکیه می‌کنند از نقره و طلا بودی پس در این آیه تحریض است بر فقر و تنبیه بر شرف فقر.

هَشْدهم «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»(۲:۱۵۵) و هر آینه مبتلا می‌گردانیم ما شما را به چیزی از ترس و گرسنگی و نقصان از مالها و نفسها و میوه‌ها و مژده ده ای محمّد صابران را و بیان کردالله تعالی که زوال امور از برای آن است که صابران به درجاتی که بشارت صابران بر آن داده‌اند برسند.

نوزدهم «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ»(۲:۲۱۴) آیا می‌پندارید شما که در روید در بهشت ما و نیامد به شما خبر گذشتگان که رسید به ایشان سختی و مضرت پس در این آیت دعوت و اشارت است به فقر.

بیستم «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ»(۱۰:۱۲) و چون می‌رسد به ایشان مضرتی و فقری می‌خوانند ما را خفته یا نشسته یا ایستاده پس چون گردانیدیم ما از او ضرار می‌گذرد و گوییا که ما را هرگز نخوانده بود به آن ضُرّ که به وی رسیده پس بیان کرد الله تعالی که ملازمت فقر و سختی بهتر است از بردن آن زیرا که آن شخصِ ما را به خدای تعالی نزدیک می‌گرداند.

بیست و یکم «أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ

فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَلَـيَعْلَمَنَّ الْكَـاذِبِينَ»(۳-۲: ۲۹) آیا می‌پندارند مردمان که رها کنند ایشان را به به مجرد آنکه گویند ایمـان آوردیم و ایشان را در بلا نه‌اندازیم و به درستی که در فتنه و بلا انداختیم آنان را که از پیش ایشان بودند تا صادقان و کاذبان از همدیگر ممتاز شوند.

بیست و دوم «زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا»(۲:۲۱۲) آراسته گردانیده شد از برای کافران حیات دنیا پس هر کس که به او زینت حیات دنیا باشد پس او متخلّق است به اخلاق کفّار.

بیست و سوم «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَـا تَأْكُـلُ الْأَنْعَـامُ وَالنَّـارُ مَثْوًى لَهُمْ»(۴۷:۱۲) و کافران برخورداری می‌یابنـد و مـی‌خورنـد همچنانکـه چهارپایان می‌خورند و آتش دوزخ جایگاه ایشان است پس در این آیـۀ کریمـه دعوت است به فقر و غرّه نشدن به دنیا.

بیســت و چهــارم «ذَرْهُــمْ يَــأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُــوا وَيُلْهِهِــمُ الْأَمَــلُ فَسَــوْفَ يَعْلَمُونَ»(۱۵:۳) بگذار کافران را تا بخورند و تمتع گیرند و مشغول کند ایشان را امید دراز پس زود بدانند وبال آن را پس در این آیـۀ دعوت و اشارت است به فقر.

بیست و پنجم « كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَـرَ وَتَـوَلَّى وَجَمَـعَ فَأَوْعَى»(۱۸-۱۵: ۷۰) به‌درستی که دوزخ آن است که کَنندۀ پوست سر کافران است و آتش دوزخ به خود می‌خواند کسـانی [را] کـه پشـت دادنـد و اعـراض کردند و جمع مال نمودند و نگاه داشتند پس در این آیه دعوت است به فقـر و نهی است از جمع مال.

بیست و ششم «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»(۹:۳۴) و آنانی که گنج مـی‌نهنـد طـلا و نقـره و انفـاق نمی‌کنند آن را در راه خدای تعالیٰ پس مژده ده ایشان را به عذابی دردناک پس در این آیه دعوت و اشارت است به فقر.

بیســت و هفـتم «فَـإِنْ أُعْطُـواْ مِنْهَـا رَضُـواْ وَإِن لَّـمْ يُعْطَـوْاْ مِنهَـا إِذَا هُـمْ

يَسْخَطُونَ»(۹:۵۸) پس اگر داده شوند ایشان را از دنیا راضی شوند و اگر ایشان را ندهند از دنیا ناگاه در خشم شوند پس درین آیه شرف فقر و دعوت است به فقر.

بیست و هشتم «وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ»(۹:۵۹) وگر آنچه ایشان راضی شوند به آنچه خدا و رسول او به ایشان داده گویند حَسبُنَا الله پس در این آیه دعوت و اشارت است به فقر.

بیست و نهم « وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى»(۸۷:۱۷) و آخرت بهتر است و باقی‌تر پس در این آیه شرف فقر و اشارت به فقر [است].

سی‌ام «وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى»(۹۳:۴) و آخرت بهتر است مر ترا از اولیٰ یعنی از دنیا(ی) دنی.

سی و یکم «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»(۳:۱۴) آراسته گردانیده شد از برای مردم دوستی شهوات از زنان و فرزندان یعنی پسران و قناطیر مُقنطَره از طِلا و نقره و اسبان داغ کرده شده و چهارپایان و زِراعت این متاع حیات دنیاست پس در این آیه شرف فقر است و فضل أهل آن.

سی و دوم «قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ» (۳:۱۵) گو ای محمد هیچ خبر دهم شما را به چیزی که بهتر باشد از این تان یعنی از متاع حیات دنیا مر پرهیزکاران را نزد پروردگار ایشان بهشتهاست پس در این تحریض است بر فقر و دعوت است به آن.

سی و سیم «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ»(۲۴-۲۳: ۵۷) به‌درستی که الله تعالی دوست نمی‌دارد هر متکبری فخر آورنده آنانی که بخیلی می‌کنند و می‌فرمایند مردم را به بخل چنین گوید مترجم کتاب -کان الله لَهُ- که این مذمّت بخل است و این مستلزم مذمّت حبّ دنیاست و حبّ دنیا سرِ همهٔ گناهان است پس درست شد شرف فقر و

فضل آن.

سی و چهارم «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»(۵۹:۹) هر کسی که نگاه داشته شود از بخل نفس خود رستگار شود پس در این آیه ترغیب است و دعوت است به فقر.

سی و پنجم «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(۳:۱۸۰) زودا که طوق سازند مالی که بخیلی به آن کرده‌اند و در گردن ایشان اندازند در روز قیامت پس در این آیه دعوت است به فقر و شرف است فقر را.

سی و ششم «وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ»(۲:۱۷۷) و داد مال را بر دوستی خدای تعالیٰ با وجود دوستی مال؛ فرمود که جمع کرد مال را بر دوستی او مدح نکرد او را به نگه داشتن مال پس در این آیه دعوت است به فقر.

سی و هفتم «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»(۳:۱۳۴) آنانی که انفاق می‌کنند در حالت خوشی و ناخوشی پس در این آیه تحریض است آدمی را بر انفاق.

سی و هشتم «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى»(۹-۸: ۹۲) و اما آن کسی که بخیلی نمود و توانگر شد و تکذیب کرد به کلمهٔ توحید پس بخیلی از اخلاق کافران است.

سی و نهم «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى»(۷:۱۶۹) پس باز ماند از ایشان بازمانده‌ای که به میراث یافته‌اند کتاب را فرا می‌گیرند پس مذمت فرمود الله تعالیٰ کافران را به گرفتن عَرَض دنیا.

چهلم «مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ»(۱۸:۴۵) نیست صفت حیات دنیا الّا همچون آبی که فرو می‌فرستیم ما آن را از آسمان سپس مختلط می‌شود به آن نبات زمین پس نبات خشک و شکسته می‌گردد به حیثیتی که باد آن را پراکنده می‌گرداند و ناچیز.

چهل و یکم «أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي

الْأَمْـوَالِ وَالْأَوْلَادِ»(۵۷:۲۰) نیسـت حیـات دنیـا الا بـازی و لهـو و زینتـی و مفاخرت در میان شما و تکاثر در مالها و فرزندان پس در این آیه زجر است از میل به دنیا و غرّه شدن به دنیا.

چهل و دوم «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ و مَغفِرةٌ مِـنَ اللـهِ و رِضـوانٌ»(۵۷:۲۰) دنیـا همچون بارانی است که به عجب آورد کفّار را نبات آن پس ببینی تـو آن را زرد شده بعد از آن خشک گردد و در آخر عذابی سخت است یعنـی دشـمنان را و مغفرت است از خدای تعالیٰ و رضوان دوسـتان را پـس در ایـن آیـت دعـوت است به فقر و اشارت است بر آن.

چهل و سیم «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا كَمَثَـلِ رِيـحٍ فِيهَـا صِـرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ»(۳:۱۱۷) مثل آنچه انفاق مـی‌کننـد در این حیات دنیا مثل باد است که در آن ضرری است که برسد به زرع قـومی که ظلم کرده باشند بر نفسهای خود هلاک گرداند آن باد زرع را.

چهـل و چهـارم «تُرِيـدُونَ عَـرَضَ الـدُّنْيَا وَاللَّـهُ يُرِيـدُ الآخِـرَةَ»(۸:۶۷) می‌خواهند متاع حیات دنیا و الله تعالیٰ می‌خواهد آخرت را.

چهل و پنجم «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى»(۲۸:۶۰) و آنچه داده شد شما را از هر چیز پـس آن متـاع حیـات دنیاست و زینت آن و آنچه نزد خداسـت جـلَّ جلالـهُ از ثـواب بهتـر اسـت و باقی‌تر.

چهل و ششم «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»(۶۴:۱۵) نیست مالهای شما و فرزندان شما الّا فتنـهٔ شما.

چهل و هفتم «إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»(۶۴:۱۴) به‌درستی که بعضی از هم‌جفتان شما و فرزندان شما دشمن‌اند مر شما را پـس حذر نمایید از ایشان و الله اعلم.

این آیات مذکورات حضرت شیخ قُدِّسَ سرّهُ به اسـتدلال شـرف درویشـی

آورده‌اند مترجم کتاب سه دیگر می‌آورد تا عدد پنجاه تمام شود.

چهل و هشتم «الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَـدَّدَهُ يَحْسَـبُ أَنَّ مَالَـهُ أَخْلَـدَهُ»(۳-۲: ۱۰۴) آن کسی که جمع کرد مال را و تَعداد کـرد آن را مـی‌پنـدارد کـه مـال او جاوید گرداند او را یعنی این تصوّری باطل است پس در ایـن آیـه شـرف فقـر است.

چهل و نهم «وَجَعَلْـتُ لَـهُ مَـالًا مَمْـدُودًا»(۷۴:۱۲) تـا «سَأُصْـلِيهِ سَـقَرَ» (۷۴:۲۷) در مذمّت ولید مغیره که یکی از کفّار اشرار بود فرمود که گردانیـدم من او را مال کشیده شده بعد از آن فرمود که زودا که دراندازم او را در سقر کـه دوزخ است پس معلوم شد مذمّت مال و شرف فقر.

پنجاهم «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ»(۶۸:۱۴) عَیبیِ بعضی از کافران می‌فرماید به آنکه صاحب مال است و پسران و بدان مفتخِر و از حق غافل.

پس در این آیات بیّنات که یاد کردیم فضیلت و شرف فقر است و بنـدگان را به فقر می‌خواند و راغب می‌گرداند در فقر و بسیار آیات دیگر که دالّ اسـت بر شرف فقر و آن را ننوشتیم تا این مختصر مطوّل نشود بر کسی که بر آن عبور نماید.

باب دوم در بیان احادیث نبوی

که وارد است از حضرت سیّد عالمیان محمد مصطفیٰ صلّی الله علیه و سـلّم که دلالت می‌کند بر شرف فقر و أهل آن.

حدیث أول «تَعِسَ عبدُالدِّینارِ وعبدُالدِّرهمِ وعبدُالخَمیصةِ إِن أُعطِيَ رضـيَ وإن مُنعَ سخطَ» یعنی هلاک باد بندهٔ دینار و درهم هـلاک بـاد بنـدهٔ قطیفـه و خمیصه هلاک و سرنگون باد و چون بیفتـد برنخیـزد یعنـی جامـه بـه تکلّـف اگرش بدهند راضی باشد و گرش ندهند در غضب باشد.

حـدیث دوم «اللّهــم احینــی فقیــراً و امتنــی فقیــراً و احْشـرنی فــی زُمــرةِ المساکین» یعنی بار خدایا مرا درویش بزیان و مـرا درویـش بمیـران و مـرا در

زمرهٔ مساکین حشر فرمای یا رب.

حدیث سوم «اِسْتَنصروا نُصرةِ» از خدای تعالی طلب کنید ای درویشان مهاجر و انصار.

حدیث چهارم «هَل تَرزَقونَ و هَل تَنصرونَ الّا بِضُعَفائکم» و هیچ روزی داده می‌شوید الا به برکت ضعیفان شما [و هیچ] یاری داده می‌شوید الا از جهت درویشان.

حدیث پنجم روایت است که چون درویشی حاضر شدی در مجلس شریف حضرت محمد مصطفی صلّی الله و علیه و سلّم آن حضرت فرمودی «اليَّ هیهنا إلی هیهنا» یعنی اینجا بیا اینجا بیا و او را به خود نزدیک گردانیدی و فرمودنی که این گروه آنانند که الله تعالی عتاب فرمود مرا دربارهٔ درویشان.

حدیث ششم «یا قوم مَعَکم المحیٰا و مَعَکم المماة» ای قوم با شماست حیات من و با شماست ممات من.

حدیث هفتم الحمدلله که مرا نمیرانید تا امر فرمود مرا که صبر کنم با این گروه درویشان.

حدیث هشتم به درستی که الله تعالی نگاه می‌دارد ولیّ خود را از دنیا همچون که نگاه می‌دارد یکی از شما رنجورِ خود را از آب.

حدیث نهم روایت است که مردی گفت با حضرت مصطفیٰ صلّی الله علیه به درستی که من ترا دوست دارم آن حضرت فرمود که کارسازی فقر کن که فقر زودتر می‌رسد به دوستان ما که سیل از سر کوه به وادی فرود آید.

حدیث دهم آن حضرت فرمود علیه السلام که اگر من خواهم که کوهها[ی] تمامه زر گردد و با من روان شود البته روان شود لیکن [خواهم که] روزی گرسنه باشم تا صبر کنم و روزی سیر تا شکر کنم.

حدیث یازدهم فرمود که کلید خزاین دنیا پیش من آوردند و من قبول نکردم و گفتم روزی گرسنه باشم و روزی سیر.

حدیث دوازدهم با بِلال فرمود که ای بلال درویش بزی و توانگر مزی

گفت چگونه باشد این یا رسول‌الله؟ حضرت فرمود چون ترا مال دادند پس گرد مکن و چون از تو درخواست کنند پس منع مکن.

حدیث سیزدهم آن است که حضرت علیه السلام فرمود با مردی که در پیش او حاضر بود و گفته بود که یا رسول الله به درستی که من عزم کردم که جمع کنم مالی پس از کدام مال مرا می‌فرمایی که ذخیره سازم؟ فرمود که زبانی ذاکر و دلی شاکر و بر این باش تا اجل به تو رسد.

حدیث چهاردهم «اللّهم اَجعَل رزق آل محمد کفافاً یَوماً بیومٍ» بار خدایا بگردان روزی آل محمد سربه‌سر و روزبه‌روز.

حدیث پانجدهم ذخیره مسازید هیچ از برای فردا پس به‌درستی که الله تعالی می‌فرستد روزی هر روزی.

حدیث شانزدهم نظر کردم در بهشت پس دیدم بیشتر أهل بهشت فقرا و نظر کردم در دوزخ پس دیدم بیشتر أهل دوزخ اغنیا.

حدیث هفدهم هلاک شدند بسیار مالان الّا کسی که مال صرف کند همچنین و همچنین و همچنین از دست راست بدهد و از دست چپ بدهد و از پیش روی بدهد و از پشت سر و اندک‌اند ایشان که چنین باشند.

حدیث هشدهم از شرف فقر آن است که زره آن حضرت مرهون بودی نزد یهودی.

حدیث [نوزدهم] اندر شرف فقر آن است که[...][1] رضی الله عنه فرمود آن زمان که می‌گریست از اثر کردن حصیر در پهلوی مبارک مصطفی صلّی الله علیه و سلّم و ما انا [من] الدّنیا، نیستم من فا دنیا الّا همچون سواری که در سایهٔ درختی فرود آمده باشد و بعد از آن کوچ کند و رها کند و برود.

حدیث بیستم از شرف فقر آن است که فرمود محمد مصطفیٰ صلّی علیه و

۱. چند کلمه افتادگی دارد.

سلّم که مرا مخیر گردانید پس با من گفتند که می‌خواهی که پَیْغَمبرْ باشی پادشاه وش یا پَیغَمبری باشی بنده وش.

حدیث بیست و یکم از شرف فقر آن است که پیغمبر علیه الصّلوة و السلام با ابی‌زرّ گفت که تو پنداری که غنا و توانگری بسیار مالی است؟ گفت آری فرمود نه توانگری توانگریِ دل است و فقر فقرِ دل است.

حدیث بیست و دوم از شرف فقر آن حدیث است که فرمود به درستی که مر هر امّتی را فتنه‌ای است و فتنهٔ امّت من مال است.

حدیث بیست و سیم آن است که ابوطلحه (لعنة الله)[1] آمد به حضرت رسول الله صلی علیه و سلّم پس او را خبر داد که من نماز می‌کردم در این بستان پس مرغکی بپرید و می‌آمد و می‌رفت می‌خواست که بیرون رود زود پس در نظر ابو طلحه (لعنة الله)[2] خوش افتاد و ساعتی چشم در آن رها می‌کرد بعد از آن آن مرغ بازگشت ابوطلحه ندانست که چند رکعت نمازگزارده بود پس گفت از جهت این بستان فتنه در نماز به من رسید پس این بستان در راه خدای تعالی صدقه باشد پس صرف کن آن‌را در هر جا که خواهی یا رسول الله.

حدیث بیست و چهارم دنیا خانهٔ کسی است که خانه ندارد و مال کسی است که مال ندارد و دنیا کسی جمع کند که عقل ندارد.

حدیث بیست و پنجم آن حدیث است که فرمود که اگر برابر بودی تمام دنیا نزد خدای تعالی با پرّ پشّه‌ای هیچ کافر را یک شربت آب ندادی زیرا که دنیا ملعون است و هر چه از دنیاست ملعون الا آنچه رضای خدای تعالی به آن جسته باشد.

حدیث بیست و ششم از آن زمان که خدای تعالی دنیا را آفرید هرگز نظر

---

۱. افزودهٔ کاتب است.

۲. افزودهٔ کاتب.

در دنیا نکرد.

حدیث بیست و هفتم آن است که پیغمبر صلی الله علیه و سلّم فرمود که روزی بگذشت به گوسفندی مرده و آماسیده پس بایستاد بر آن و فرمود با یاران که این گوسفندِ مرده خوار است بَرِ أهل آن؟ گفتند آری فرمود که دنیا خوارتر است بر خدای تعالی از این گوسفنده مرده پیش شما.

حدیث بیست و هشتم آن است که فرمود هر چیزی که زیاده باشد غیر از نان پاره‌ای و سایهٔ خانه‌ای و جامه‌ای که بپوشانی به آن عورت خود را پس آن نعیم است که در قیامت از آن سؤال خواهد بود.

حدیث بیست و نهم آن است که سه بار فرمود رها کنید دنیا را برای أهل آن هر کسی که فراگرفت از دنیا زیاده از قدر حاجت بگیرد خناق او را و حال آنکه او نداند یعنی او را هلاک کند.

حدیث سی‌اُم روایت کند فاطمه رضی الله عنه که نان پاره‌ای آورد به نزد پیغمبر صلی الله علیه پس فرمود که این نان پاره چیست؟ فاطمه گفت که قرصی است که من پخته بودم پس خاطرم خوش نبود که شما از آن نخورید آورده‌ام این را پیش تو پیغمبر صلی الله علیه و سلّم فرمود که آگاه باش که [به] درستی که أول طعامی است که [به] دهان پدر تو رفته از سه روز باز.

حدیث سی و یکم آن حدیث است که فرمود که چون تسکین کردی گرسنگی را به گِرده‌ای و کوزه‌ای آب پس پشت به دنیا کن.

حدیث سی و دوم بس است پسر آدم را نان پاره‌ای که راست دارد به آن پشت خود را و خرقه‌ای که بپوشاند به آن عورت خود را و خانه‌ای خشتی که خود را از گرما و سرما به آن نگاه دارد و هرچه غیر از آن است پس بدان حساب خواهد بود.

حدیث سی و سیُم من از دنیا [نی]ام و دنیا از من نیست به درستی که من و قیامت با هم مبعوث شدیم پس من سبق گرفتم.

حدیث سی و چهارم من دوست نمی‌دارم که کوه اُحُد با طلا گردد از برای

من که شب بگذرد و نزد من از آن دیناری مانده باشد الّا دیناری که نگـاه دارم آن را از برای قرض.

حدیث سی و پنجم آن است که با عبدالله عمر رضی الله عنهما فرمود که باش در دنیا همچون غریبی یا همچون راهگذاری.

حدیث سی و ششم آن است که با عایشه رضی الله عنهـا فرمـود کـه بـس است ترا از دنیا مثل توشـهٔ سواری اگر دوست می‌داری که به من رسی و بپرهیز از اختلاط با توانگران و جامه را بدل مکن تا آن را پاره‌ای نزنی.

حدیث سی و هفتم پنج چیز است که دل را خـراب مـی‌گردانـد بعـد از آن چهار را ذکر فرمود و پنجم گفت همنشینی مردگان فرمود همنشـینی تـوانگران که ایشان دل مردگانند.

حدیث سی و هشتم هر کس که بپوشد جامـهٔ شـهرت یـا سُـوار شـود بـر مرکب شهرت الله سبحانه و تعالی از او اعراض نماید و اگرچه کریمی باشد.

حدیث سی و نهم جمع می‌کنید مالی چند که نمـی‌خوریـد و مـی‌جوییـد خانه‌ای چند که در آن ساکن نمی‌شوید و امید می‌دارید چیزی چند کـه بـه آن نمی‌رسید و بند بد[...][1] نمی‌شوید.

حدیث چهلم به درستی که اغبط اولیاء من یعنی کسی که مردم غبطه بر او بیشتر برند در قیامت و آرزوی منزلت او کنند مؤمنی است سبک حال کـه او را حظّی تمام در نماز شب باشد و نیکو پرستش پروردگار جلّ جلاله کند در سرّ و بی‌نام و نشان باشد و اندک باشد میراث او.

حدیث چهل و یکم رستگار شد کسی که به سـلامت اسـت و روزی یابـد سربه‌سر و قانع گرداند الله تعالی او را بدان چیزی که بدو داده باشد.

حدیث چهل و دوم دعایی است که پیغمبر صلی الله علیه و سلّم فرمود که

---

۱ . کلمه ناخواناست

بار خدایا هر کس که ایمان به تو دارد و گواهی داد که من رسول توام پس دوست گردان به او لقاء خود و آسان گردان بر او قضاء خود و اندک گردان مر او را از دنیا.

حدیث چهل و سیم بار خدایا هر کس که مرا دوست دارد و فرمانبرداری من کند پس او را روزی گردان قلّت مال و فرزند.

حدیث چهل و چهارم به درستی که درویشان البته در روند در بهشت پیش از توانگران به نیم‌روزِ آن جهان که آن باشد پانصد سال.

حدیث چهل و پنجم روایت است که حضرت سیدالمرسلین صلی الله علیه و سلّم فرمود با اصحاب خود که کدام از مردمان نیکوتر؟ پس یکی از اصحاب گفت کسی که توانگر باشد و حق نفس خود و مال خود ادا کند پس فرمود نیکو کسی باشد آن کس و هیچ باکی به او نباشد ولیکن بهترین مردمان مؤمنی است درویش که آنچه جهد و طاقت و وُسع او باشد در راه خدای تعالی بدهد و اخبار در این باب بیشتر است از آنکه بتوان شمرد.

مترجم کتاب خادم الحدیث شریف عبدالرحیم الملقب به خفیف –کان الله لهُ– که چون پنجاه آیه گذشت پنج حدیث بیاوردم تا عدد حدیث نیز پنجاه باشد.

حدیث چهل و ششم عمر خطاب رضی الله عنه در آن روزی که به خانهٔ حضرت مصطفیٰ صلّی الله علیه و سلّم رفت سوگند یاد کرده بود که یک ماه بیرون نیاید گفت پس بنشستم چشم برداشتم در آن خانه والله که چشم من به هیچ نیفتاد غیر از سه پوست کهنه پس گفتم یا رسول الله دعا کن تا خدای تعالی فراخ گرداند بر امّت تو که خدای تعالی فراخ گردانیده بر فارس و روم و ایشان خدای تعالی نمی‌پرستند پس حضرت مصطفی صلّی الله راست بنشست بعد از آن گفت آیا در شکّی تو ای پسر خطاب که این گروه فارس و روم قومی‌اند که تعجیل کرده به ایشان خوشیهای ایشان در زندگی دنیا؟ پس این حدیث شریف دلیل است بر شرف فقر و أهل آن.

حدیث چهل و هفتم سعد بن مالک رضی الله عنه فرماید کـه مـا ۱۶ نفـر بودیم با حضرت رسول الله صلی الله علیه و سلّم که ما را چند طعام نبود کـه بخوریم الا برگ درخت تمره تا یکی از ما چون قضا حاجت می‌کرد مـی‌نهـاد مثل آنکه گوسفندی می‌نهد.

حدیث چهل و هشتم عایشه رضی الله عنهـا فرمایـد کـه سـیر نشـدند آل محمد از آن زمان باز که که رسول الله صلی الله علیه به مدینـه فرمـود از نـان گندم سه شب پیاپی تا وفات یافت.

حدیث چهل و نهم عایشه رضی الله عنها روایت کند که یک ماه و دو ماه می‌گذشت بر أهل و بیت رسول الله صلعم که آتش نمی‌افروختنـد مگـر آنکـه کسی لحمی به هدیه به ایشان فرستادی و ایشان را همسایگانی چنـد بودنـد از انصار که از طعامی چند که ساخته بودند نصیبی به هدیه بفرستاندی.

حدیث پنجاهم عایشه رضی الله عنها با عروه فرمود که ای خواهرزادهٔ مـن والله که یک ماه و دو ماه و سه ماه می‌گذشت که در نُه حجرهٔ مطهرهٔ حضـرت رسول الله علیه افضل الصلوات طعام نمی‌پختند و شاخی هیزم نمی‌سـوختند عروه گفت خاله پس به چه چیز به‌سر می‌بردید و زندگانی به چه می‌گذاشتید؟ گفت به آب و خرما به سر می‌بردیم و خدای را شکر می‌کردیم.

پس معلوم شد از این آیات شریفه و احادیث منیفه شرف و منقبت درویش و درویشان و فضل ایشان.

بیت در شأن درویشان:

خوشا وقت شوریدگان [و] غمـش | اگـر زخـم بیننـد وگـر مـرهمش
گـــدایانِ از پادشـــاهی نفـــور | بـه درد وی انـدر گـدایی صـبور
دمـــادم شـــراب اَلـــم درکشـــند | وگـــر تلـــخ بیننـــد دَم در کشـــند

فی العربیَّ

نَعیمکَ فی الدّنیا غرورٌ [و] حسـرةٌ | و عیشُک فی الدّنیا محالٌ و باطـلٌ
إلا إنَّمـــا الـــدّنیا لَمَنـــزِلِ راکـــبٍ | اراح عیشاً و هُوَ فی الصّبح راحـلٌ

باب در شرف أهل فقر و فضل آن گفته‌اند

عایشه رضی الله عنها روایت کند که یک نوبت دِرْعی پوشیده و نظر به آن می‌کرد و تعجب می‌کرد و خوش می‌آمدش ابوبکر گفت رضی الله عنه چه نظر می‌کنی؟ به‌درستی که الله تعالی نظر به تو نمی‌کند گفتم چرا؟ گفت تو نمی‌دانی که هرگاه عُجب به زینت دنیا داخل ساخت در شخص حضرت الله تعالی از او به خشم می‌رود تا آن زمان که ترک آن زینت کند عایشه گفت که پس من آن‌را برکندم و به صدقه دادم ابوبکر گفت شاید که این صدقه کفّارت کند از تو این معنی را.

دیگر حضرت سیّد عالمان صلّی الله علیه و سلّم با ابوبکر فرمود در آن روز که تمام مال در راه خدای تعالی صرف کرد که چه رها کردی از برای أهل و عیال خود؟ گفت الله و رسوله و در روایت است که جبرئیل علیه السلام فرود آمد به حضرت مصطفی علیه السّلام پس گفت ابوبکر را چه شده در این جامهٔ پشمین که خلال در سینه آن فرو برده؟ پس حضرت فرمود یا جبرئیل همهٔ مال خود صرف راه من کرد جبرئیل گفت پس او را از حضرت خداوند تعالی سلام برسان و با او بگو که پروردگار تو می‌گوید که تو راضی‌ای از من در درویشی یا در خشمی؟ پس ابوبکر بگریست و گفت آیا (از) پروردگار خود در خشم باشم؟ من از پروردگار خود راضی‌ام.

دیگر اَنسَ مالک روایت کند که عمر بن خطّاب رضی الله عنهما در آن روز که امیرالمؤمنین بود سه پاره به جامه زده بود بر روی هم دیگر در میان شانه بعضی بر بالای بعضی و مشکی آب بر گردن گرفته و به خانهٔ پیرزنها می‌برد.

دیگر روایت است از علی بن ابی‌طالب رضی الله عنه که داماد شد به دختر رسول الله صلی الله علیه و سلّم پس فِراش نبود ما را در شب دامادی الا پوست گوسفندی که بر روی دیگ انداخته بودند.

دیگر روایت است که فضالة بن عبید گفت که حضرت رسول الله چون

نماز می‌گزارد خسته می‌شدند مردانی چند از ایستادن از بس که سختی کشیده بودند و ایشان اصحاب صفّه بودند حتی که اعراب می‌گفتند به‌درستی که این گروه دیوانگان‌اند پس حضرت رسالت صلی الله علیه و سلّم نماز بگزارد به نزد ایشان رفت و با ایشان گفت اگر بدانید آن ثوابی که شما را نزد خدای تعالی هست دوست دارید که درویشی شما زیادت شود.

دیگر روایت است از عمّار یاسر که گفت تمام نمی‌شود بنده را ایمان تا آخرت برگزیده‌تر باشد نزد او از دنیا تا اندک دوستر باشد نزد او از بسیار و تا نزدکی و دور نزد او در عدل یکسان باشد.

دیگر روایت است از عبدالرّحمن بن عوف که به ضرّا و سختی پس صبر کردیم بعد از آن مبتلا شدیم به خوشی پس صبر نکردیم.

دیگر قول پیغمبر صلی الله علیه و سلّم حکایت از الله تعالی به‌درستی که دوسترین بندگان به‌سوی من درویشانند که فرمانبرداری من کنند و وصیّت مرا نگاه دارند و به درستی که از کرامت من برایشان آن است که ندهیم ما ایشان را آن چیزی که مشغول باشند به آن از طاعت من.

دیگر روایت است از ابی‌ذر که وصیّت کرد مرا پیغمبر علیه‌السّلام که چون دوست دارد الله سبحانه و تعالی بنده را مبتلا گرداند او را چون سخت بنده را دوست دارد رها نکند مر او را مال و فرزند.

دیگر فرمود درویشان مؤمنا[ن] بگذرند در روز قیامت پس با ایشان گویند بایستید از برای حساب پس ایشان گویند که ما چیزی رها نکردیم که ما را بر آن حساب کنند پس الله تعالی فرماید که راست گفتند بندگان من پس درروند در بهشت پیش از توانگران به هفتاد سال یا چهل سالِ آن جهانی.

دیگر روایت است که الله تعالی وحی کرد به موسی علیه السلام پس گفت یا موسی چون ببینی توانگری را که مردم روی به او نهند پس بگوی که گناه است که تعجیل کرده شده است عقوبت آن و چون بینی درویشی را که مردم روی به او نهند پس بگوی مرحبا به شِعار صالحین.

دیگر روایت است که حارثه گفت که نفس من دنیا شناخته و یکسان است نزد من زر و کلوخ پس پیغمبر صلی الله علیه و السلام گفت در شأن او که بنده‌ای است نورانی گردانیده الله تعالی دل او را.

دیگر روایت است که الله تعالی وحی فرستاد به عیسی که من بخشیده‌ام ترا دوستی درویشان باطناً تا تو بدانی و ایشان را دوست داری و ایشان ترا دوست دارند و راضی باشند که تو امام و قاید ایشان باشی که ایشان در صحبت تو باشند و پیرو تو باشند.

دیگر روایت است از ابوهریره رضی الله عنه که جماعتی از اصحاب پیغمبر به معاملهٔ بازار مشغول می‌بودند و من ملازم آن حضرت بودم از برای کلمه‌ای که مرا بیاموزد و لقمه‌ای که آن را تناول کنم.

دیگر روایت است که پیغمبر صلی الله علیه و سلّم فرمود که حضرت تعالی مرا نفرموده که مال فراگیرم و از بازرگانان باشم مرا فرموده که «فَسَبِّح بِحَمد رَبِّک و کُنْ مِن السّاجِدین» پس تسبیح کن به حمد پروردگار خود و باش از سجده کنندگان و بپرست پروردگار خود را تا بیاید به تو موت.

دیگر روایت است که فرمود که هر کس که برگزیند دنیا را بر آخرت الله تعالی او را مبتلا گرداند به بلایی و غمی که جدا نشود از دل او هرگز و فقری که توانگر نشود هرگز و حرصی که سیر نشود هرگز.

دیگر روایت است که الله تعالی با دنیا فرمود که یا دنیا خدمت کن کسی را که خدمتِ من کند و در تعب و سختی انداز کسی را که خدمتِ تو کند.

و دیگر روایت است که مرتضی علی رضی الله عنه فرمود که بیاید بر مردمانی زمانی که نپرستند در آن زمان الا درهم و دنانیر.

و دیگر روایت است از پیغمبر صلی الله علیه که گفت هر کس که ترک کند لباس شهرت و حال آنکه او قادر باشد بر آن لباس الله سبحانه و تعالی او را بخواند در روز قیامت بر رؤوس خلایق پس مخیّر گرداند او را میان حُلّه‌ها[ی] ایمان هر کدام که خواهد.

دیگر روایت است که نوح علیه السلام بنایی کرده بود از نی یا برگ خرما پس در این باب با او سخن گفتند در جواب گفت این بسیار است کسی را که می‌میرد.

و دیگر روایت است که داوود علیه السلام هرگاه که می‌خواست دعای او رد نشود می‌گفت یا اله مسکینان ای خدای درویشان و دعایش قبول می‌شد.

دیگر روایت است که حضرت الله تعالی وحی کرد به داوود علیه السلام که یا داوود اگر می‌خواهی که بیابی حلاوت مناجات من پس بگردان میان خود و میان شهوات دنیا سوری از آهن.

دیگر روایت است که الله تعالی وحی فرستاد به داوود که فرا مگیر میان خود و میان من نظرگاه ما که دل است دوستی دنیا که ترا از محبت ما باز دارد که آن جماعت که چنین کنند راهزنان بندگان من‌اند.

دیگر روایت است که الله تعالی وحی فرستاد به موسی که فراگیر برای نفس خود لباسی که ترا به آن بشناسد در جهت مسکنت.

دیگر روایت است از پیغمبر صلی الله علیه و سلّم که فرمود که هرکس که راضی نباشد به اندکی از دنیا نجات نیابد از تعب و رنج.

دیگر روایت است از عیسیٰ علیه السلام که هر کس منع و عطا نزد او همچون هم نباشد خدای تعالی را نشناخته و حق معرفت ندانسته و از عیسیٰ علیه السلام روایت است که به درستی که یاری دهنده‌ترینِ خلایق بر دین زاهدان‌اند و به درستی که زیانکارترین خلایق در دین رغبت در دنیاست.

دیگر روایت است که حضرت پیغمبر صلی الله علیه و سلّم فرمود که بدترینِ مردمان مردی عالم است که برگزیند دنیا را بر علم خود و عمل خود پس دنیا را دوست دارد و طلب آن کند و نداند که چه معنی باشد از اعمیٰ نور آفتاب و حال آنکه او آفتاب را نمی‌بیند.

دیگر فرمود که به حق با شما می‌گویم که تمام گردانید محبت الله تعالی و شما فقها و علما و مساکین را دوست دارید و دوستی با ایشان ورزید و نرم

گویید با ایشان سخن را و نیکی کنید با ایشان.

دیگر روایت است از عیسیٰ علیه السلام که گفت شما تواضع می‌کنید از برای اغنیا با مهابت از برای سلطان به امیدواری حظّی که از ایشان بیابید و تواضع نمی‌کنید از برای مسکینان و درویشان از ترس جلال حق تعالی و امیدواری ثواب او.

و دیگر روایت است که الله تعالی وحی کرد به داوود علیه السّلام که یا داوود می‌دانی که کدام از فقرا فاضلترند؟ گفت الهی نه فرمود که آنانی که رَاضی شوند به حکم من و نعمت من حمد من کنند و بر نعمت من از معاش.

دیگر روایت است که امیرالمؤمنین حسین بن علی رضی الله عنهما فرمود که درویشی زودتر می‌رسد به دوستان ما از دویدن اسبان تیز رفتار و از سیل به منتهای آن و از قطرهٔ باران به زمین و اگر شما نه چنین باشید از ما نیستید و در خبر است که موسی علیه السلام بر کنارهٔ دریا مردی دید مشرک آفتاب‌پرست که دام در دریا انداخت و مملوّ بیرون آورد و مردی دیگر موحّد خدای‌پرست دام در دریا انداخت و دو بار و یکی ماهی به ستم بیرون آورد و بستد و حمد الله تعالی کرد پس موسی سؤال کرد از حضرت حق تعالی در این باب در جواب فرمود که یا موسی بنگر که چه مضرّت رسانید این شخص را آنچه منش ندادم چه منفعتش رساند آنچه من به او دادم موسی گفت یا رب سزاوارست کسی را که ترا بشناسد که راضی شود به صنع تو.

دیگر ابوالدّردا گفت که بپرهیزید از نشستن در بازارها که آن موجب لغو و لهو است.

دیگر امیرالمؤمنین علی رضی الله عنه فرمود که هر کس که صبر کند بر خواری و او قادر باشد بر عزّت و صبر کند بر خواری و او صبر کند بر درویشی الله تعالی او را ثواب هفتاد صدیق کرامت کند به فضل و کرم و عیسیٰ علیه السلام فرمود که ای گروه حواریان بدانید که حلاوت دنیا تلخی آخرت است و تلخی دنیا حلاوت آخرت است و الله اعلم.

باب در شرف فقر به نسبت با اولیا و صلحا و متّقیان

عامر بن قیس می‌فرماید که دراهم و دنـانیر بـه منزلـت کـواره پـاره[1] اسـت التفات بدان مکن.

و روایت است که هیچ‌کس نشنید که ربیع بن خشیم سخنی گفته باشد که در آن چیزی از امر دنیا باشد و ابومسلم خولانی هیچ‌کـس بـا او ننشسـتی کـه سخن از امر دنیا گفتی الّا که او برخاستی.

و دیگر نقل است که اویس قرنی طعام او از دانه‌هـای خرمـا بـودی کـه از زمین برچیدی و هرگاه که قوتی از آن دانه به دست آوردی از بیشتر آن به صدقه دادی.

دیگر روایت است که اسود بن یزید نوبتی حاضر می‌شـد در سـر سـفره و نوبتی ترک طعام می‌کرد پس با او گفتند که چرا این جسد را تعذیب می‌کنـی؟ گفت کار سخت است اگر نیز مرا بیامرزد شرمساری خواهد بود.

سر خجالتِ درویش از آن بود در پیش

که گر گناه ببخشند شرمساری هست

دیگر روایت است از هِرَم بن حَیّان پرسیدند که معیشت تو از کجاست؟ پس گفت گمان نبرم که کسی الله تعالی را متّهم سازد در روزی او و روایت است از حسن بصری رحمه الله که گفت قومی را دیدم که نمی‌انداختند میان خود و زمین هیچ چیز و دنیا خوارتر بود بر یکی از ایشان از خاک که پای بر آن می‌نهند.

دیگر روایت است از طاووس که این دعا می‌کرد «اللهمّ ارْزُقنی الایمان و العَمَل و جَنّبنی المالَ و الْولد» بار خدایا روزی گردان مرا ایمان و عمل و دورگردان مرا از مال و ولد.

---

۱ . کلمه ناخواناست.

دیگر روایت است که ابی‌حاذم گفت یقین می‌دانم که اگر أهل آسمانها و زمین جمع شوند هیچ نفع به من نتوانند رسانید پس من طلب روزی نمی‌کنم و هیچ مضرّت به من نتوانند رسانید پس من نافرمانی پروردگار خود نمی‌نمایم در طلب چیزی که به آن خواهم رسید.

دیگر روایت است از بلال بن سعد که گفت زاهدِ شما راغب است در دنیا و عابدِ شما مقصّر است و عالِم شما جاهل است و جاهل شما ضایع است.

روایت است که سؤال کردند از ابراهیم نخعی که بیرون رفتی در مُلْفَقهٔ رنگین؟ گفت زیرا که مرا غیر از این [...][1] نبود و نماز جماعت از من فوت می‌شد.

دیگر روایت است از ابن محرز که چون به خانه رفتم و گِرده‌ای خوردم و به سیری نزدیک شدم و آب آشامیدم پس گویی همهٔ دنیا مراست و روایت است از مالک دینار که گفت اگر نه آن بودی که طفلان شما به ما بازی کردندی من از خوی شما بگذشتمی و از این سردی بیفتمی و خود را به لباس پاره‌ای باز پوشیدمی و طعام من از گیاه صحرا بودی تا زمان وفات و دیگر روایت است که در خانهٔ او هیچ نبود نه جامهٔ خواب و نه بالشتی و نه دیگی و نه کاسه‌ای الّا مصحفی و در زیر سر خشتی می‌نهاد و او را تبری بود ظاهراً جهت هیزم از کوه آوردن پس آن را بفروختی گفت زیرا که مرا از نماز مشغول داشت نفس با من گفت که دزدان درآیند و آن را فراگیرند پس بفروختم تا نفس مرا در نماز وسوسه ندهد.

دیگر روایت است شصت هزار درهم بر ابراهیم نخعی عرض کردند پس گفت من نام خود را از دیوان فقرا نمی‌سترم به شصت هزار درهم و حُذَیفه فرمود که دنیا را بر هیچ کس عرض نکردند الّا که قطع کرد دنیا میان او و میان

---

۱ . یکی دو کلمهٔ ناخوانا.

الله تعالی و فرمود که تو ظفر نیابی به خیر مادام که دنیا دوست داری.

دیگر عبدالواحد بن زید گفت که هیچ چیز خلق از خدای تعالی باز نمی‌دارد غیر از دوستی دنیا زیرا که آن اصل گناه‌هاست بعضی دیگر گفته‌اند هر که به تقدیر خدای تعالی و قسمت او راضی نیست سزاوار است که تدبیر خود او کافی نباشد.

دیگر شیخ سری سقطی گفت به درستی که الله تعالی جلّ جلاله بربود دنیا را از اولیاء خود و نگه داشت از اصفیاء خود و بیرون کرد آن را از دلها[ی] احبّاء خود.

دیگر حسن بصری فرموده که بپرهیزید از رفتن به نزد توانگران زیرا که برق مال ایشان شعاع برق دل را می‌برد و حکما گفته‌اند که مرد مستحق عبادت پروردگارِ خود نیست مادام که در او دو خصلت باشد چیزی را نزد او قدری باشد و نفس خود را نزد او قدری باشد یزید وقاشی گوید که مدینهٔ دقه فتح شد دیدند که بر در آن نوشته بود که وَیْل کسی را که مال جمع کند از حلال و دو بار وَیل کسی راست که میراث رها کند از برای کسی که حمد نکند و برسد به کسی که عذر آن قبول نکند و تمام وَیْل کسی راست که به حضرت عزّت رسد در حالتی که از او در خشم باشد و در مدینه دری بود بر آن نوشته به خط رومی که ای پسر آدم تو بر اجل خود سَبق نخواهی گرفت و به اَمَل خود نخواهی رسید و مغلوب نخواهی شد بر روزی خود و روزی تو نخواهد شد چیزی که از آنِ تو نیست پس چرا نفس خود را قتل نمی‌کنی؟ پس هر اجلی را کتابی هست و هر چیز (خیر؟) را ثوابی هست و هر گناهی [را] عتابی هست پس به یاد دار پس روز حساب را.

دیگر شیخ سری سقطی رحمة الله علیه می‌فرماید که صفت أهل حقایق آن است که خوردن ایشان خوردن رنجوران است و خواب ایشان خواب غرق‌شدگان باشد و بعضی دیگر گفته اند هر کسی که دنیا را بشناسد آرام به آن نگیرد و هر کس که ضرر دنیا ببیند درمان آن آماده دارد.

دیگر بعضی از سلف گفته‌اند که هرگاه که مرید بعد از چند روزی گوید که من گرسنه‌ام پس او را ملازم سوق گردان و او را به کاری فرمای و روایت است که ثابت بنانی چون شب می‌کرد و نزد او چیزی بود غمناک می‌گشت و اگر نزد او چیزی نبودی شب خرّم بودی زن او از وی سؤال کرد که چرا خلاف نفس کردی؟ گفت اقتداء به آل محمد صلی الله علیه و سلّم می‌کنم و از ایشان می‌آموزم.

باب در صدق اعتقاد و اعتماد بر الله تعالی

روایت است که هرم بن حیّان با اویس قرنی گفت که ملازم کجا باشد؟ گفت ملازم شام باش گفت با معاش چه کنم؟ گفت اُف اُف مر این دلها را که شک با او آمیخته پس موعظه آن را نافع نیست.

دیگر شخصی بگذشت به راهی پس با او گفت از کجا چیزی می‌خوری؟ گفت از پروردگار من بپرس که از کجا مرا روزی می‌دهد جعفر بن سلیمان گفت بگذشتم به خانه‌ای پس ناگاه عجوزه‌ای نابینا بر نفس خود زاری می‌کرد با او گفتم معاش تو چیست؟ پیرزن گفت بگذار سخن بی‌فایده من به این سن رسیدم و خدای تعالی مرا حواله به تو و غیر تو نکرد بعد از آن پیرزن گفت تو پند از حکایت خلیل الرّحمن نمی‌گیری که گفت: «والّذی هُوَ یَطعِمُنیِ و یَسقینَ وَ اذا مَرِضتُ فَهُوَ یشِفین»(۸۰-۷۹: ۲۶) آن خداوندی که مرا طعام می‌دهد و مرا آب می‌دهد و چون رنجور می‌شوم پس او مرا شفا می‌دهد.

دیگر حکایت کرده‌اند از عبدالله بن نوح که گفت مردی تنها دیدم در جزیره‌ای پس گفتم ای برادرِ من ترا وحشت نیست؟ گفت وحشت در میان خلق است من گفتم که در این نزدیکی کسی هست که روزی به تو می‌فرستد گفت ضمان روزی من شده است کسی که منزّه است از خواب و خورد و هر که به ضمان حق راضی شد قوت او به او می‌رسد بایزید بسطامی نماز گزارد از عقب مردی چون از نماز فارغ شد گفت یا بایزید از کجا می‌خوری؟ گفت

ساعتی بمان تا نماز با سر گزارم زیرا که تو نمی‌شناسی رازق خلقان را و [حکایات دیگر] هم از بایزید منقول است.

و **دیگر** از بعضی مشایخ پرسیدند از رزق گفت تو چرا اکتفا نمی‌کنی به قول الله تعالی «وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»(۲۹:۶۰) بسا جانوری که بر نمی‌دارد روزی خود را الله تعالی روزی می‌دهد او را و شما را.

دیگر حکایت کرده‌اند که بعضی از مشایخ گفته‌اند که هر که شک کند در رزق پس به‌درستی که اعراض کرده است از دین و هر کس که توهّم کند که به او می‌رسد چیزی که از برای او قسمت نکرده‌اند پس دایم با خدای تعالی در جنگ است و او نمی‌داند ذوالنّون مصری می‌فرماید که هر کسی که در دل او غم روزی باشد او را توفیق راه راست نداده‌اند.

باب در معانی فقر و فواید آن

حضرت شیخ کبیر قُدِّس سرّه می‌فرماید که از شرف فقر و فضل آن بر توانگر آن است که فقر اصل طاعت است و غنا اصل معاصی.

و دیگر آنکه فقر اصل تواضع است و تذلّل و خشوع و دوری از کبر و غنا اصل کبر است[...][۱] و عجب و تفاخر و تکاثر دیگر آن است که[...] [۲] و اساس آن است و در فراعت سلامت قلب است و صفاء باطن و غنا اصل شغل است و غفلت و در شغل و غفلت مخالفت و معصیت است.

دیگر آن است که شکرِ فقر از بهر حضرت خداوند است تعالی و تقدّس و همچنین ذکر او[=فقیر] و همهٔ طاعت او از سر صدق و اخلاص است زیرا که نفس را هیچ نصیب در بلا و سختی و مکروه نیست و همه طاعتِ غنی آمیخته

---

۱. چند کلمه ناخواناست.

۲. چند کلمه ناخواناست.

به حظّ نفس و ذکر او و شکر او آمیخته است به حظّی از لـذّات و شـهوات و خودبینی.

دیگر آن است که فقر دور است از خلق و به خالق نزدیک و مدد نطلبد بر طاعت او از غیر او و توانگر مدد می‌یابد از نعمت او بر طاعت او.

دیگر آن است که غنی به حق نزدیک می‌شود که فقیر در خواست از وی می‌کند پس قربت غنی به سبب فقیر است.

دیگر بعضی از أهل علم گفته‌اند که بیشتر مذمّت مال به سبب ندادن است و اگر نه مذمّت دنیا بودی خلق مأمور به امساک و منع بودندی پس چون ایشان را به دادن فرمودند دلالت کند بر مذّمت دنیا[ی] دَنی.

و دیگر آن است که فقر سیما[ی] بندگی است زیرا که بندگی خواری است و فروتنی و حاجت و توانگری سیما[ی] سرداری است و نشان آن[...][۱] زیر که سرداری بزرگی است و رفعت و از این جهت است که الله تعالی فرمود: «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ»(۴۷:۶۸) و الله تعالی توانگر است و شما درویشانید.

دیگر آن است که الله تعالی فضیلت نهاد بنی‌آدم را بر ملائکه به فقـر زیـرا که ملائکه در راحت و فراخی‌اند و رَوح در عبادت و بنی‌آدم در تعب و تنگی و مشقّت و جهد پس از این جهت انسان را فضل نهاد بر ملائکه و قیاس بر ایـن می‌کن عبادت فقیر را بر غنی.

دیگر آن است که غنا امری است که جاهلان و بی‌عقلان و کـافران و اراذل خلق در آن رغبت می‌نمایند و اگرچه بعضی از أهل فضل از مؤمنان بـه سـبب آن رشکی می‌برند و اگر غنا فضلی بـودی انبیـا و اولیـا و صـلحا در آن رغبـت نمودندی.

---

۱. ناخوانا

و دیگر آن است کـه فقـر بریـدن[...][1] و دوری از کارهاسـت و اِعـراض از احوال مذمومه و آنکه بنده را نزدیک می‌گرداند به قرب وصال.

و دیگر آن است که الله تعالی اشرف مقامات و اعلیٰ منازل در فقر نهاده و فقرا را سیمای دوستان و نشان اولیاء خود گردانیـده و خـوی اصـفیا[ی] خـود ساخته تا ظاهر شود که متاعها[ی] دنیا و مال را نزد او قدری و منزلتی نیست و توانگری ملجاها[ی] زیان است و ملاذ غافلان است و از برای دوسـتان خـود غیرِ آن برگزید زیرا که صفات اولیاء از صفات ایشان جداگانه است.

و دیگر آن است که دنیا کدورت است و آنچه از دنیاست پلید است و قرب حق نشاطی پاکست که قبول چرک نمی‌کند پس طلب فرمود از بنـدگان غافـل خود که پاک دارید بساط قرب حضرت او از دَنْسِ دنیا بـه آنکـه از او اعـراض کنید والسّلام.

حکایت: شیخ کبیر می‌فرماید که مدت چند سال نفس او را آرزوی خربزه بود و نمی‌خورد یک روز از کوچه‌ای می‌گذشـت و شخصـی بـا خـاتون خـود خربزه می‌خوردند و پوست از دریچـهٔ خانه به زیر می‌انداختند پس نفس گفت پوست باری بخور من از آن پوست پاره‌ای بخوردم خاتون چون پوست به زیـر می‌انداخت انگشتری از انگشتش به زیر افتاد نوکری را بفرسـتاد کـه درویشـی بدین صورت از اینجا گذشت انگشتری وی دارد پس نوکر مرا ببرد و بسیار مـرا برنجانیدند با نفس گفتم که عوض آن پوست خربزه است که خوردی بـر مـراد نفس اکنون بچش.

الحدیث و روی ابوهریرة (لعنت الله) [2] ان رسول اللـه صـلی اللـه علیـه و سلّم قالَ: «اِنَّ ملوکَ الجَنَّةِ کلَّ اَشـعَـثَ اغْبـر اذا اسْـتأذنوا لَـم یُـؤذنَ لَهُـمْ و اِنَّ خطبوا النّساءَ لَمْ یَنحکوا و اذا قالوا لَم یُنصَت بقولِهِم و لَو قُسِمَ نورُ واحِدٍ منهم

---

۱. ناخوانا

۲. ظاهراً تصرف کسی است.

بین أهل الارضِ لَوَسِعَهُمْ ابوهریرة (...الله) [۱] روایت کند از مصطفی صلی الله علیه و سلّم که وی گفت پادشاهان بهشت کسانی‌اند گرد آلوده و موی سر بالیده باشند در دنیا چندان نیابند که موی از سر باز کنند و یا گرد و خاک از خود فرو شویند اگر بیمار شوند هیچ‌کس ایشان را نپرسد و اگر سخن گویند کس گوش به سخن ایشان نکند و اگر زن خواهند کسی دختر به زنی بدیشان ندهد و از صحبت و وصلت ایشان ننگ و عار دارند ولیکن با این همه در دل یکی از ایشان چندان نور باشد که اگر نور یک دل از دلها[ی] ایشان بر عالم نهند همهٔ أهل دنیا منوّر گردند تمام؛ این منشور مصطفی است توقیعش از قرآن مجید قدیم: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» (۱۸:۲۸) خداو[ند] سبحانه و تعالی می‌گوید و خطاب می‌کند با مصطفیٰ صلی الله علیه و سلّم و می‌گوید یا محمد صبر کن با این درویشان که می‌خوانند ما را بامداد و شبانگاه و از ما جز ما را نمی‌خواهند چشم خود از رویها(ی) ایشان برمگیر چون این آیت فرود آمد رسول الله صلعم گفت الحمدلله که ما را از دنیا بیرون نبردند تا ما را آموختند که دوست و قرین ما که باید باشد و هم‌نشینی با که کنیم.

حکایت: چون جُنید بغدادی قَدَّس الله روحه فرمان یافت ابومحمد جریری را به جای او بنشاندند از بزرگی که بود؛ ابومحمد گفت که روزی بازی سفید در دام من افتاد ندانستم ناگاه از دام من رها شد اکنون چهل سال است تا صیّادی می‌کنم تا دیگری بینم ندیدم گفتند آن باز سفید چگونه بود؟ گفت روزی از پس نماز دیگر جوانی از در خانگاه ما در آمد سروپایی برهنه و روی [...] [۲] و موی سر دراز شده طهارتی پاک به شرط شرع بیاورد و دو رکعت نماز

۱. ظاهرا کسی در متن تصرف کرده است ولی کلمهٔ قبل از آن که احتمالاً «لعنت» است سترده شده است[مصحح].

۲. ناخوانا.

بکرد و سر به گریبان فرو برد و آن شب خلیفه در بغداد صوفیان را به دعوت خوانده بود و می‌خواستیم که به سرای خلیفه رویم من که ابومحّمدم به پیش آن درویش شدم و گفتم ای برادر تو نیز با ما موافقت کن که پیش خلیفه می‌رویم درویش گفت من امشب سرِ خلیفه ندارم ولیکن مرا عصیده‌ای می‌باید دیگر تو دانی آنجا که می‌خواهی می‌رو پس من به دعوت خلیفه رفتم و طعام خوردیم و سماع کردیم و بپراکندیم چون من که ابومحمدم به جایگاه باز آمدم درویش را دیدم همچنان بر حال خویش سر به گریبان فرو برده بود چون بخفتم چشمم در خواب شد حضرت رسول الله را دیدم صلی الله علیه و سلّم که می‌آمد و دو پیر با وی بودند و خلقی عظیم بر اثر وی یکی مرا گفت این رسول است و این دو پیر ابراهیم خلیل و موسی کلیم‌اند صلوات الله علیهما و این خلق که بر اثر رسول‌اند صدوبیست و چهار هزار پیغامبراند صلوات الله علیهم اجمعین گفت من پیش رسول آمدم تا سلام کنم رسول علیه السّلام روی مبارک از من بگردانید تا سه بار همچنین من از آن حال بترسیدم گفتم یا رسول الله چه خطا کردم که روی مبارک خویش از من می‌گردانی؟ رسول صلّی الله علیه روی سرخ کرد و به من نگریست گفت یکی از درویشان ما از تو لقمه(ای) عصیده خواست به آرزو تو بخیلی کردی من از خواب بجستم گریان و خروشان بنگرستم به جایگاه آن درویش خالی بود آوازی در خانگاه به گوش من آمد برخاستم بیرون شدم درویش می‌رفت گفتم ای برادر یک ساعت توقف کن که آرزویی که خواستی بسازم درویش باز نگریست و بخندید و گفت هر چیزی که درویشی را آرزوی کند و از تو بخواهد صدو بیست و چهار هزار پیغمبر را شفیع باید آورد تا تو آن آرزوی بدهی؟ درویش برفت و بازنگشت اولیائی تحت قبایی لایَعرِفُهُمْ غیری. تمّت الحکایة.

ترجمه رسالة المُعتَقَد[1]

معتقد قطب الاولیاء و المحققین سلطان الموحدین ابی عبدالله محمد بن الخفیف قدس الله روحه العزیز.

قال الشیخ ابوالحسن علی بن محمد الدیلمیّ نور الله قبره فی .... السیر سمعت الشیخ ابا عبدالله بن خفیف قدس الله روحه فارسی کرد این را مولانا زین الدین نایینی رحمة الله.

الحمد لله الذی هدانا السُّبلَ و انزل لنا الکتب وَ مَنّ علینا بالرسل و بیّن الاثار و السنن فضّل بالایات و السور فحذر و انذر و نهی و امر و حرّم و حرّض و زجر و جعلها موعظة لمن اتعظ و عبرة لمن اعتبر فللّه الحمد اوّلا و آخراً و ظاهراً و باطناً و الصلوة و السلام علی خیر خلقه محمد و آله الطیبین و الاخیار و الصادقین الأبرار و سلم تسلیماً.

اما بعد بدرستی و راستی که عاقل آنکس باشذ که اعتقاد خوذ را دُرست دارذ تا چون بحضرت عزت عزّ وجلّ رسذ شرمسار نباشذ و نیت خوذ را

---

۱. این رساله را مرحوم آنماری شیمل در ذیل کتاب سیرت شیخ کبیر تالیف ابوالحسن دیلمی منتشر کرده است. نگاه کنید به: دیلمی، ابوالحسن(۱۳۶۳). سیرت شیخ کبیر ابو عبدالله بن خفیف شیرازی، ترجمه یحیی بن جنید شیرازی، تصحیح آنماری شیمل، به کوشش توفیق سبحانی، تهران: انتشارات بابک.

ترجمه‌ای که مشاهده می‌شود، ترجمه‌ای کهن از رساله است؛ نام مترجم مولانا زین الدین نایینی ذکر شده است.

خالص و پاک دارذ تا عملها و کردارهای او پاکیزه و بر وجه شرع باشذ و به اعمال نیکو مشغول شوذ و روزگار را بطاعت گذراذ تا فردا روز قیامت او را ذخیره و دست آویزی باشذ و بایذ که بنده بداند که خذای تبارک و تعالی او را ببازیچه نیافریذه و اورا فرو نخواهذ گذشت پس چون چنین است جهد کنذ و کوشش نمایذ در اصل دین خوذ و محکم گردانیذن آن و صافی و پاکیزه داشتن عمل و کردار خوذ و درست گردانیذن عبادت خوذ که باین کار دین تمام شوذ و زیادت و صافی گرذذ، و خذای تبارک و تعالی توفیق دهنده و نمایندهٔ راهها[ی] راست و خیر و صواب است خذاوندا توفیق هدایت راه راست بر همه ارزانی دار بمحمد و آله.

پس ای بنده بدان که أول چیزی که بنده به آن محتاجست اعتقاد درست باشذ که بنده داشته بوذ در توحید از برای آنکه همه اعمال باین تمام شوذ و اعتقاد در توحید آنست که یقین دانذ که خذای تبارک و تعالی که سزای پرستش است یکیست نه از جهتِ عدد و نه همچون احاد خلقست و او چیزیست نه همچون دیگر چیزها و هیچ چیز شبیه و مانند او نیست و هیچ چیز ضدّ او نیست و او را ندّ نیست یعنی کسی که خلاف با او کنذ یا با او خصومت کنذ نیست و او را در ملک و مملکت شریک نیست نه جسمست و نه جسمانی و نه عرض است که تا او را بچیز حاجت باشذ در بوذن و نه جوهرست و او محلّ حوادث نیست یعنی هیچ حادث و حادثه باو فرو نیامذه و نخواهذ آمذ و نتواند آمذ و او داناست بهر چه بوذ و هست و باشذ یعنی آنچه هنوز نبوذه می‌داند که چون بیافرینذ چگونه باشذ.

و اعتقاد بایذ کرد که او بوذ و با وی هیچ چیز نبوذ و او عالِم بوذ و معلوم نبوذ یعنی او می‌دانست چیزها را پیش از آنک آن چیزها را بیافرینذ و او قادر بوذ و مقدور نبوذ یعنی اگر چه هیچ چیز نبوذ اما او توانا بوذ بر هر چه خواست بوذ و او بیننده بوذ و اگر چه مرئی نبوذ یعنی چیزی که نتوان دیذ و او رازق بود و هنوز مرزوق نبوذ یعنی او روزی دهنده بوذ و اگر چه روزی خوار

نبوذ و خالق بوذ و مخلوق نبوذ یعنی او آفریننده بوذ و لیکن آفریذهٔ او هنوز نبوذ یعنی می‌توانست آفریذ و لیکن بنیافریذه بوذ.

و اعتقاد کنذ که علم غیر رؤیتست یعنی دانستن جز دیدنست و هر چه موجودست می‌بینذ و هر چه معدومست می‌داند و معدوم لاشی است یعنی آنرا چیز نخوانند زیرا که هیچست.

و اعتقاد کنذ که صفت او نه موصوفست و نه غیر موصوف بلک معنی[ای] است در موصوف و قایم باوست.

و اعتقاذ کنذ که خذای تبارک و تعالی عالمست بعلم یعنی داناست بهمه چیز بدانائی نه آنک داناست بذات بی‌دانائی و او قادرست بقدرت یعنی بر همه چیز تواناست بتوانائی نه آنک تواناست بذات بی توانائی و اسما و صفات از سمع ماخوذست یعنی نامها و صفتها[ی] او چنانچه از خذای بما که بندگانیم رسیذه است بعضی آنست که او بخوذیِ خوذ وصف خوذ بآن فرموذه یا خوذ را بآن خوانده و بعضی دیگر آنست که رسول صلی الله علیه و سلّم فرموذه و بعضی آنست که باجماع مسلمان یعنی باتفاق أهل حلّ و عقد که بر دین و دیانت ایشان هیچ شکّ نیست ماننده صحابه و تابعین و علماء راسخین که مجتهدانند ثابت شذه و آنرا نه بقیاس گفته‌اند یعنی از صفات او اسماء او بنگرفته‌اند چه نشایذ و اسم او و صفت او هیچ یک مخلوق نیستند و کلام خذا ازوست و صفت اوست و مُحدَث و حادث نیست آنست که در نزد خواندن آنرا می‌شنوند و خوانندگان آنرا می‌خوانند و در مصحفها نوشته است و در دلها آنرا یاذ گرفته و نگاه داشته.

و اعتقاد کنذ که خذای تعالی بر عرش مستویست بی چون و بی چگونه و در وقت سحر نزول بآسمان می‌کنذ بمعنی صفت نه بمعنی انتقال یعنی بصفت رحمت نزدیک می‌شوذ.

و اعتقاد کنذ که آدم بید خوذ آفریذ نه بید قدرت بلک بید صفت یعنی یدْ صفتیست از صفات خذای چناچه لایق حضرت او باشذ و حاجت بتاویل

نیست که بگویند که مراد ید قدرتست و همین اعتقاد بایذ کرد در همه اخبار صحیحه که در باب صفات خذای تعالی روایتست و از روی ایمان و تسلیم فرا بایذ گرفت نه از روی قیاس و مناقشه و خلاف و مباحثه.

و اعتقاد کنذ که مؤمنان فردا روز قیامت حضرت خذای عزّ و جلّ را به بینند همچنانک ماه را در شب چهارده می‌بینند و هیچ شک در دیذن او نباشذ اما دیذنی باشذ بی‌احاطه و بی حدّ یعنی نه آنک بصر و بینائی گرد وی محیط شوذ و نه آنک حدّ و نهایت و چندی و چگونگی او را بدانند و نه دیذنی از پیش و نه از پس نه از بالا و نه از زیر و نه از راست و نه از چپ.

و اعتقاد کنذ که خذای تعالی آنچه خواست کرد و آنچه خواهذ کند و نسبت ظلم بر وی روا نیست و هرگز ظلم نکرد و نکند و هیچکس را اعتراض بر وی نرسید و نرسد و هیچ چیز و هیچکس نتوانذ که قضا و فرمان او را باز دارد یا از حال خود بگرداند.

و اعتقاد کنذ که خدای تبارک و تعالی هر کسی را که خواهذ مقرّب حضرت خوذ گرداند و آنرا که خواهذ در گرداند و در آن نزدیک گردانیدن هیچ سببی و علتی و واسطه نباشذ.

و اعتقاد کنذ که هر چه بندگان درآنند از خیر و شر و نفع و ضر و طاعت و معصیت همه بمشیت و اردات اوست اما خیر و طاعت برضای اوست و شر و معصیت برضای او نیست.

و اعتقاد کنذ که خذای تبارک و تعالی دهنده است هر کس را که می‌خواهذ هر چه خواهذ می‌دهذ و هر کس را که نخواهذ نمی‌دهذ و همچنین خذای عزّوجلّ مدح و مذمت می‌کنذ یعنی هر که را و هر چه را او مدح و شتایش کنذ آن نیکو و پسندیذه باشذ و هر چه را و هر که را او مذمت و نکوهش کنذ آن بذ و ناپسندیذه بوذ.

و اعتقاد کنذ که افعال از آن خذاست و کسب از بندگان یعنی هر چه از بنده صادر می‌شوذ از طاعت و معصیت همه خذای تبارک و تعالی می‌آفرینذ

اما صورت کسب از بنده است و کسب نیز هم آفریذهٔ خذایست نه از آفـرینش بنده است چه بنده را قدرت و توانائی بر آفرینش هیچ چیز نبوذه و نیست.

و اعتقاد کنذ که هیچ چیز بطبع خوذ کار نمی‌کنذ پس بداند که آب تشنگی باز نمی‌نشاند و نان سیری نمی‌کنذ بلک چون آب می‌خورذ خذای تبارک و تعالی سیرآبی در پای آن می‌آفرینذ و تشنگی را نیست می‌گرداند و بعد از آن که بنده نان می‌خورد خذای تبارک و تعالی سیری را در او می‌آفرینذ و گرسنگی را نیست می‌گرداند و همچنین آتش بطبع خوذ نمی‌سوزاند حق تعالی سوختن را در آن می‌آفرینذ و همچنین قتل از قاتلست یعنی کُشتن و گردن زذن از کشنده است اما حق تعالی مرگ را در کُشته می‌آفرینذ و هیچ وهمی و خیالی او را در نیابذ و هیچ علم هیچ عالم پیرامون آن نگردیذ و نگردذ و هیچ عقل عاقل نعت او نتوانست کرد.

هو الواحد الاحد الصمد الفرد له الاسماء الحسنی و الصـفات العُلـی لـه الحکم فی الاخرة و الاوُلی و له الحمـد و الشـکر و الثنـاء و المجـد یعنـی او خذاوندیست یگانه هیچ شریکی و انبازی ندارذ نه در ذات و نه در صفات و او پناه نیازمندانست یعنی هر کس را و هر چه را حاجتی بوذ و باشذ همـه بـدرگاه او محتاجند و او بهیچ چیز و هیچکس محتاج نبـوذه و نباشـذ او را نامهـا[ی] نیکوست و صفات پسندیذهٔ بزرگ در دنیا و آخرت فرمان و حکم از آنِ اوسـت و او سزای مجد و بزرگی و بزرگواری است.

فصل

بایذ که بنده اعتقاد کنذ که نبّوت و پیغمبر حقست و آن حجتـی اسـت بـر همه خلق از جنّ و انس و حجتی روشنست و قاطعِ عذرها یعنی هیچ کـس را عذری نمانده است که گویذ من فلان چیز ندانستم یا بمن نرسیذ از برای آنکه پیغمبران آمذند و همه را در میان خلق بیان کردنـد از احـوال دنیـا و آخـرت از نیک و بذ کردنی و ناکردنی گفتی و ناگفتنی اندیشیذنی و نا اندیشیذنی.

و اعتقاد کنذ که پیغمبر ما محمد مصطفی صلی الله علیه و سلم بهترین و فاضلترین همه پیغمبرانست و خاتم همه انبیاست یعنی پس از او هیچ پیغمبری نباشذ فرمان او بردن و پروایِ او کردن حقست و بر همه عالمیان واجبست که فرموذهٔ او بجای آورند و آنچه نهی کرد از آن پرهیزند و مخالفت او کفرست هر کس که خلاف او کنذ یا گویذ کافر شوذ و هر امری و فرمانی که رسول فرمایذ علیه الصلوة و السلام فرض باشذ مگر آنکه دلیلی باشذ که دلالت کنذ بران که آنچیز سنّت است که آنگاه سنت شوذ.

و اعتقاد کنذ که او نه همچون یکی از ماست بهمه معانی بلک او را چیزی چند بوذ که هیچکس را از بنی آدم نبوذ و نیست و بر علمی چند مطلع شذ که هیچکس دیگر بر آن مطلع نشذ و بر آنچه بوذ و خواهذ بوذ مطلع شذ و او خبر دارذ از علم غیب چناچه خذای تعالی باو در آموخت.

و اعتقاد کنذ که او را بمعراج بردند نه در خواب بلک در بیذاری و خذای تبارک و تعالی را بدیذ و با او سخن گفت و او را وصیتی چند فرموذ و چیزی بروی فرض کرد و چیزی چند بروی مباح و حلال کرد و پیغمبران را بدیذ و در بهشت رفت و دوزخ را بدیذ و چند سوال کرد و او را بداذند آنچه خواست و سوال کرد و سخن را بگفت و بشنیذ و أول کسی که شفاعت کنذ او باشذ و أول کسی که از گور برخیزد او باشذ و أول کسی که به بهشت رود او بوذ و او را بآدمی و پری فرستاذه‌اند و شریعت او دیگر شریعتها را منسوخ کرد و او رسالت خویش را برسانیذ و پیغام را بگذارد و نصیحت امت بکرد و گناه مقدم و مؤخر او را بیامرزیدند و چیزی چند بر وی فرض بوذ که بر امّت فرض نیست و چیزی چند بر او حرام بوذ که بر امّت حرام نیست و این از جهت اکرام و تعظیم اوست صلّی الله علیه و سلّم.

فصل

اعتقاد کنذ که ایمان صفت مؤمن است و توحید صفت موحدست و

معرفت صفت عارفست و محبت صـفت محبسـت همچنانکـه علـم صـفت عالمست و قدرت صفت قادرست.

و اعتقاد کنذ که ایمان قولست و عمل و نیت یعنی آنکـه اقـرار کنـذ بزبـان آنچه اقرار کردنیست و ایمان زیادت شوذ و نقصان پذیرذ.

و اعتقاد کنذ که ایمان نوریست که حق تعالی در دل بندگان پیذا می‌کنذ نه نور ذات شخص اسـت و ایمـان جـز اسلامسـت و توحیـد جـز معرفتسـت و معرفت جز ایمانست.

و اعتقاد کنذ که معرفت صانع ضروری نیست یعنی بی‌آنکه شخص توجـه کنذ و عقل بکار دارذ و تدبّر و تفکّر کنـذ نتوانـذ دانسـت کـه صـانع آفریـذکار هست و معرفت و شناخت صفتهای خذای تبارک و تعالی کسبی اسـت یعنـی بنده بجهد و کسب خذایرا بشناسذ و معرفت تخصـیص موهبتسـت یعنـی آن معرفت خاص که گفتیم جز ایمانست و اولیا را باشذ آن عطای خذا باشـذ امـا شرایط آن بکسب است.

و اعتقاد بایذ کرد که ایمان و توحید و معرفت را ظاهری هست و بـاطنی و حقیقتی هست و حق تعالی مردم را بظاهر آن خوانده و آنکس را کـه خواسـت بحقیقت آن راه نموذ و هر کس که مؤمن باشذ مسلمان باشذ اما نه هر کس که مسلمان باشذ مؤمن باشذ.

و اعتقـاد کنـذ کـه اسـتطاعت و توانـائی را فعلسـت یعنـی آن زمـان کـه مشغولست و می‌کنـذ خـذای تعـالی توانـائی بـاو مـی‌دهـذ و آن فعـل را نیـز می‌آفرینذ آنکه پیش از آن که مشغول گردذ توانائی دارذ.

و اعتقاد کنذ که نعیم بهشت باقیست و عذاب أهل کفر باقیست و همیشـه باشذ و هرگز بسر نیایذ و مؤمنان جاویذ در دوزخ نمانند.

و اعتقاد کنذ که حق تبارک و تعالی اجبار بندگان بر معصیت نمی‌کنذ یعنی ایشان را بزور و اکراه بر آن نمی‌دارذ.

و اعتقاد کنذ که بندگان بفضل و منت و عنایت خذای تعالی بهشت رونـد

نه بکردار عمل خوذ.

و اعتقاد کنذ که بهشت حقست و دوزخ حقست و بعث و برانگیخته شـذن پس از مرگ حقست و میزان حقست و صراط حقست و عذاب گور حقست و سؤال منکر و نکیر حقست.

و اعتقاد کنذ که بهترین خلق بعد از رسـولان یعنـی کـه پیغمبـران علـیهم السلام التحیة ابوبکرست و بعد از او عمر و بعد از او عثمان و بعد از او علـی رضوان الله تعالی علیهم اجمعین.

و اعتقاد کنذ که بهترین قرنها آن بوذ که پیغمبر ما صلی الله علیه و سلم در میان ایشان بوذ بعد از آن صحابه بعد از آن تـابعین بعـد از آن فضـیلت بعمـل است هر کس را که فضل بر وی بینییم گواهی بر وی بدهیم.

و اعتقاد کنذ که هر کس که شهادتین بگـویذ و نماز بگذارذ و زکات بدهذ و روزهٔ ماه رمضان بدارذ و حجّ بگذارذ گواهی نـدهیم کـه بهشـتی اسـت و هـم گواهی ندهیم که دوزخیست و گواهی کفر بـر وی نـدهیم مگـر معنـی[ای] از معانی و کفر از او معلوم کنیم یا وجهی از وجوه کفر بر وی به بینیم مانند آنک اگر حج نکنذ و انکار کنذ از برای آنکه خذای تبارک و تعالی می‌فرمایذ: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَـبِيلًا وَمَـنْ كَفَـرَ فَـإِنَّ اللَّـهَ غَنِـيٌّ عَـنِ الْعَالَمِينَ»(۳:۹۷) و نماز را در پیِ نیکوگار و بذکردار بگذارذ و فرمـان حـاکم بایذ بردن اگر چه بندهٔ حبشی باشد مادام که نه بکفر و معصیت فرمایذ.

و اعتقاد کنذ که اخبار آحاد موجب عملست و اخبار متواتره موجب علم و عمل و اخبار آحاد آن گویند که از رسول الله علیـه الصـلوة و السـلام روایـت باشذ و راویان آن حدیث بآن حدّ نرسیذه باشند که جزم و قطع باز دیذ شوذ بـر صدق آن و اخبار متواتره آن باشذ که راویان آن در هر طبقه بحدّی رسیذه باشند که جزم و قطع حاصل شوذ و یقین گردذ که این حـدیث از رسـول صـلی اللـه علیه و سلم نقلست.

و اعتقاد کند که هرچه شرع بفرمایـد کـه نیکسـت نیـک باشـد و خـوب و

پسندیده بود و آنچه شرع فرماید که زشت است زشت و ناپسندیذه باشذ از بهر آنکه حُسن و قُبح همه چیز به شرع باشذ نه بعقل و شرع حاکم بوذ نه عقل.

و اعتقاد کنذ که خلق همه عدلند و نیکو تا مادام که چیزی ناشرعی ازیشان نه بینند و اعتقاد درشان همه نیکوئی کنذ و همه چیز را پاک و حلال دانذ مادام که تا دلیلی بر پلیذی و حرامی آن بنیابذ و مال مسلمانان و کُشتار ایشان پاک و حلال داند مگر که دلیل بر حرامیِ آن ظاهر شود.

فصل

درین فصل چیزی چند یاد کرده می‌شوذ که خاصست بصوفیان

اعتقاد کند که درویشی فاضلترست و بهتر از توانگری و زهد و تـرکِ همـه فاضلترست از بعضی.

و اعتقاد کنذ که وصول بحق بی‌آنکه راه عبودیت سپرذ محالست و رؤیت و دیذن حق در دنیا محالست.

و اعتقاد کنذ که نبوّت و پیغمبری اصل ولایت است و ولایت بمرتبـهٔ نبوت نرسذ و ولی بمرتبـهٔ نبی نرسذ هر چند که بسیار بکوشذ و عمل کنذ معجـزات از آن انبیاست و کرامت از آن اولیا و فراست کسبی است و کسی کـه محـدث است و مکلّم نگویند که صاحب فراستست و آزاذی از بندگی باطلست یعنـی اگر کسی تصور کنذ که بنده در حالت حیات شایذ که از قید بندگی برهذ و ازو تکلیفات شرعی برخیزد این تصور باطل باشذ اما از بندگیِ نفوسیت جایزست یعنی روا باشذ که بنده چنان شوذ کـه از قیـد و بنـد نفـس برهـذ و عبودیـت و بندگی در هیچ حال از بنده برنخیزذ و نام بندگی ازو بنیفتذ و صفات از عارفـان فانی می‌شوذ و از مریدان شایذ که صفات ساکن و فرو مُرده گردذ و جایز باشذ که پس از وصول رجوع باشذ یعنی بعد از آن که در مقام قرب باشذ دیگر بـاره باز گردذ.

و اعتقاد کنذ که بنده نقل می‌کنذ در احوال تا آنگاه کـه بصـفت روحانیـت

رسذ و آن زمان بعلم غیب مطّلع گردذ و طیّ زمین می‌کنذ و بر سر آب می‌روذ و از نظر مردم پنهان می‌شوذ.

و اعتقاد کنذ که سُکر و مستی از آنِ مریدست و حقست و بر عارفان باطلست و غلبات حق بر همه خلق جایزست و احوال از آنِ میانه حالانست و مقامات از آنِ عارفانست و حرص در طلب از آنِ مریدانست و هشیاری و سکون فاضلترست از مستی و بیقراری و عارف را در چیزها رفتن زیان ندارذ و وقتی که توکل شخصی درست باشذ او را چیزی ذخیره کردن زیان ندارذ.

و اعتقاذ کنذ که عصیان انبیا سبب قربت و زیادتیِ مرتبهٔ ایشان باشذ و سبب فایدهٔ امّتان باشذ و انبیا را بواسطهٔ معصیت که از ایشان صادر شوذ عاصی نخوانند بلک این قدر روا باشذ که گویند خذای تعالی فرموذه که «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»(۲۰:۱۲۱) یعنی فرموذه که نافرمانی کرد آدم خدای خوذ را.

و اعتقاذ کند که تصوف نه بعلم و عملست بلک چیزیست که ذات صوفی از آن خبر می‌دهذ و آن موهبت الهیست و اما صوفی را علم و عمل بوذ و تصوف نه فقرست و تقوی نه تصوفست و فقیر را نرسذ که تصرّف در اسباب کنذ و صوفی را رسذ و بدانکه احوال را نهایت نیست اما هر حالی را نهایتی هست و معرفت و ایمان و توحید نه از احوالست و وجود نه حال است بلک در صحبت بنده است در همه احوال و معرفت معترفان نه همچون معرفت معرّفان است و سماع عارفان را بوذ و امّا مریدان را نشایذ و باطلست و سماع نه حالست و نه قربت که موجب ثواب گردذ و ترک آن فاضلترست بر همه کس از جهت آنک آفات در وی بسیارست و فتنهٔ بزرگ دارذ.

و اعتقاد کنذ که آنچه صاحب وجد می‌یابذ همه یافتنی است و وجدان نه حقست بلک حق جز آنست و هر که سماع بخذای بشنوذ او را تکفیر کنند چه آن کفر باشذ و هر که بخلق شنوذ بمعنیِ نفوسیت فاسق باشذ.

و اعتقاد کنذ که واجد محقِّق محفوظست یعنی از کفر و فسق و چیزی

چند بر أهل غلبان می‌روذ که واجبات ازیشان فوت می‌گرداننذ اگر باهوش می‌آیند قضا می‌کنند و اگر در مستی بمانند معذورشان می‌دارند و شیطان آنچه در دل بنده است نمی‌داند اما وسوسهٔ بنده می‌کنذ.

و اعتقاد کنذ که نفس جز روحست و روح جر حیات و چون بنده در خواب می‌روذ روح ازو جذا می‌شوذ و حیات وقتی جذا شوذ که بمیرذ و اینها همه مخلوقند.

و بعد ازینها اعتقاد کن در شأن مردم بخیر و نصیحت و امانت و حذر کن از غدر و خیانت اگر چه اینها در طبع آدمیان هست.

و اعتقاد کن در نفس خوذ ببذی و با وی دشمن باش و دشمنی کن.

و با شیطان مخالفت کن و اعتقاد کن که او دشمنست و نافرمانی خذای عزّوجلّ کرد و چون او را دشمن دانی امیذ باشذ که ازو خلاص یابی ان شاءالله تعالی.

و اعتقاد کن در شأن خذاوند عزّوجلّ که او بر تو فضل و منّت بسیار دارذ و ظنّ بخذای تعالی نیکو دار و امیذوار باش بفضل و احسان پرودکار و امیذ در آخر عهد خوذ می‌دار که حق تعالی ترا نا امیذ نبگذارذ.

و الحمدلله اولاً و آخراً و الصلوة و السلام علی خیر خلقه محمد و آله اجمعین ظاهراً و باطناً و سلّم تسلیماً کثیرا دایماً.

ترجمهٔ رسالهٔ فضل التصوف علی المذاهب[1]

بسم الرحمان الرحیم
و اعتماد بر اوست

کتابی دربارهٔ فضل تصوف بر سایر مذاهب از تصنیفات شیخ ابوعبدالله محمد بن خفیف رحمة الله علیه.

[ابن خفیف] گفت: حمد مخصوص خداوندی است که قبل از وجود آفریدگان منفرد به اسماء والای خویش بود و صفاتی را که مستحق آن بود در کلامش ظاهر کرد؛ خداوندی که فضلش را نصیب هرکه بدان چنگ زند می‌کند و حتی کسانی را که از وی رویگردان شده‌اند نیز فرامی‌خواند و با سِتر لطیفش عاصیان را می‌پوشاند چه آنها را بی‌خبر به عذاب خود گرفتار نمی‌سازد و تا وقت دیدارش مهلت می‌دهد. درود خدا بر آدم، بدیع‌ترین [موجود] آفرینشش و زبان قدرتش و امام ملائکش و درود بر محمد صاحب درفش حمدش، کسی که در قیامت اذن داده شده که به او سجده شود و بر خاندان پاکش از پشتِ او و بر جمیع مهاجران و انصار و بر امت او در هرکجا هستند.

اما بعد، من اوصاف أهل مذاهب، افرادی که قایل به سنت پیامبر صلی الله علیه و سلَّم هستند و از وی تبعیت می‌کنند مطالعه کردم و آنها را طبقات

---

۱. مترجم: معین کاظمی فر.

مختلف یافتم اما در اصل سه گروه هستند؛ [نخست أهل حدیث یعنی] گروهی که به طلب حدیث و حفظ و بررسی و [تلاش برای] منع تحریف آنها از جانب قوم گمراه شناخته می‌شوند. دوم[فقیهان یعنی] گروهی که به تفقه در احادیث شناخته می‌شوند و سعی در استنباط حلال و حرام و تشخیص خاص و عام آنها را دارند و [سوم] متصوفه که با اشتیاق در پی معرفت به آنها هستند و البته همۀ این فرق در مقاصدشان و آنچه بدان منتسب هستند در پیِ تقرب به خداوند هستند.

و من صوفیه را، به شرطی که صادق باشند و به حقایق علم معرفت یابند و به اوصاف آن ملتزم باشند، برترین و والامرتبه‌ترینِ این سه گروه یافتم زیرا خداوند و رسولش آنها را ستودند و این بدان خاطر است که أهل حدیث و فقه کسانی‌اند که از اوصاف پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم صرفاً خبر می‌دهند و فقها نیز مانند آنها از اوصاف عبودیت و آنچه از چگونگیِ افعال و احوال پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به ما رسیده و از صحت و فساد احوال و کیفیت حقایق و کمال و نقصان آن خبر می‌دهند در حالیکه صوفیه [نه فقط اطلاع دارند و از آنها خبر می‌دهند بلکه] به این موارد معرفت دارند و راه‌های وارد شدن در آن افعال[= تحقق عملی آن افعال] را می‌شناسند و ایشان به این صفت شناخته می‌شوند.

پس نخستین صفت صوفیه معرفت اسماء و صفات خداوند و آگاهی از خصلت‌های نفس و محرک‌های آن و شناخت حیله‌ها و فریب‌های آن است؛ ایشان همچنین به دنیا و اسباب آن و چگونگیِ خارج شدن از آن و چگونگیِ دل کندن از آن معرفت دارند و همۀ اینها به واسطۀ به کار بستن مجاهدت‌های عظیم و تحمل رنج‌های شدید و ریاضات دشوار و جان‌فشانی‌ها در راه خدا صورت می‌بندد و با اجتهاد صحیح مقرون است. این‌ها مواردی‌اند که آن دو گروه دیگر بدان پایبند نمانده‌اند و عمل نمی‌کنند و از معرفت آنها به دورانند؛ صفات صوفیان در دیوان‌ها نقل شده و دربارۀ کردارشان در کتاب‌ها [مطالبی]

نوشته‌اند که از آن جمله این است که ایشان عبادات بسیار متحمل می‌شوند و مال خود را بذل می‌کنند و دل از آن برمی‌دارند تا به صفات أهل ورع و زاهدان و توبه‌کاران را آراسته شوند. صوفیان در کتاب‌های دانشمندان ربانی شناخته شده هستند و حتی پیامبر صلی الله علیه و سلَّم دربارهٔ فضل این گروه سخن گفته و از اوصاف جمعی و فردی‌شان خبر داده است.

فصل نخست

برخی از صفات صوفیان را می‌توان در این سخنان پیامبر صلی الله علیه و سلَّم مشاهده کرد: «پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم این قول خداوند را تلاوت کرد: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ(۳۹:۲۲) پس گفته شد: ای رسول خدا منظور از این «شرح» چیست؟ پس گفت: نوری است که به دل تابیده می‌شود؛ پس گفته شد: آیا تابیده شدن این نور نشانه و علامتی دارد؟ پس فرمود: دلسرد شدن از دارالغرور و بازگشت به دارالخلود و آمادگی برای مرگ قبل از رسیدنِ آن» همچنین پیامبر صلی الله علیه و سلَّم ایشان را [بهره‌مند] از نور هدایتی دانست که خداوند عزوجل دربارهٔ آن گفته است: «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»(۲۴:۴۰) سپس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم خبر داد که گواهِ تابیدن این نور این است خداوند قلب [ایشان را] نسبت به دنیا و اسباب آن سرد می‌کند و آنها از هرچه آنها را از خدا مشغول می‌سازد کناره می‌گیرند و آنچه در دست آنها[=مردم؟] است ترک می‌کنند و تنها خود را به خداوند قهار می‌سپارند و چنین است که اگر آثار ظهور آن[نور] در یکی از ایشان ظاهر شود، وی در جمع صوفیه مشهور می‌شود و صفتش برملا می‌گردد؛ چنین بود که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم خطاب به یکی از مردان انصار که به او حارثة بن مالک می‌گفتند فرمود: «چگونه به صبح درآمدی؟ حارثه گفت: [به صبح درآمدم] در حالیکه حقیقتاً مومن بودم.» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از او خواست بیشتر سخن بگوید تا ادعا و

حقیقت حالش کشف شود و اولین چیزی که حارثه از آن خبر داد این بود که گفت: «نفسم از دنیا کنده شده است.» و این سخنی تام است درباب اینکه وی در آشکار و نهان رغبت [به دنیا] را [از دل] بیرون کرده است. سپس به ذکر آنچه بعد از خروج از دنیا کرده می‌پردازد و می‌گوید: «شبها بیدارم و روزها تحمل تشنگی می‌کنم.» و این غایت عبادات و از خودگذشتگی است؛ حارثه سپس از آن بهره‌هایی که خداوند به وی رسانده سخن می‌گوید و این برای هرکس که چنین احوالی داشته باشد رخ می‌دهد؛ آنگاه بواسطۀ مشاهده‌ای که برای قلب‌ها رخ می‌دهد، علم الیقین حاصل می‌شود و همۀ مشغله‌ها فنا می‌یابند و همۀ پرده‌هایی که حجاب بنده با خدا است کنار می‌روند. پس زهد و ترک دنیا و جانفشانی برای دستیابی به رضایتِ خداوندِ جبار از نخستین ویژگی‌های صوفیه است و این حالت زمانی برایشان پیش می‌آید که بواسطۀ گشوده شدن سینه‌ها با انواری که از غیب می‌تابد، به تامل در دنیا و ارزش آن می‌پردازند و از سرِ علم به ارزش آن پی‌میبرند و در می‌یابند که وزن کل[دنیا] نزد خدا به اندازۀ وزن بال مگس نیست و این معرفت آنها را به آن [مشاهده‌ها] می‌کشاند.

فصلی دیگر

هنگامی که [صوفیه] سخنان خداوند در توصیف دنیا و سخنان پیامبر صلی الله علیه و سلَّم دربارۀ دنیا که مشابه سخنان خداوند است می‌شنوند [روی از دنیا می‌گردانند]. خداوند می‌گوید: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ»(۳:۱۴) همچنین می‌گوید: «أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ»(۵۷:۲۰) و همچنین صوفیه از خداوند شنیداند که گفته است: «فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ»(۳۱:۳۳) پیامبر صلی الله علیه و سلَّم نیز می‌گوید: «خداوند از آن زمان که دنیا را آفرید در آن نظر نکرد چه

نسبت به آن خشمگین است» و همچنین فرمود: «دنیا ملعون است و آنچـه در آن است ملعون است مگر آنچه بر آن نامِ خدا ذکر شود.» پیش از این[در آثار دیگر،] سخنِ [پیامبر] در مورد اینکه خداوند چه مقدار[برخورداری از دنیا را] اذن داده شاملِ [خوراکی] که رفع گرسـنگی کنـد و [پوشـاکی] کـه عـورت را بپوشاند و خانه‌ای که [آدمی را] از سرما و گرما حفـظ کنـد ذکـر شـده اسـت سپس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم وقتی می‌خواست انسان‌ها را به نعت آدمیت و صفت انسانیت -یعنی در مرحلۀ ابتداییِ چیزها و قبل از ظهور احـوالِ والا- وصف کند فرمود: «اگر فرزند آدم دشتی از مال داشته باشد باز در پـیِ دشـت دوم است و اگر دشت دوم را هم به دسـت آورد در پـی دشـتِ سـوم اسـت» و همچنین فرمود: «درونِ آدمی زاد پر نمی‌شود مگر با خاک، ولی خداوند بر هر که توبه کند می‌بخشاید» همچـنین خبـر داد کـه: «هـر امتـی گرفتـار فتنـه‌ای می‌شود و فتنۀ امت من مال است.» صوفیه انواع فتنه‌هایی را که در کمین دیـن هستند شناختند و [دریافتند که] گمراه‌کننده‌ترین آنهـا کـه منجـر بـه هلاکـت امت‌های پیش از ما شد، گراییدن به دنیا و دنیاداری بود چرا که بر اثر دنیاداری خداوند بین امت‌های پیشین دشمنی و نفرت بوجـود آورد همـانطور کـه عمـر رضی الله عنه از زبانِ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم شنید که فرمـود: «خداونـد دنیا را نصیب هـیچ گروهـی نمـی‌کنـد مگـر آنکـه بینشـان دشـمنی و نفـرت بیافکند.» پس صوفیه مقصود سخن پیامبر صلی الله علیه و سلَّم را درک کردند و به ترک چیزی پرداختند که منشأ فتنه می‌شود و از مال رویگـردان شـدند و از ترس گرفتارِ دنیا شدن به قوتِ روزانه‌ای که گرسنگی را رفع کند اکتفا کردنـد و به این گفتۀ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چنگ زدند که فرمود:« چون تسـکین کردی گرسنگی را به گِرده‌ای و کوزه‌ای آب پس پشت به دنیا کن.» پـس وقتـی صوفیه از پیامبر صلی الله علیه و سلَّم شنیدند که وی در جایی دنیـا را چیـزی شایستۀ پشت کردن و در جایی آن را چیـزی سـزاوارِ لعـن و نفـرتِ خـدا و در جایی دیگر ارزش آن را کمتر از بال مگس دانست، از گراییدن به دنیا ترسیدند

و این «لعنت» که پیامبر در این حدیث از آن سخن گفتند ایشان را بیدار کـرد: «دنیا ملعون است و آنچه در آن است ملعون است مگر آنچه خالص برای خدا باشد» و [دانستند که] هرکس دنیا را محبـوب خـود سـازد از جانـب خداونـد گرفتاری عقوبتی شود که استحقاقش را دارد و چشمه‌های رحمت خدا بر وی بسته می‌شود و بهره‌ها[ی الهی] از وی پنهان مـی‌گـردد و [بایـد دانسـت کـه] هیچ‌کس از دوری و رویگردانی خداوند در امان نیست. پـس صـوفیه بـه ایـن گفتهٔ عثمان بن عفّان رضی الله عنه که از قولِ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم نقل کرده بود روی آوردند که فرمود: «برای هیچ کس در مال بیشـتر از آنچـه بـا آن عورتش را بپوشاند و گرسنگی‌اش را بشکند و خانه‌ای که او را از سرما و گرمـا محافظت کند حقی نیست» پس صوفیه از آنچه حرام شده بـود چشـم پوشـی کردند و از حظوظ[نفس] رویگردان شدند و تنها به حقوق[نفس] اکتفا کردند و تنها در محدودهٔ آنچه پیامبر صلی اللـه علیـه و سـلَّم فرمـوده بـود [از دنیـا] بهره‌مند شدند و قلوب و نفوس خود را موافقت بـا دنیـا و اشـتغال بـه آن پـاک کردند و با چشمی به آن نگریستند که پیامبر صـلی اللـه علیـه و سـلَّم در ایـن حدیث وصف کرد: «کلِ دنیا نزد خدا به اندازهٔ یک بـال مگـس نمـی‌ارزد» [و حال که کلِ دنیا ارزشش این مقدار است،] جزئی از آن که برخی طالـب آننـد چه مقدار می‌ارزد؟ همچنین پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمـود: «هـرکس از دنیا بیش از حد کفایتش برگیرد، جیفه‌ای را به دست آورده و خود نمـی‌دانـد.» پس صوفیه در آنچه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از اوصاف دنیـا و اسـباب آن خبر دادند تفقه کردند و وی را اجابت کردند و آن سخنان را به کار گرفتند.

فصلی دیگر

پیامبر صلی الله علیه و سلَّم می‌دانست که طایفه‌ای [دعوت] وی را اجابت می‌کنند و راهش را پی می‌گیرند که سه مرتبه فرمود: «دنیـا را بـه أهـل آن رهـا کنید که هرکس از دنیا بیش از حد کفایتش برگیرد، جیفه‌ای را به دست آورده و

خود نمی‌داند.» اهل‌الله کراهت دارند که بعد از آنکه به خدا منتسب شدند به دنیا منتسب شوند. همچنان که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «بندهٔ دینار، بندهٔ درهم و بندهٔ جامه نابود شد.» پس صوفیه از این بیم دارند که از چشمِ خدا و از تصوف فرو افتند و به غیر روی بیاورند؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بر امتش می‌ترسید و ایشان را با تحذیر و نهیب و تهدید وصیت کرد و گفت: «بی تردید این مال مانند سبزه‌ای خوشایند[و زودگذر] است که خدا به شما سپرده و ناظر است که چگونه رفتار می‌کنید؛ از آتش و از زنان بپرهیزید.» صوفیه آنگاه که برایشان روشن شد که مال چیزی جز سبزه‌ای خوشایند نیست، در قبولِ این گفتهٔ پیامبر شتافتند و به حلاوت مناجات روی آوردند و حلاوت دنیا و یاد آن را از خود راندند و رغبت به آن را از دل زدودند و اهتمام به آن را ترک گفتند تا قلوبشان را صفا دهند و ذکر خدا را به تمامی دریابند همچنانکه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «دل‌هایتان را (با ذکر خدا) شادمان کنید چه اگر قلب به حلاوتی که موجب خشم خداست خوی کرد دیگر در آن قلب ارزش و حالی برای خدا یافت نمی‌شود.» پس صوفیه پس از آنکه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از دنیا و ارزش آن خبر داد به صفا دادن دل پرداختند چه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از قولِ خداوند گوید: «بی تردید خداوند به صورت‌ها و لباس‌هایتان نظر نمی‌کند بلکه به دل‌ها و اعمالتان می‌نگرد.» پس چون ایشان دانستند که خداوند از وقتی دنیا را خلق کرده به آن نظر نکرد دریافتند که قلب نیز نباید به لذات آن روی آورد و شایسته‌تر آن است که دل نیز به دنیا ننگرد؛ پس ایشان به چیزی راغب شدند که محل نظر خداست [و آن دل است] و نباید در دل اثری از دنیای ملعون باشد از اینروی ایشان به زایل کردن و از بین بردن و زدودن محبت دنیا از دل پرداختند تا بدین واسطه حرمت نظر و ذکر خداوند عزوجل را نگاه داشته باشند.

فصلی دیگر

بدان که من [کتاب را] با ذکر پیامبر صلی الله علیه و سلَّم و شرح اوصاف او شروع کردم و بدان که کلام پیامبر صلی الله علیه و سلَّم منطبق با کردار ایشان است و صوفیه از پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم پیروی کردند هنگامی که شنیدند که می‌گوید: «إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»(۳:۳۱) و در توصیفِ خودش گفت: «من از دنیا نیستم و دنیا نیز از من نیست؛ من مبعوث شدم و قیامت نیز بزودی فرا می‌رسد» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم این سخن را خطاب به عمر رضی الله عنه گفت؛ و این وقتی بود که عمر دید پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بر حصیری دراز کشیده‌است و جای حصیر در پهلوی ایشان نمایان شده بود، عمر گفت: «اجازه می‌دهی چیزی پهن کنم تا تو را از [نشستن بر] زمین حفظ کند؟ پس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم که تکیه داده بود برخاست و به عمر گفت: آیا تو در بندِ چنین چیزها هستی؟ آنها اقوامی[= فارس و روم] هستند که خوشی‌هایشان در دنیا به آنها رسیده است[و در آخرت بی‌نصیب‌اند] در حالیکه دنیا بزودی از آدمی ستانده می‌شود»؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم با این خطاب: «آیا تو در بندِ چنین چیزها هستی؟» عمر را نکوهش کرد زیرا وی دنیا و اسباب آن را [از دل] زدوده بود؛ مگر ندانستی من از دنیا نیستم و دنیا از من نیست که قصد کردی برای من چیزی پهن کنی که خداوند من را از آن برداشته بود و من را به خود مخصوص کرده بود؟ عمر رضی الله عنه گفتهٔ خود را ناروا دید و به غفلت خود واقف شد. و این احوالی است که در هیچ گروهی جز صوفیه مشاهده نمی‌شود؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در توصیفات خود فرمود: «دنیا متاع است و از متاعِ دنیا هیچ چیز والاتر از زنِ صالح نیست» و گفت: «من از دنیای شما از هیچ چیز جز این زنان بهره‌مند نشدم.»

پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چنین از زهد و ناچیزی متاع دنیا در نزدشان خبر داد و هرکس تعلقِ دنیوی‌ای بیش از چیزی که در این سخن آمده به ایشان

نسبت دهد به خشم خدا و پیامبرش صلی الله علیه و سلَّم گرفتار می‌آید چه وی از آن جهت که اسوهٔ امت خود در این امر بود به زنان میل کرد و برای آن نیز احکامی وضع کرد؛ پیامبر گفت: «از دنیای شما زنان و رایحهٔ خوش نزد من محبوب است و قرةالعین من در نماز است.» این سخن را در حالی گفت که گرسنگی شدید را تحمل می‌کرد و اسباب دنیا را ترک گفته بود. انس رضی الله عنه می‌گوید: «پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چیزی برای روزِ بعد ذخیره نمی‌کرد و بلال را از ذخیره برای فردا منع کرد و گفت:«نمی‌ترسی که[بر اثر ذخیرهٔ خرما] دودی از جهنم فوران کند؟ ای بلال انفاق کن و از اینکه خداوندِ صاحب عرش تو را در تنگنا بگذارد هراس نداشته باش.» آیا چنین حالاتی جز در بین صوفیه یافت می‌شود؟

فصل دیگر

ابوطلحه گوید: «به ام سلیم[۱] وارد شدم و گفتم آیا نزدِ تو چیزی یافت می‌شود؟ چه من پیامبر صلی الله علیه و سلَّم را دیدم که برای اصحاب صفّه سورهٔ نساء را می‌خواند و از گرسنگی سنگ به شکم خود بسته بود.» صوفیه نیز به پیروی از پیامبر صلی الله علیه و سلَّم و اقتدا به وی در پیشگاه وصال، گرسنگی و ترک شهوات و اعراض از دنیا را -تا آن حد که اختیار دارند- برگزیدند. پس با قناعت روی به تجریدِ زهد- آنگونه که در اوصاف [پیامبر صلی الله علیه و سلَّم] آمده- آوردند. همچنین انس رضی الله عنه از فاطمه رضی الله عنها روایت می‌کند که وی یک تکه نان برای پیامبر صلی الله علیه و سلَّم آورد؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفت: «این چیست؟ فاطمه رضی الله عنها گفت: این نانی است که خودم آن را پختم و دلم آرام نگرفت تا این تکه را

---

۱. خادمِ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم و همسرِ ابوطلحه و مادر انس بن مالک.

برای تو نیاوردم، پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفت: این نخستین [لقمهٔ] غذایی است که ظرف سه روزِ گذشته به دهان پدرت می‌رود.» بدین سبب صوفیه شکستگی و پوشیدن خرقه و زاویه نشینی و پیروی از سیره و روش پیامبر صلی الله علیه و سلَّم را اختیار کردند و اندک‌خواه شدند و اشتغالات دنیوی را ترک گفتند. همچنانکه عایشه گفت: «ابوبکر رضی الله عنه رانِ گوسفندی را به ما هدیه داد؛ من و پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در تاریکی به تکه تکه کردن آن پرداختیم؛ ابوبکر به عایشه گفت: پیه‌سوزی در اختیار ندارید؟ عایشه گفت: اگر پیهی داشتیم آن را خوراک می‌ساختیم.» صوفیه روش پیامبر صلی الله علیه و سلَّم را برگزیدند و به راه او رفتند و به پیروی از وی به ترکِ أهل و دیار گفتند.

فصل دیگر

من در برخی صفات پیامبر صلی الله علیه و سلَّم تامل کردم چه این قوم[=صوفیه] اوصافشان را بر این مبنا پی ریخته‌اند و در پیِ [تخلق به] اخلاق او و پیروی از راهش هستند؛ ایشان نه در پی بحث دربارهٔ اوصاف پیامبرند و نه گردآورندهٔ افعال او هستند بلکه حقیقتاً أهل سنت و دنباله‌رو ایشان هستند. اینکه در اینجا سخنی از اوصاف پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به میان می‌آید صرفاً بدان دلیل است که معلوم شود صوفیه تنها گروهی‌اند که اوصاف وی را در خود محقق کردند و خداوند عزوجل و پیامبرش صلی الله علیه و سلَّم نیز به اوصاف و افعال ایشان اختصاصاً اشاره کرده‌اند از آن جمله این گفتهٔ خداوند عزوجل به پیامبرش صلی الله علیه و سلَّم است: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»(۱۸:۲۸). ایشان گروهی فقیر و مسکین بودند که همراه با پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بر تحمل بلا صبوری کردند زیرا [پیامبر صلی الله علیه و سلَّم] ایشان را از جانب خداوندِ قدیم [از حقایق] مطلع کرده بود و بر ایشان جامهٔ صبر و چشم دوختن به وجه خداوند

کریم پوشانده بود. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «تحفهٔ مومن در دنیـا، فقر است»؛ مردی گفته بود ای رسول خدا من تو را دوست دارم؛ پیامبر صـلی الله علیه و سلَّم گفت: «برای فقر آماده باش و [در برابر تیرهای آن] زره بپوش؛ زیرا فقر به دوستدارانِ من می‌رسد زودتر از رسیدنِ سیل به زمین» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم خبر داد که پاداش آنکس که پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم را در دنیا دوست داشته باشد فقر و تنگدستی است. کعـب بـن عجـره گویـد: «نزد پیامبر صلی الله علیه و سلَّم رفتم و ایشان را پریده‌رنگ دیدم، گفتم: پدر و مادرم به فدایت، چرا تو را پریده‌رنگ می‌بینم؟ گفت: سه روز است که به شکم من همان چیزی وارد شده که به شکم فردِ تشنه‌جگـر وارد شـده اسـت گفـت: پس رفتم و یهودی‌ای را دیدم که مشغول سقایت بود، من در ازای دریافت یک خرما برای او به سقایت پرداختم و همهٔ آب سطلش را فروختم سپس نزد پیامبر صلی الله علیه و سلَّم آمدم، وی گفت: این را از کجا آوردی؟ وی را از مـاوقع مطلع کردم به من گفت: ای کعب آیا مرا دوست داری؟ گفتم: مادر و پدرم بـه فدایت تو را دوست نداشته باشم، که را دوست داشته باشم؟ گفـت : فقـر، بـه دوستدارانِ من می‌رسد زودتر از رسیدنِ سیل به زمـین؛ پـس ایـن فقـر بـه تـو خواهد رسید پس آمادهٔ فقر باش و [در برابر تیرهای آن] زره بپوش.» نمی‌بینـی چگونه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم دوستدارانش را به فقر مخصوص گردانیـد و فقر را پاداشِ مستعجل آنان پیش از مرگ قرار داد و برای آنها اختصاصا فقر را طلب کرد همانطور کـه بـرای خـود از خـدا خواسـته بـود کـه وی را در زمـرهٔ مسکینان محشور گرداند و همچنین دعا می‌کرد: «خدایا هر کس به تـو ایمـان آورد و شهادت داد من پیامبر تو هستم، دیدارت را برایش دوست‌داشتنی کـن و از گمراهی نجاتش ده و بهره‌اش از دنیا را اندک ساز.» سید گوید: «پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم گفت: من برای شما بیش از فتنهٔ [فقر و] دشواری از فتنهٔ [ثروت و] آسایش ترسانم زیرا شما هنگامی که به دشواری مبـتلا شـوید صـبر پیشه می‌کنید [اما به هنگام آسایش و ثـروت بـه دنیـا روی مـی‌آوریـد] و دنیـا

سبزه‌ای شیرین است.» پیامبر خبر داد که بر اصحاب خود از فتنهٔ [ثروت و] آسایش ترسان است زیرا هنگامی که دنیا به آنها روی بیاورد تحمل پایداری در برابر آن را ندارند. همچنانکه وی صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «من بر شما می‌ترسم که فارس و روم به دست شما بیفتد که در این صورت با یکدیگر[در کسب دنیا] مسابقه می‌دهید و چیزی جز آن[=دنیا] عامل انحرافتان نخواهد بود.» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم خبر داد که قوم وی از فقر و تنگنا می‌ترسند[درحالیکه باید از دنیا بترسند زیرا] دنیا اگر روی بیاورد نمی‌گذارد که ایشان به آن وارد شوند مگر آنکه قلبها و عقلهایشان را با فزع و جزع می‌رباید آیا جز صوفیه، گروهی دیگر هستند که روی به این احوال ناخوشایند و فقر سهمگین بیاورند؟

فصلی دیگر

عبدالله از پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در وصف فقرای سبکبار چنین نقل می‌کند: «ما نزد پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بودیم که خورشید طلوع کرد، پس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: در روز قیامت افرادی را نزد من می‌آورند که نورشان چون نور خورشید است، ابوبکر گفت: آیا ما هم از زمرهٔ آنانیم؟ پیامبر فرمود: نه، هرچند در شما خیر کثیری است؛ آنها فقرای مهاجرین هستند که سختی‌ها بواسطهٔ آنها دفع می‌شود و آنها افرادی‌اند که می‌میرند درحالیکه حاجتشان را در سینه نگاه داشته‌اند[و برلب نیاورده‌اند] ایشان از سراسرِ روی زمین گرد می‌آیند.» نمیبینی که چگونه صدیقِ اکبر [بر این حالِ فقرا غبطه می‌خورد و]بر آن چنگ می‌اندازد؟ از پیامبر صلی الله علیه و سلَّم روایت شده که وی اوصاف گروه‌ها مختلف را بر می‌شمردند تا به گروهی رسیدند که از از غایتِ فقر به حدی بودند که ورای آن چیزی متصور نبود [و ابوبکر را آرزو آن بود که در زمرهٔ ایشان باشد] به سبب منزلت و رفعتی که این گروه دارند؛ فاروق نیز در آخر کارش چنین بود و به راهِ یارش رفت. آیا

کسی جز صوفیه که در سراسرِ روی زمین پخش هستند، چنین اوصـافی را بـه دست آورده‌اند؟ فضالة گوید: «اصحاب صفه از شدت جهد در نماز به زمـین می‌خوردند و اعراب ایشان را «مجانین» میخواندند و هنگامی کـه نمـاز تمـام می‌شد [پیامبر صلی الله علیه و سلَّم] به سوی ایشان بازمی‌گشت و می‌گفـت: اگر می‌دانستید که شما نزد خدا صاحب چه مقامی هستید، بی‌شـک خواهـان آن بودید که فقرتان بیشتر شود.» فضاله در مورد ایشان گفت که از شدت جهد به زمین می‌خوردند و [پیامبر صلی الله علیه و سـلَّم] هنگـام نمـاز آنهـا را بـه دیگران معرفی می‌کرد و می‌گفت که من از احوالِ ایشان علمی دارم که بیش از آن اسـت کـه شـما از بینـوایی و عریـانی و گرسـنگی ایشـان در مـی‌یابیـد تـا بدینواسطه دیگران را از احوال عالی ایشـان مطلـع کنـد و بـه آنهـا بگویـد کـه سایرین هنوز به مرتبهٔ نهایی نرسیده اند، چه مرتبهٔ ایـن فقیـران نـزد خـدا ورای مرتبهٔ آنها است و آنچه نزد خداست حد و مرزی ندارد؛ آیا چنین احـوالی جـز برای صوفیه حاصل می‌شود؟

ابوذر گوید: «رسول خدا صلی الله علیه و سـلَّم از مـن دربـارهٔ مـردی از قریش پرسید و گفت: آیا فلانی را می‌شناسی؟ گفتم: بلـه گفـت: او را چگونـه یافتی؟ گفتم: مردی است که وقتی از او خواسته شود عطا کند و وقتـی جـایی حاضر شود اِکرام کند سپس دربارهٔ مردی از أهل صفه از من پرسید: آیا فلانـی را می‌شناسی؟ گفتم: بلی گفت: او را چگونه دیدی؟ گفتم: او مردی مسکین و از أهل مسجد است گفت: این فردِ اخیر از هرآنچه آفتاب بر آن می‌تابد[=همهٔ أهل زمین] برتر است.» نمی‌بینی پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چگونه این فـرد فقیر را معرفی می‌کند؟ و او را به‌عنوان کسی معرفـی مـی‌کنـد کـه از هرآنچـه آفتاب بر آن می‌تابد برتر است؛ این در حالی است که فرد نخسـت نیـز کسـی بود که هنگامی که از درخواست می‌شد، عطـا مـی‌کـرد و اگـر جـایی حاضـر می‌شد اکرام و احسان می‌کرد و بدین سبب [نزد خدا] صاحب آبرو و مرتبه بود اما در مرتبهٔ دوم پیامبر از احوال فـردی پرسـید کـه [ظـاهراً] مقـدار و ارزشـی

نداشت. همچنانکه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود:«[چه بسا] فرد ژولیده موی و خاک آلودی که تنها مالک دو جامهٔ کهنه است و خداوند از او هیچ حساب نگیرد و او نزد خدا از همهٔ اهالی زمین- که صفتی جز آن دارند برتر باشد» آیا این حالت را جز نزد فقرایِ صوفیه می‌بینی؟ سخنان دیگر پیامبر نیز بر این نسق است. ابوذر گفت: «پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به من گفت: به رفیع‌ترین فردِ این مسجد نگاه کن و من نگاه کردم و فردی دیدم که جامه‌ای نو به تن داشت سپس به من گفت: به ناچیزترین فردِ این مسجد نگاه کن و من مردی را دیدم که جامه‌ای کهنه به تن دارد؛ سپس گفت: این مردِ اخیر به هنگامِ روز قیامت از همهٔ رویِ زمین در نزد خدا برتر است.» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم [عامدانه] به ابوذر امر کرد تا به رفیع‌ترین فرد یعنی کسی که صاحب جامهٔ نو بود و ناچیزترین آنها یعنی آنکه جامهٔ کهنه بر تن داشت بنگرد تا منزلتِ[حقیقیِ] افرادی که صاحب زینت و لباس فاخرند به وی بشناساند و بر این اساس این خطابه را در تفضیل ضعفا و فقرا ایراد کردند: سعد گوید: «پیامبر فرمود: بی تردید خداوند، این امت را به واسطهٔ دعاها و نمازها و اخلاصِ ضعفایش نصرت می‌کند و خداوند ضعفا را وقف عبادات کرد و اخلاص را برایشان مسلم کرد؛ اخلاصی که بزرگان از آن عاجزند. چه این ضعفا گروهی‌اند که به دانش‌های صدق و اخلاص آویختند و این اوصاف در ایشان ظاهر شد و خاص و عامشان را شامل شد تا آنجا که در همه جا با اخلاصشان شناخته می‌شوند.»

فصلی دیگر

گوینده‌ای گفت: «در کنار گروهی از ضعفای مهاجرین نشسته بودم و بعضی از آنها به سبب عریانی پشتِ بعضی دیگر پنهان شده بودند و قاری‌ای برایشان قرآن می‌خواند؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم سررسید و نزد ما آمد و گفت: بشارت باد شما را ای بینوایان مهاجر به اینکه در قیامت شما را نور تام

خواهد بود و در روز قیامت نیم‌روز زودتر از اغنیا وارد بهشت می‌شوید و این نیم‌روز به اندازهٔ پانصد سال است» این بشارت بدان دلیل بود که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم آنان را در آن وضعِ عریانی و فنای اسباب[دنیوی] و تحمل آن احوال دید همچنانکه معاویه از پیامبر چنین روایت کرد: «پیامبر صلی الله علیه و سلَّم [کسی را] نزد من فرستاد تا [سیاهه‌ای از یاران؟] بنویسم من نیز با دقت شروع به نوشتن کردم و هنگامی که کار پایان یافت [کسانی را] به مسجد فرستادم و به آنها گفتم ببینید که چه کسانی در مسجد هستند؟ آنها به سوی من آمدند و گفتند که در مسجد [تنها] اصحاب صفه: سلمان، ابوذر، صهیب و ابوهریره هستند. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به سوی آنها رفت و من نیز با ایشان همراه شدم و به آنها گفت: مردم به دنبال حوائج خود رفتند و شما در ذکر خداوند غرقه گشته‌اید؛ بشارت باد شما را! قسم به آنکه جانم بدست اوست که خداوند هم‌اینک به سبب وجود شما در برابر فرشتگان مباهات می‌کند» آیا هیچ‌یک از صحابه از چنین رفعت و منزلتی برخوردار بودند که خداوند به سبب وجود آنان در برابر فرشتگان مباهات کند؟ به سبب چنین چیزی است که صوفیه در مساجد و رباط‌ها معتکف شدند و روی به دشت‌ها و صحراها و دره‌ها و تپه‌ها آوردند و تاریکی[شب] را دوست دارند زیرا زمان ذکر اوست و شب را برای مسرت حق پاس داشتند و روزهایشان را به تشنگی گذراندند تا روزی برسد که آنان نیز به سبیل یارانِ پیشینِ خود که از دیار و تجارت و کسب و کار خود دست کشیدند و کالاها را ترک کردند برسند؛ صوفیه نیز به همین سان فقر را پاس داشتند و گرما و سرما آنها را آزرد و ایشان نفس خود را مانع شدند که چشم به اسباب رفاه داشته باشد؛ [صوفیه در این کار] همراه بودند با اصحاب عبا و مرقعه همچنانکه ابن عمر رضی الله عنه روایت می‌کند و می‌گوید: «من نزد پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بودم و ابوبکر صدیق رضی الله عنه نیز آنجا بود و عبایی پوشیده بود که در قسمت بالای آن سوراخی وجود داشت؛ جبرئیل علیه السلام نازل شد و از جانب خداوند به

پیامبر صلی الله علیه و سلَّم سلام کرد سپس گفت: ای رسول خدا چه شده که ابوبکر را چنین می‌بینیم که عبایی پوشیده که در قسمت بالای آن سوراخ است؟ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفت: ای جبرئیل او قبل از فتح [مکه]، مالش را در راهِ من انفاق کرد جبرئیل گفت: سلام خدا را به او برسان و بگو پروردگارت می‌گوید آیا در این حال فقر از من خشنودی یا خشمگینی؟ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به سوی او بازگشت و گفت: این جبرئیل از جانب خدا به تو سلام می‌کند و [از جانب خدا] می‌گوید تو در این حال فقر از من خشنودی یا خشمگینی؟ پس ابوبکر گریه کرد و گفت: من از پروردگارم خشمگین باشم؟ من از پروردگارم خشنودم؛ من از پروردگارم خشنودم.» این گریهٔ ابوبکر - هنگامی که منزلتش نزد خدا را جلو چشم می‌آورد- چیزی جز گریهٔ شکر نبوده است زیرا او اهلیت آن را دارد. آیا کسی جز صوفیه چنین جامه‌ای را می‌پوشد؟ و کسی از افراد گذشته و اکنون این حال را در می‌یابد؟

فصلی دیگر

مصعب بن عمیر رضی الله عنه نیز بر چنین حالی بود که روزی گذر می‌کرد درحالیکه لباسی پوشیده بود که کامل وی را نمی‌پوشاند؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم و چند تن از اصحاب نشسته بودند و هنگامی که او را چنین دیدند [از خجالت] به سبب آنکه نمی‌توانند چیزی به او بدهند که خود را بپوشاند، سر خود را زیر انداختند؛ راوی گوید: «پیامبر صلی الله علیه و سلَّم او را ثنا گفت و او نیز سلام داد سپس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: من او را نزد والدینش دیده بودم و او بیش از هر جوان قریش نزد پدر و مادر عزیز و برخوردار بود اما او برای رضای خدا و نصرت پیامبرش از آنها دست کشید؛ اما شما اگر می‌دانستید آنچه من [از دنیا] می‌دانم، نفوستان آسایش می‌یافت[و به دنیا مشغول نمی‌شد] اما این را نمی‌یابید مگر آنگاه که فارس و روم را گشودید [و به چنان رفاهی رسیدید] که شب جامه‌ای به تن کنید و صبح

جامه‌ای دیگر و در ظرفی به شما غذا دهند و در ظرف دیگری شراب بپیمایند و خانه‌های خود را چنان آرایش کنید که کعبه آرایش می‌شود؛ آنگاه در می‌یابید کدام روز برای شما بهتر بود.» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در اینجا از چشم‌پوشی[از اسباب رفاه] برای رضای خدا و نصرت پیامبر صلی الله علیه و سلَّم سخن گفت و آن را سنت و حقیقتی قرار داد برای هرکس که در جستجوی رضایت خداست و این حقیقتی است که انگیزهٔ آن ولایت[=محبت] خداست. و این صفتی است که ابوبکر صدیق رضی الله عنه بدان آراسته بود و مصعب بن عمیر نیز به راه او رفت. سپس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم اصحاب را از چیزی که می‌دانست با خبر کرد: هرکس دنیا و زینت را ترک کند و از آن چشم پوشی کند به شادی و آسودگی می‌رسد، چه این چشم پوشی او را از رنجِ طلب و شدت حرص معاف می‌کند و کسانی که در جستجوی ثواب الهی‌اند، دنیا را ترک می‌کنند و از آن دور می‌شوند تا جامهٔ آسودگی و شادی به تن کنند؛ آیا چنین احوال و اخباری در باب شادمانی را جز درمورد صوفیه شنیده‌ای؟ همهٔ این حکایات به صفات آنها[=صوفیه] اشاره دارد که حظوظ را کشته‌اند و لذات نفس را ترک گفته‌اند همچنانکه طلحه روایت کند از اینکه مردی به پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفت: «ای رسول خدا به ستوه آمدیم از بس که خرما خوردیم؛ راوی گوید: پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بر منبر رفت و گفت: اگر نان یا گوشتی می‌یافتم با آنها شما را اطعام می‌کردم سپس فرمود: شما ـ یا برخی از شما ـ به زودی روزهایی را به چشم خود می‌بینید که در ظرف‌های بزرگ [غذا یا شراب] به شما بدهند و جامه‌ای چون جامهٔ کعبه به تن می‌کنید[ولی این حال فقرِ امروز برای شما بهتر است]». منظور پیامبر از ظرف‌ها، ظرف‌های گوشت بود و [این را به عنوان نمونه ذکر کردند و] باقی ماکولات و مشروبات خوشایند را ذکر نکردند همچنانکه جامهٔ کعبه را به عنوان مثلی از جامه‌های فاخر مثل دیبا و حریر طلاکوب و رنگ‌های گوناگون ذکر کردند؛ همهٔ این سخنان دلالت بر ترک دنیا و دل‌سرد کردن به آن دارد.

همچنانکه ابوسعید انجدانی گوید: «رسول خدا صلی الله علیه و سلَّم در ضمن خطابه‌ای فرمود: من تنها از آن بر شما بیم دارم که زیبایی‌های دنیا به شما روی بنماید و شما همچون پیشینیان در تصاحب آن با یکدیگر مسابقه دهید و این مسابقه شما را بسانِ پیشینیان به هلاکت اندازد.» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در هر موضعی ترک دنیا و زیبایی‌های آن را به امت یادآوری می‌کرد و اینکه مسابقه برای تصاحب آن به معنای هلاکت آنان است همچنانکه پیشینیان را هلاک کرد و پسینیان را نیز همچنین. آیا کسی جز صوفیه این وصایا و تحذیرها را قبول کرده است؟ ایشان کسانی‌اند که از دنیا کناره جستند و به زیبایی‌های آن دل سرد کردند و به اندکی از آن رضایت دادند تا مبادا بدان مشغول شوند. این چیزی بود که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم آنها را از آن بر حذر داشته و منع کرده بود و به آخرت ترغیب کرده بود و آنها را به زهد از فانی به [امید] باقی فراخوانده بود.

فصلی دیگر

و پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از این هراسی نداشت که فقیران نتوانند درجاتِ [ثروت‌مندانِ] أهل انفاق را درک کنند زیرا اعمال را متکی به نیت می‌دانست و لذا احوال این دو گروه را یکسان دانست. ابوکبشه انصاری گوید: «پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: مثَل این امت مَثَلِ چهار نفر است که خداوند به یکی از آنها هم علم عطا کرده و هم مال و او از هر دو انفاق می‌کند و خداوند به نفر [دوم] تنها علم عطا کرده و مالی نداده است؛ این نفر[دوم] می‌گوید که اگر خداوند به من نیز مانند فلانی مال می‌داد من نیز همان کاری می‌کردم که او کرده است؛ [پیامبر فرمود:] این دو اجر یکسانی می‌برند و باقی حدیث.» [این اجر یکسان نفر دوم با نفر نخست] به سبب صحت نیت او قصدِ جمیل اوست و از اینرو پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «نیت مومن از عملش بهتر است.» حتی ابوهریره نقل می‌کند که پیامبر فرمود: «[گاهی]

یک درهم از هزار درهم بیشتر است؛ ابوهریره گفت: ای رسـول خـدا چگونـه ممکن است که یک درهم از هزار درهم بیشـتر باشـد؟ پیـامبر فرمـود: مـردی است که مال بسیار دارد و از گوشهٔ اموالش هزار درهـم صـدقه مـی‌دهـد؛ امـا مردی دیگـر اسـت کـه [تنهـا] دو درهـم دارد کـه یـک درهـم از آن را صـدقه می‌دهد.» این یکی از فضایل فقرا و زاهدان است و از آنجـا کـه صـحابه از آن بی‌اطلاع بودند پیامبر صلی الله علیه و سلَّم ایشان را مطلع کرد و این تفضـلی از جانب خداوند به مستمندان است که ثروتمندان بـه پایـهٔ آنـان نمـی‌رسـند؛ بدین سبب پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از اصـحابش پرسـید: «برتـرینِ مـردم کیست؟ یکی از آنان گفت: مومنِ ثروتمندی که هم حقِ نفسش را مـی‌دهـد و هم از مالش [به دیگران] می‌بخشد پس پیامبر صلی الله علیه و سـلَّم فرمـود: چنین فردی نیکو مردی است اما برترینِ مردم نیست بلکه برترینِ مـردم مـومنِ فقیری است که با وجود مشقت بسیار مالش را می‌بخشد.» و وی فقیری که بـا مشقت بسیار مالش را می‌بخشد بر [مومن ثروتمندی که] أهل انفاق و بخشش است و حقوق [سایرین] را به تمام و کمال عطا می‌کند تفضـیل داد. پـس وی برای فقیر مرتبهٔ ویژه‌ای قایل شد و بالاترین احوال و والاترین درجات را به وی نسبت داد و پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از سرِ معرفت به رفعتِ مرتبـهٔ فقـرا و مساکین از خداوند عزوجل درخواست می‌کرد: «خدایا مـرا در طـول زنـدگی فقیر بدار و به هنگام مرگ فقیـر بمیـران و مـرا بـه روزِ قیامـت در زمـرهٔ فقیـران محشور کن»پس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از خداوند می‌خواست که حـال و مرتبهٔ و نبوتش را [با فقر] به نهایت برساند؛ این حال و مرتبه‌ای بود که آثارش را در وجود ایشان نشان داده بود و ایـن هنگـامی بـود کـه جبریـل گفـت:ا«ز خداوند عزوجل بخواه تا کلید گنجینه‌های زمین و آسمان را در اختیـارت قـرار دهد اما پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفت: من سه روز از خوردن می‌پرهیزم و یک روز خود را سیر می‌کنم؛ هنگامی که گرسنه باشم، تضرع می‌کنم و وقتـی سیر باشم به حمد خدا می‌پردازم» این شیوه‌ای بود که وی برگزیده بـود و او از

جانب خدا انذار داده شده بود چه خداوند به او خطاب کرده بود و ایمان را به او تعلیم داده بود و او این سخن را شنیده بود: پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفت: «ربِ خود را در زیباترین صورت دیدم تا آنجا که خداوند گفت: ای محمد بگو: خدایا من از تو انجام خیرات و ترک منکرات و حب مساکین را مسئلت دارم و اینکه مرا بیامرزی و به من رحم کنی و اگر خواستی قوم[من] را به فتنه‌ای دچار کنی مرا درحالیکه به فتنه آلوده نشده‌ام به سوی خود ببر» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چون با شهود قلبی خاص بودن فقرا نزد خدا را دریافت و حب مساکین را از جمله چیزهایی دید که خداوند به وی تعلیم داده است از خداوند خواست که او را به آن حالِ رفیع برساند، حالی که منضم به [مرتبهٔ] نبوت است؛ و از خداوند خواست او را به همان راهی که خواصِ پیامبران بدان رفتند ببرد یعنی راه کسانی که علاوه بر پیامبری بدان صفت[=فقر] نیز موصوف بودند؛ زیرا هیچ پیامبری نیست که با خداوند مانوس باشد و بی‌پروا با خداوند سخن بگوید مگر آنکه به عذر و زهد و خویشتن داری در قرب آراسته بوده باشد. مانند موسی علیه السلام که با فقر زندگی می‌کرد و در هر خانه‌ای از خانه‌های بنی اسراییل که می‌توانست سکنی می‌گزید. ابن عمر روایت کند که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هنگامی که[خداوند] مرا به آسمان عروج داد صدای گِله و شکایت شنیدم؛ گفتم: ای جبرییل این کیست؟ گفت این موسی است که از خداوند گِله و شکایت می‌کند گفتم: چگونه ممکن است؟ گفت: خداوند از آنرو که او را می‌شناسد این گِله و شکایت او را تحمل می‌کند.» مسیح علیه السلام نیز چنین بود و مسکن و مأوایی نداشت و مغز درختان را می‌خورد و آب چاه می‌نوشید؛ اوصاف این پیامبران در کتابِ افرادی که [از دنیا] برای خدا بریده‌اند آمده است اما در این کتاب‌ها از ابراهیم و سلیمان و یوسف علیهم السلام با همهٔ بزرگی و منزلتشان نزد خدا نامی برده نشده است. آیا کسی جز صوفیه به راهِ آنها[=پیامبرانِ فقیر] رفته است؟ و کسی جز ایشان از احوال آنها خبر داده است؟

فصلی دیگر

[پیامبر صلی الله علیه و سلَّم برای فقیران] شرف و فضلی قائل بود کـه بـر همهٔ أهل مملکت[اسلام] پیشی می‌گیرد و [پیامبر صلی الله علیه و سلَّم] آنها را عالی‌رتبگان و پیشروان قوم دانست. ابن عمـر از پیـامبر نقـل کـرد: «پیـامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: برای هر چیز کلیدی است و کلید بهشت، حـبِ فقیران و مساکین صبور است گفتم: این به چه سبب است؟ فرمود: زیرا آنها در قیامت، هم‌نشین خداوند هستند.» پس ای عاقلِ دانا و ای عالم خردمند شاهد باش و بدان که خداوند فرموده است: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ أَنْفُسَـهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ(۹:۱۱۱) پس مومنان امـوال و جـان‌هایشـان را در ازای بهشت بذل می‌کنند؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم حب فقرا و مساکین را برابـر با بذل مال و جان قرار داد چون پاداش هر دو بهشت اسـت؛ بـالاترین نعمـتِ بهشت نیز نظر کردن به خداوند عزّوعلا و هم‌نشینی با اوست پس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بالاترین نعمت بهشت را نصیب فقرا دانست و فرمود بهشت، پاداش محبین آنها است. پس آیا چنین نعمتی جز برای صـوفیانِ هـدایت‌یافتـه است؟ حضرتِ حق، آنها را از مجالست خود در بهشت محروم نمی‌کند زیـرا صوفیه ملحق به فقیران هستند و زمانی می‌رسد کـه خداونـد ایشـان را خـاص خود قرار می‌دهد و جز آنها هیچ‌کس چنین بهره‌ای ندارد. عبدالله بـن عمـر از پدرش چنین نقل کرد: «پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم گفت: آیا مـی‌دانیـد اولین گروه از خلق خداوند که وارد بهشت می‌شوند چه کسـانی‌انـد؟ گفتنـد: خدا و رسولش بهتر می‌داننـد پیـامبر گفـت: اولـین گروهـی کـه وارد بهشـت می‌شوند فقرای مهاجر هستند که سرحدات به واسطهٔ آنهـا حفـظ مـی‌شـود و بدی‌ها به واسطهٔ آنها دفع می‌گردد؛ از آنها افرادی می‌میرند درحالیکه حاجات خود را [بر زبان نمی‌آورند و]در سینه نگاه می‌دارند و [از شدت فقـر] توانـایی برآوردن آن را ندارند.»

فصلی دیگر

همچنین پیامبر صلی الله علیه و سلَّم خبر داد کـه حق[سـبحانه و تعـالی] فقیران را به محبت خود مخصوص گردانیده و نشانه‌های آن را بر ایشان ظـاهر کرده است؛ وی فرمود: «آنگـاه کـه خداونـد بنـده‌ای را دوسـت بـدارد او را از [بیمـاری] دنیـا پرسـتاری مـی‌کنـد همچنانکـه شـما از بیمارانتـان پرسـتاری می‌کنید.» همچنین پیامبر صلی الله علیه و سـلَّم خبـر داد از اینکـه خداونـد، خود آغازگرِ محبت به فقیران اسـت و ایـن تفضـل و منتـی از جانـب خداونـد است؛ و خداوند است که دنیا را از ایشان بازمی‌دارد و این تکریم و احسانی از جانب خداوند است؛ و آثار این [اکـرام و تفضـل خداونـد] در قیامـت ظـاهر می‌شود همچنانکه [در دنیا نیز] آنها را در بین امت، منزلتی مخصوص بخشید و از سرِ تفضل به آنها کرامت کرد و نامشان را بلند سـاخت. سـعید بـن عـامر می‌گوید: «پیامبر صلی الله علیـه و سـلَّم فرمـود: [در قیامـت] فقیـرانِ مـومن همچون پرندگان پرمی‌گشایند و پرواز می‌کنند، به آنهـا گفتـه مـی‌شـود: بـرای حساب بایستید آنها می‌گویند: ما چیزی باقی نگذاشتیم که بخـواهیم حسـاب پس دهیم پس خداوند می‌گوید: بندگانم راست می‌گویند پس آنها هفتاد سال زودتر از دیگر مردم به بهشـت وارد مـی‌شـوند» آیـا چنـین خطـابی در چنـان عرصاتی نصیبِ کسی جز فقیران می‌شود؟ و کسی جز آنـان مـی‌توانـد چنـین گستاخ باشد[که بگوید من چیزی باقی نگذاشـتم کـه بخـواهم حسـاب پـس دهم]؟ و آنها را این گفتهٔ خدا کفایـت مـی‌کنـد کـه فرمـود: «بنـدگانم راسـت می‌گویند» خداوند ادعا و فقرشان را تصدیق کرد. پس در چنـین مـوقفی أهـل مذاهب کجا هستند تا منزلتِ عالی ایـن فقیـران را دریابنـد؟ ابـوهریره گفـت: «پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: پادشاهان بهشت، افـراد ژولیـده مـوی و خاک آلودی‌اند که[در دنیا] تنها مالک دو جامهٔ کهنه بودنـد؛ کسـانی کـه [در دنیا] اگر اذن بطلبند پاسخ نمی‌یابند و اگر [دختـری را] از مـردم خواسـتگاری کنند کسی به آنها پیوند نمی‌کند و اگر سخن بگویند کسی سکوت نمی‌کند[تا

سخنشان را بشنوند]، حاجاتشان در سینه‌هایشان می‌جنبد؛ اگر نور هر یک از آنها را بین همهٔ أهل زمین قسمت کنی، همه را فرا می‌گیرد» آیا خداوند پادشاهیِ بهشت را به کسی جز آنها عطا کرده است؟ آیا کسی جز آنان را به این نام[=پادشاهان بهشت] خوانده است؟ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم این گروه را به‌عنوان کسانی وصف کرد که از[دنیا] غایب‌اند و این صفتی است که بدان شناخته می‌شوند و پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هفتاد هزار نفر[از فقیران امت من] بدون حساب وارد بهشت می‌شوند، پس گفتند: آنها چه کسانی هستند؟ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: آنها کسانی‌اند که تعویذ نمی‌بندند و داغ نمی‌نهند و فال نمی‌گیرند و بر پروردگارشان توکل دارند.» آیا کسی جز صوفیه هست که چنین به خدا توکل و اکتفا کند و به سبب اعتماد بر خدا، تکیه بر اسباب [مادی] را ترک کرده باشد؟ آنها کسانی‌اند که حکم‌های الهی که در سابقه رفته -چه خیر و چه شر و [حتی] بیماری و ها و امراض را- و آنچه مقدر شده و از آن گریزی نیست می‌پذیرند؛ [زیرا] همان کس که بدیشان علم عطا کرده، تعلق خاطر به اسباب را از ایشان گرفته چه آنها به مُسَبِب چشم دارند.

فصلی دیگر

پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چنین از کسی که دنیا را بر آخرت برگزیده است خبر داد: «هرکس دنیا را بر آخرت برگزیند خداوند او را به سه چیز مبتلا می‌کند: اندوهی که تا ابد در قلبش می‌ماند، فقری که هرگز به استغنا بدل نمی‌شود و حرصی که سیری نمی‌پذیرد» تا آنجا که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در مورد ایشان فرمود: «بندهٔ دینار، بندهٔ درهم و بندهٔ جامه هلاک شد؛ [چنین کسی] نابود و سرنگون شد و اگر خاری در او بهلد درمان نیابد؛ اگر به او عطا شود راضی است و اگر عطا نشود خشمگین می‌شود؛ خوشا بحال بنده‌ای-یا مردی- که غبارآلود و ژولیده، افسار اسبش را در راه خدا بدست

گرفته و برایش فرقی ندارد که در ساقهٔ لشکر است و یا نگهبان آن؛ خوشا بحالش، خوشا بحالش.» این طایفهٔ [صوفیان] این سخن را شنیدند و به اِسقاط علایق و ترک دلبستگی به اسبابِ مانع[راه حق] پرداختند و همتشان را تنها به خدا معطوف کردند؛ چنین چیزی محقق نمی‌شود مگر برای کسی که در دنیا از لذت خوردنی‌ها و پوشیدنی‌ها و زناشویی‌ها و خانه و دیار و مال‌اندوزی چشم پوشیده باشد و به این سخن پیامبر صلی الله علیه و سلَّم رسیده باشد که[از جانب خدا] فرمود: «آنگاه که بنده‌ای از همه چیز ببرد و به من روی کند، آسمان‌ها و زمین رزقش را تضمین می‌کنند و من برای او از تجارت هر تاجری بهتر هستم.» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هرکس همت خود را صرفاً به خدا معطوف کند، خداوند در هر اندوهی برای او برون‌شدی و در هر تنگنایی راهِ خروجی قرار می‌دهد و دنیا علی رغم میلش[=دنیا] به او روی می‌کند و هرکس پراکنده خاطر شود خداوند کار و پیشه‌اش را بی‌رونق می‌سازد و فقر را در مقابلش می‌دارد و از دنیا جز آنچه از پیش برایش مقدر شده برخوردارش نمی‌سازد و اعتنایی به آنکه در کجا هلاک می‌شود نمی‌کند.» ما کسانی هستیم که بر اثرِ فقرای مهاجر روانه شدیم و آراستگی به صفات ایشان را خواستار شدیم تا رضایت رب العالمین را کسب کنیم. به ایثار معتقد شدیم زیرا این صفت متقیانِ انصار بود و گرسنگی را پیرو پیامبران برگزیدیم و شکم‌ها را خالی نگاه داشتیم تا به راه صدیقان رفته باشیم و همچون مهذبین بدن‌ها را عریان داشتیم و به شوق پروردگار جهانیان نسبت به دنیا زهد ورزیدیم و شهوات را ترک کردیم تا به هم‌قدمِ اولین و آخرین [افراد این راه] باشیم و همچون مشتاقان، برای او جامهٔ محبت پوشیدیم[۱] و به اقتدای أهل انفاق عبا به تن کردیم و به پیروی از[...]اهلِ بهشت و مومن، لباس مرقع

---

۱. در متن «تلبسنا له بالمحبة» است که با توجه به قراین باید «لبسنا له بالمحبة» باشد.

به بر کردیم و شبها را برای مناجات با خدای بزرگ بیدار ماندیم و با خداوند همان کردیم که أهل تحقیق می‌کنند و به پروردگار جهانیان اکتفا کرده و توکل کردیم و بر صفتِ أهل رضا جامهٔ ولایت پوشیدیم و با سلاح أهل تقوی در جهاد اکبر با دشمن جنگیدیم و در طلب رضای او و به شوق لقای او و در طمع نگریستن به وجه روشن و نورانی‌اش که آسمانها نورش را از آن گرفته، عبادت را برایش خالص کردیم. پس ای برادران به میدان أهل ولایت درآیید و در عرصهٔ عاملان أهل اراده و پیروان راه رسالت و به پا دارندگان صفات حقیقت و داعیان به زبان معرفت و کسانی که با موعظه از [راه] خدا خبر می‌دهند و با حقایق ولایت حق را ثنا می‌گویند وارد شوید.

فصلی دیگر

ای که خدا توفیقت دهاد! بدان که همهٔ فرقه‌ها وقتی اراده‌شان متزلزل شد و بیم و ترس آنها را گرفتار کرد به ما[=صوفیه] پناه می‌آورند و در پی ما روانه می‌شوند و قصد می‌کنند که احوال و اخلاق ما را کسب کنند؛ ما را واسطهٔ رجوعِ خود به خدا می‌کنند و این را وسیلهٔ نجات و رستگاری نزد خدا می‌سازند و به برخی اوصاف ما متمایل می‌شوند و از آن تبعیت می‌کنند؛ به راه ما می‌آیند و حقایقِ ما را آشکار می‌کنند و جامهٔ افعالِ ما را می‌پوشند و اوقاتی را که در این راه صرف می‌کنند وسیلهٔ نیل به رضای الهی و نجات از عذابش قرار می‌دهند.

فصلی دیگر

و بدان که هرکس در ابتدا با ما ننشست و برای [نیل به] حالِ مقاصدش خدمت ما نکرد و یا به وقتی که خدمت ما می‌کرد قدرِ اوقاتش را ندانست، او

را عزم و اراده‌ای نیست[1]. من نزد امام الدنیا ابوالعباس بن سریج بودم و فقهایی از شیراز - از فقهای شافعی و مالکی و حنفی و اصحاب حدیث- و همچنین مشایخ بزرگی چون ابوعلی اشعری و اصحابش نیز حاضر بودند؛ وقتی مجلس شیخ ابوالعباس پایان یافت، بحرانی بلند شد و گفت: «ای قاضی مرا سوالی است؛ ابوالعباس گفت: بیان کن؛ بحرانی گفت: «شبان چه موقع با عصای مراقبتش، گوسفندان را از مراتعِ هلاکت نجات می‌دهد؟ ابوالعباس بالبداهه گفت: وقتی بداند که کسی مراقب اوست[2] سپس گفت: ای شیخ این علم[=تصوف؟]، علمی شریف است و مجلسِ خاص خود را می‌طلبد؛ و روزی ما نزدِ ابوالقاسم جنید و ابن محمد رویم بودیم و با آنها بحث می‌کردیم واقعه‌ای پیش آمد و گروهی [از نزد آنها] خارج شدند و از آن زمان صوفیه صاحب شأن و ارج شدند و باقی حدیث.»حکیمی در مسجد جامع بود و فقهایی دیگر مثل ابن حمدان بن عمر و ابوالحسین الکسا و ابن قیراط نیز حضور داشتند؛ من نیز در این جمع حاضر شدم؛ بحثی از صوفیه به میان آمد؛ [حکیمی] گفت: «ما انسان نشدیم مگر از برکت مجالست با صوفیه و ادب نیاموختیم مگر از ایشان و من برای خود بخاطر آنچه از ایشان بر من فوت شد تاسف می‌خورم.» شیوهٔ ابوعبدالله بن مبارک چنین بود که سالش را به سه بخشِ چهارماهه تقسیم می‌کرد:چهارماه به تجارت، چهار ماه به جهاد و چهار ماه به حج می‌پرداخت اما همهٔ آنها را ترک کرد و دو سال[پایان عمر] خود را وقف عبادت کرد؛ هنگامی که از دنیا رفت او را به خواب دیدم و گفتم: «ای

---

۱. ترجمه: «فلیس له قدم»

۲. این سوال و جواب: «متی یهش الرّاعی غنمه بعصاء الرعایة عن مراتع الهلکة؟ فاجابهُ فی البدیهة فقال: اذا علم انَّ علیه رقیبٌ» سوال و جوابی مشهور است و در بسیاری از کتاب‌های بعدیِ صوفیه از قولِ ابن خفیف نقل شده است؛ معنای: «اذا علم ان علیه رقیباً» و ارتباط آن با صدر و ذیل کلام تا حدی به نظر مبهم می‌رسد.

عبدالرحمان خداوند با تو چه کرد؟ گفت: اگر آن دو سال نبود، من هیچ بودم.» پس اگر در این کتاب نامِ فردی از أهل حدیث و فقه هم برده شده تنها بدان سبب بود که وی برخی از صفات ما [صوفیان] را اخذ کرده بود و مراعات احوالی که ما بدان مشغولیم می‌کرد و در اندیشهٔ مأخذ و منشأ [تعالیم] ما بود و به برخی صفات ما علاقه‌مند بود و جامهٔ افعال ما به تن می‌کرد. آیا آیات و معجزات جز برای ما و آنان که احوال ما را اخذ کرده‌اند حاصل شده؟ آیا [کراماتی چون] طی الارض و راه رفتن بر آب و پوشیده شدنِ خودخواسته از چشمِ خلق جز در مورد ما اتفاق افتاده است؟ و بدان که هرکس از ما برید بی تردید به رخصت [و سستی] و دنیاطلبی بازگشته است و [بریدنش از ما دلیل ندارد جز] آنکه نتوانسته چون ما ایستادگی کند و قدر اوقات از دست‌رفته را که باید برای خدا صرف می‌شد ندانسته است و چنین فردی مصداق این سخن پیامبر صلی الله علیه و سلَّم است که فرمود: «برای هر عاملی دوران پر نشاطی است اما هر دوران پر نشاطی نیز گرفتار سستی می‌گردد؛ هرکس سستی‌اش موافق با سنت من باشد نجات می‌یابد و الا هلاک می‌شود» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم أهل سستی را بر مسیر هلاک توصیف کرد مگر کسی که به سنت چنگ زند و کارش به بدعت و میل به دنیا از سرِ حرص نکشد.

فصلی دیگر

پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چنین از صفات ایشان[= أهل فقر] خبر داد و اینگونه احوالشان را وصف کرد: «بندگانِ برگزیدهٔ خدا، گم‌نام و متقی‌اند؛ آنان کسانی‌اند که وقتی در جایی نباشند کسی سراغشان نمی‌گیرد و اگر در جایی حاضر باشند کسی آنها را نمی‌شناسد؛ دل‌های ایشان کلیدِ تاریکی است و اگر نورشان را بین همهٔ أهل زمین قسمت کنند، همه را فرا می‌گیرد.» من در آغاز، برخی از صفات [صوفیان] را برشمردم و خصائل ایشان از قبیل عبادات جمیل و شدت مجاهدات و اختصاصاتی که آنها را از سایر بندگان متمایز کرده بیان

کردم. روایت شده: «کسی گفت من با مغنم بن سلیمان در کشتی نشسته بودم؛ من گفتم: خدا تو را رحمت کناد! عبادت پدرت چگونه بود؟ مغنم به من گفت: چرا می‌پرسی؟ گفتم: شاید خداوند مرا با این سوال نفعی رساند. به من گفت: پدرم چهل سال نماز صبح را با وضوی نماز عشای شبِ پیش می‌خواند. من به او نزدیک‌تر شدم و مغنم به من گفت: می‌دانی روش پدرم راجع به خواب چه بود؟ گفتم: نه گفت: روشش این بود آنگاه تجدید وضو کند که قلبش به خواب رفته باشد و [این یعنی] چهل سال قلب پدرم به خواب نرفت.» عبدالرحمان مقری گفت: «ابراهیم بن ادهم بر روی کوهی از کوه‌های مکه با اصحابش سخن می‌گفت و از آن جمله گفت: مردی از اولیای خدا به کوه گفت: بجنب و کوه جنبیدن گرفت؛ راوی گفت: در همین لحظه کوه در زیر پایش به حرکت آمد؛ راوی گفت: ابراهیم پایش را به کوه زد و گفت: ساکن باش من صرفاً برای اصحابم مثال زدم»؛ و این ابراهیم مردی است که هیچ‌کس در امت محمد صلی الله علیه و سلَّم در زهد و ورعش و اینکه به رسمِ صوفیه دارایی‌هایش را رها کرد تردید نکرد. ابن شعیب روایت کرد: «من با ابراهیم ادهم در راه مکه بودم که ناگهان حیوان درنده‌ای در مقابل مردم ظاهر شد، ابراهیم نزدیک او رفت و گوشش را مالید و با پا به او لگد زد و به آن حیوان گفت: از راه کنار برو؛ آن حیوان نیز با ناله روی گردان شد؛ من گفتم: ای ابواسحاق نامِ ما را بلند کردی؛ ابراهیم گفت: ساکت باش اگر بیمِ شهرت نبود او زاد و توشهٔ ما را تا مکه حمل می‌کرد.» این احوال و کرامات بجز برای منسوبین به صوفیه رخ نداده است زیرا آنها گروهی‌اند که عبودیت را برای کسب رضای الهی تحمل کردند و این چیزی بود که سایر امت از آن عاجز بودند. [سفیان] ثوری از اعمش روایت می‌کند: «ابراهیم التیمی گفت: گاه بر من یک ماه یا چهل روز می‌گذرد و من چیزی نخورده‌ام مگر آب؛ آن هم یک جرعه؛ ثوری گوید: به اعمش گفتم: آیا حرفش را باور می‌کنی؟ اعمش گفت: وای بر تو! اگر می‌گفت: من دیشب از آسمان فرود آمدم نیز باور می‌کردم؛ وای

بر تو ای سفیان، او ابراهیم التیمی است.»

ابومحمد عبدالله بن فضل گفت: «ابوعبدالله القاضی الحاملی از قولِ پدرش گفت: در بغداد مرا دوستی تاجر بود که بسیار ذمِ صوفیان می‌کرد تا آنکه بعد از مدتی دیدم که مصاحبِ آنان شده و همهٔ مالش را بر ایشان خرج کرده است. به او گفتم: آیا تو همان نبودی که ایشان را دشمن می‌داشتی؟ آن مرد تاجر گفت: کار آنچنان که من می‌پنداشتم نبود. گفتم: چگونه چنین شد؟ گفت: روز جمعه [در بغداد] نمازبگذاردم و از مسجد خارج شدم که ناگهان چشمم به بشربن حارث حافی افتاد که به سرعت از مسجد خارج می‌شد؛ به خودم گفتم: به این مردِ موصوف به زهد نگاه کن که چگونه نمی‌تواند در مسجد قرار گیرد [و به سرعت آن را ترک می‌کند]. بعد کاری که داشتم ترک کردم و به خودم گفتم باید ببینم به کجا می‌رود و به دنبالش راه افتادم. دیدم که به نانوایی رفت و به یک درهم نان خرید؛ به خودم گفتم: این مرد را بنگر که مشغول خرید نان است [و برای آن عجله داشت.] پس از آن به گوشت‌فروشی رفت و یک درهم داد و گوشت خرید و این خشم مرا بیشتر کرد. و بعد از آن به حلوافروشی شد و فالوذجی به یک درهم خرید. به خودم گفتم: به خدا از تعقیبش دست بر نمی‌دارم تا آنکه بنشیند و آنچه خریده بخورد. پس بشر به سمت صحرا رفت و من به خودم گفتم: [لابد] در پیِ آب و سبزه است[تا آنجا خوراکش را بخورد]. پس تا عصر به راهش ادامه داد و من از پی او بودم. پس از مدتی به روستایی وارد شد و در روستا مسجدی بود که در آن مردی مریض نشسته بود. پس بشر نزدیک سرِ مریض نشست و شروع کرد لقمه لقمه به او غذا داد. من بلند شدم و رفتم تا نگاهی به باقی روستا بیندازم؛ یک ساعت کارم طول کشید و وقتی بازگشتم به مرد بیمار گفتم: بشر کجا رفت؟ گفت: به بغداد بازگشت. از او پرسیدم: از اینجا تا بغداد چه مقدار راه است؟ گفت: چهل فرسخ. گفتم: انالله و انا الیه راجعون با خودم چه کردم! پولی با خود نیاوردم که [مرکبی] کرایه کنم و خودم هم طاقت پیاده رفتن ندارم. مرد بیمار

به من گفت: بنشین تا بشر بازگردد. من تا جمعهٔ بعد به انتظار بشر نشستم. بشر در روز جمعه آمد و با خود چیزهایی آورده بود که مریض بخورد. وقتی کارش تمام شد، بیمار به بشر گفت: ای ابونصر این مردی است که از بغداد در پی تو آمده است و از جمعهٔ پیش تاکنون نزد من بوده است؛ او را بـه جـای خـودش برگردان. بشر با خشم به من نگریست و گفت: بـرای چـه از پـی مـن بـودی؟ گفتم: خطا کردم؛ گفت: پس برخیز و به راه بیافت. پس به تـا نزدیـک مغـرب پیاده آمدیم؛ آنگاه بشر به من گفت: محلـه‌ات در بغـداد کـدام اسـت؟ گفـتم: فلان جا؛ گفت: برو و برنگرد. [پس از آن روز] من به سوی خدا توبـه کـردم و مصاحب آنان شدم و من اکنون بر طریق ایشانم» این حکایـت چنـین بـود یـا چیزی شبیه این. این چنین احوالی در مورد بشر بن حارث مقرون بـه صـحت است و شواهدش موجود و احوالش محقق است.

محمدبن هیثم گفت: «در دوران طفولیت من به نزد خواهر بشر می‌رفـتم و برخی حوایجشان را بجا می‌آوردم؛ خواهر بشر روزی به من کلافـی از نـخ داد گفت: برو و این کلاف را بفروش [و با پولش] نان و مـاهی بخـر. [مـن چنـین کردم و در خانه بودیم که] بشر داخل شد و نان و ماهی را دید؛ پس بشر گفت: این چیست؟ خواهرش گفت: مادرمان را در خواب دیدم و به مـن گفـت: اگـر شادی و سرور مرا می‌طلبی، بخشی از ریسمانت را بفروش و نان و ماهی بخر زیرا برادرت بدان‌ها سخت مشتاق است. پس وقتی از مادرمان یاد کردم، بشـر گریه کرد و گفت: خدایش رحمت کناد! در حیات و ممات غم مرا مـی‌خـورد. بشر گفت: من از بیست و پنج سال پیش از اندیشهٔ اینکه به چیزی بازگردم کـه برای خدا ترک کرده بودم، اشتیاقی به آنها نداشتم. و گفت: رنگِ رخسـار بشـر تغییر کرده است به او گفتم: چه شده کـه رنگـت تغییـر کـرده اسـت؟ گفـت: [هیچ]، سلامتم؛ گفتم: بخاطر خدا بگو: گفت: من چهل روز اسـت کـه گِـلِ صحرا می‌خورم زیرا در بغداد خوراکی [حـلال؟] بـرای مـن پیـدا نمـی‌شـود؛ [عادت غذایی] شکمم عوض شده و بدین سبب رنگ رخسارم نیز تغییر کـرده

است.» این حکایت چنین بود یا چیزی شبیه این؛ کسی منکر سخنان آنها نشده است زیرا آنها امنیانِ دین و مراعیان اوصاف متقین بودند. همچنین خواهر بشر روزی نزد احمد بن حنبل رفت گفت: «سوالی دارم: ما گروهی هستیم که کارمان ریسیدن نخ در شب است و معاشمان از این طریق است؛ گاه می‌شود که [نور] مشعل‌های [گزمه‌های] علی بن طاهر، والی بغداد، بر ما می‌افتد و ما بر بام در نور آن مشعل‌ها مشغول ریسیدن هستیم؛ آیا این نخ‌ها را حلال بدانیم یا حرام؟ احمد بن حنبل گفت: تو کیستی؟ گفت: خواهر بشر؛ احمد گفت: آه ای آلِ بشر! خدا کند که شما را از دست ندهم زیرا همواره ندای ورعِ راستین را از جانبِ شما می‌شنوم؛ [به وقت افتادن نور] دست از ریسیدن بکشید.» یوسف بن اسباط گفت: «از ابراهیم بن ادهم شنیدم که می‌گفت: روزی در بیابانی بودم که سنگی مرا صدا کرد و گفت: مرا برگردان و عبرت بگیر؛ سنگ را برگرداندم و دیدم که بر آن نوشته شده: ای فرزندِ آدم تو به آنچه می‌دانی عمل نمی‌کنی پس چگونه در طلبِ دانستن چیزهایی هستی که نمی‌دانی!» پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از صفت این قوم چنین خبر داده است: «غبطه‌برانگیزترینِ دوستانم نزد من، فرد مومنی است که حاجتش اندک است و از نماز شب بهره دارد و به نیکی پروردگارش را در خفا عبادت می‌کند و در بین مردم مشهور و انگشت‌نما نیست و آنچه به ارث می‌گذارد ناچیز و جان‌دادنش سریع است و اندکی بر نعشش گریه می‌کنند.» آیا چنین صفاتی جز در صوفیه یافت می‌شود؟ و آیا چنین اعمال و افعال والا و نشانه‌های ارجمندی جز از آنها سر زده است؟ صوفیه کسانی‌اند که خداوند ورع را خصلتشان و زهد را مرکبشان و توکل را تکیه‌گاهشان و رضایت را اقامتگاهشان قرار داده است؛ آنها عبادتشان از روی یقین و بطور نهانی است و آرزویشان ادای فرایض و گزاردن سنت و نوافل است؛ برای خدا اندرز می‌دهند و أهل ایثار و بخشش‌اند؛ از دنیا و أهل آن و دنیا داران فراری‌اندی اما اوقاتشان با انس با عامهٔ مردم سپری می‌شود؛ آسایششان در مناجات‌های طولانی است؛

مستغنی‌اند چون به خدا تکیه دارند و فقرشان تنها نسبت بـه اوسـت؛ خداونـد راهنما و پیشران آنهاست.

ابوطیب واسطی از قولِ ابوحاتم رازی از قولِ ابوبشر مصری از قولِ ابراهیم بن شبیة عبدی روایت کرد: «حبیب ابن محمد الفارسی را دیدم که روزی هزار رکعت نماز می‌گزارد.» ابوطیب النعم بن احمد الواسطی از قولِ ابوحاتم رازی از قول آدم بن ابی ایاس عسقلانی از قولِ حمزة از قول بیبرس بن یحیی گفت: «حبیب بن محمد فارسی در روز ترویه[= هشتم ذی‌حجـه] در بصـره بـود در روز عرفه[=نهم ذی‌حجه] در عرفه[=صحرایی اطراف مکه] دیده شـد.» بـدان ای که خدا توفیقت دهاد! اگر حق[سبحانه و تعالی] به أهـل معاملـه و تحقیـق اجازه می‌داد که صفاتِ وجودشان را برملا کنند و از اوصاف و اسراری که خدا به سبب مقامشان در اختیارشان گذاشته دیگران را خبر کنند و از مناجات شبان و روزانشان و اینکه خداوند چگونه به اجابتِ ایشان مـی‌شـتابد اطـلاع دهنـد، منکرِ آنها می‌دانست که تا چه اندازه از بهترینِ مردم دور افتاده است. محمدبن منصور از قول ابوعمر گفت: «فتح موصلی در راهی می‌رفت و نمی‌دانست که کسی پشت سر اوست، من شنیدم که می‌گفـت: خـدایا تـا کـی مـرا در راه‌هـا سرگردان می‌سازی آیا زمان آن نرسـیده کـه حبیـب، [روی] حبیـبش را ببینـد؟ [پس از این مناجات] یک جمعه بیشتر زنده نماند -یا در این حدود- و از دنیا رفت.» محمد بن منصور گوید: «از معاقا بن عمران پرسیدم: آیا فتح موصـلی فقیه بود؟ گفت: ترک دنیا ناشی از فقه[=فهم یا دانش فقهی] او بـود.» گوینـد: فتح موصلی به اسهال دچار شد، زنی او را خـدمت مـی‌کـرد، ایـن زن گفـت: [روزی] نماز مغرب را خواندم و به خودم گفتم: نماز را سریع به جـا بیـاورم و نـزدش بـروم شـاید بـه طشـت نیـاز داشـته باشـد؛ در ایـن هنگـام جـوانی سفید[پوش؟] به نزد فتح آمد تا نیمهٔ شب نزدش بنشست. زن گویـد: مـن نیـز [پشت در] در آمد و شد بودم و نگران شکم او بودم؛ در نیمـهٔ شـب آن جـوان رفت و من داخل اتاق شـدم و گفـتم: ایـن مـرد کـه بـود کـه انقـدر طـول داد

درحالیکه من در غم تو بودم؟ فتح خندید و گفت: تو او را دیدی؟ گفتم: بلی؛ گفت [پس] تو زن صالحی هستی، او خضر بود برای سلام نزد مـن آمـد و بـه من خبر داد که مرگ من به شـب جمعـه خواهـد بـود و گفـت: مـن در فـلان گورستان بر جنازۀ تو حاضر می‌شوم؛ پس فتح شب جمعه درگذشت و مـا او را در همان گورستان دفن کردیم اما جنازۀ نیمـه‌جـانش [گـور را] شـکافت(؟) و دوباره بعد از نماز عشا دفن شد و بعد از ظهرِ جمعه [روحـش] بـه بـالا بـرده شد»؛ رحت خدا بر او باد. همچنین احمدبن بشر از قولِ فتح موصـلی رحمـة الله علیه گفت: «اگر به دنیا از سرِ شهوت بنگرم، دیدگانم کم‌نـور مـی‌شـود.» جنید نیز گوید: «[بـه کسـی] گفـتم: احسـاس مـی‌کـنم در دنیـا غـریبم! آیـا جوانمردی در این دنیا نیست که به دیدارم بیاید؟ [آن فرد] گفـت: بلـی کسـی هسـت کـه از [قبیلـۀ] اَزُد و از ابـدالِ [شـهر] موصـل اسـت و [مـردم] چنـین می‌پندارند که او بر روی آب راه می‌رود.» رباح بن الجراح گوید: «بـه او خبـر رسید که فتح موصلی تنگ‌دست است، پس هزار درهم بـرایش فرسـتاد؛ فـتح گفت: این پول را به رباح بازگردانید زیرا ما چنین فرمان یـافتیم: «وَأْمُـرْ أَهْلَـكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـأَلُكَ رِزْقًـا نَحْـنُ نَرْزُقُـكَ وَالْعَاقِبَـةُ لِلتَّقْـوَى (۲۰ :۱۳۲)» محمد بن ولید گوید: «ابوالیمان بصری که شیخی فاضل بود و با فتح پیمان برادری بسته بود به من گفت: روزی من و فتح در شـطی مشـغول صـید ماهی بودیم و هرکدام از ما قرقرۀ[۱] را انداخته بود؛ فتح بعد از انداختن قرقره بـه نماز مشغول شد و من نیز در بین خواب و بیداری بودم که دیدم در حالیکه فتح نماز می‌خواند، مردی بلند قامت، خوش‌چهره با موی و ریش سپید بـر آب راه می‌رود سپس بی آنکه جامه‌اش خیس شود به سوی فتح آمد و او را در آغـوش گرفت و در کنارش نشست [و بعد از مدتی] همانطور که آمده بـود بازگشـت؛

---

۱. متن: «يلقي كل واحد منا حرحرته» معنای «حرحرة» یافت نشد اما با توجه به بافت بی تردیـد نوعی ابزار صید ماهی است و شاید صورتی دیگر از «قرقره» باشد.

من برخواستم و گفتم: ای ابامحمد امر شگفتی از این شیخ دیدم؛ گفت: ای ابوالیمان بلند شو و او را بنگر، گفتم: نگریستم، او کیست؟ گفت: او خضر است و افزود ای ابوالیمان به حرمتی[که بین من و تو است] تا وقتی من زنده‌ام از این ماجرا سخن مگو که من از فتنهٔ آن بیم دارم؛ ابوالیمان گفت: تا فتح زنده بود من از این ماجرا سخن نگفتم.» محمدبن هیثم گفت: «معروف کرخی بیمار شد؛ من به دیدارش رفتم و وقتی برخاستم به من گفت: به نزد ابونصر بشر برو و سلام مرا برسان و بگو: نزد من بیاید؛ پس نزد بشر رفتم و گفتم: معروف سلام می‌رساند و می‌گوید: نزد من بیا؛ بشر گفت: تا پیش از پگاه فردا به دیدارش می‌روم ان شاالله. به خودم گفتم: نزدیک او می‌مانم تا ببینم بین آنها چه رخ می‌دهد. پس به مسجدی بسته[1] نزدیک خانهٔ بشر رفتم و نماز ظهر و عصر و مغرب و عشا را بجا آوردم اما بشر از خانه بیرون نرفت؛ نور ماه و ستارگان در دجله افتاد و پاسبانان شب بیرون آمدند و من همان‌طور در مسجد بودم؛ پاره‌ای از شب گذشته بود که بشر با جانمازی از حصیر از خانه خارج شد؛ آن را بر دجله انداخت و من او را نگاه می‌کردم تا آنکه بر آب رفت و به سمت دیگر سیر کرد؛ من نشستم و خواب از من ربوده شده بود؛ به وقت سحر دیدم که بر آب می‌آید؛ وقتی از آب بیرون آمد من خودم را به پایش انداختم؛ گفت: تو کیستی؟ من به پایش آویختم و گفتم: بخاطر خدا مرا نزد خدا دعا کن؛ گفت: چنین می‌کنم اما تو نیز به خاطر خدا تا من زنده‌ام کسی را از این قضیه با خبر نکن. گفتم و شهادت دادم که من این قضیه را نزد خودم نگاه می‌دارم؛ پس مرا دعا کرد و به خانه وارد شد و من همچنان بجا ماندم. یا چیزی شبیه این.»

و بدان ای که خدا توفیقت دهاد! که وقتی گروهی از عمل به آنچه

---

۱. در متن: «مسجد مغلق» است.

آموخته‌اند دست بردارند، ناسازگاری و جدایی ایجاد می‌شود وگرنه عالمان[حدیث] و فقه نیز می‌توانستند احوال و صفات ما[صوفیان] را داشته باشند. گفته شده: «از حسن ابن ابوالحسن بصری رحمت الله علیه پرسیده شد: چرا فقیهان با تو مخالفت می‌کنند؟ حسن بصری به پرسشگر گفت: دستانت تهی باد! آیا گمان می‌کنی فقیهانی که مشاهده کرده‌ای فقیه حقیقی‌اند؟ فقیه حقیقی کسی است که نسبت به دنیا زاهد [و بی‌میل] باشد و رغبتش صرفاً در آخرت باشد.» این سخن حسن بصری نشان می‌دهد که گروه[فقیهان] از گذشته تا اکنون به همین وصفِ[زهد به دنیا و رغبت به آخرت] شناخته می‌شدند اما اتفاقات بگونه‌ای رقم خورد که برخی از آنها به رفت‌وآمد با سلاطین و قبول صله و پاداش از آنها مبتلا شدند و به سلاطین در اجرای خواسته‌هایشان کمک کردند؛ از این زمان به بعد حالشان پریشان شد و أهل تحقیقشان از متمولانشان جدا شدند همچنان که قبول کنندگان[صلات و جوایز سلاطین] از ترک‌کنندگان متمایز شدند و زاهدین از راغبین بازشناسی شدند. وقتی که عالمان دست از معامله [و زهد و ریاضت] بشویند و روی به تأویلات بیاورند - همچنانکه این بلا بر سرِ ما [صوفیان] نیز آمد، دو دسته‌گی ایجاد می‌شود. [حتی در صورتی که دیگر گروه‌ها] احوالشان مقرون به صحت باشد، باز هم ما [صوفیان] بواسطهٔ اعمالمان و واکنشی که در مقابل بلاها از خود بروز می‌دهیم بر آنها ارحجیت داریم. از محمدبن کثیر نقل شده: «روزی فتح موصلی گرفتار سردرد شدیدی شد؛ پس روی به قبله آورد و گفت: حمد مخصوص توست ای خدا که چون منی را به همان بلایی که انبیا بدان مبتلا شدند، مبتلا کردی [به شکرِ این بلا] امروز پانصد رکعت نماز برای تو خواهم خواهند.» چنین احوالی را جز نزد صوفیه نخواهی یافت و راه‌های رفتن به سوی حق جز نزد ایشان و در میان ایشان شناخته نمی‌شود. ابوالحسین درّاج صوفی رحت الله علیه گفت: «من مشغول حج بودم که گرفتار جماعتی شدم که می‌خواستند مصاحب من باشند و نیاز بود که با ایشان نشست و برخاست

کنم و بدیشان مشغول باشم و یک سال از سالهایم ضایع شود؛ گفت: بدین سبب به سوی قادسیه رفتم و به مسجدی وارد شدم؛ در آن مسجد مردی در محراب بود که جذام داشت و گرفتار بلای شدیدی شده بود؛ وقتی مرا دید سلام کرد و گفت: ای ابوالحسین عزمِ حج داری؟ با خشم و کراهت به او گفتم: بلی؛ گفت: آیا می‌توانم مصاحب تو باشم؟ به خودم گفتم: من از جمعیتی سالم گریختم و حالا گرفتار یک جذامی شدم؛ گفتم: نه؛ مرد جذامی به من گفت: مرا مصاحب خویش کن؛ گفتم: به خدا سوگند چنین نمی‌کنم؛ به من گفت: ای ابوالحسین [گاه] خداوند با ضعیف چنان می‌کند که قوی از آن متعجب می‌شود؛ با انکار گفتم: بله درست است. ابوالحسین گفت: او را ترک گفتم و بعد از اقامهٔ نماز عصر به سمت ناحیهٔ مغیبه پیاده راه افتادم و فردا ظهر به آنجا رسیدم؛ وقتی وارد مسجد آنجا شدم همان شیخ را دیدم؛ به من سلام کرد و گفت: ای ابوالحسین [گاه] خداوند با ضعیف چنان می‌کند که قوی از آن متعجب می‌شود؛ ابوالحسین گفت: در کارِ او بحالتی شبیه وسواس افتادم و دیگر آنجا ننشستم و [به سوی قادسیه] دوان شدم و به هنگام صبح رسیدم و داخل مسجد شدم که دوباره شیخ را دیدم و به من گفت: ای ابوالحسین [گاه] خداوند با ضعیف چنان می‌کند که قوی از آن متعجب می‌شود؛ این‌بار به سمتش رفتم و صورتم را بین دستانش گذاشتم و گفتم: از خداوند و از تو عذر می‌طلبم؛ به من گفت: چه شده؟ گفتم: خطا کردم؛ گفت: در چه مورد؟ گفتم: اینکه درخواست همراهیت را رد کردم؛ گفت: آیا قسم نخوردی که مرا مصاحب خود نمی‌کنی؟ من خوش ندارم باعث شکستن سوگندت شوم؛ گفتم: آخر تو را در هر منزلی می‌بینم؛ گفت: هرچه تو بخواهی؛ گرسنگی و خستگی از من برخاست؛ همت من صرفاً این شده بود که به هر منزل که می‌رسم او را آنجا ببینم تا آنکه به مدینه رسیدیم و در آنجا از من غایب شد و دیگر او را ندیدم؛ وقتی به مکه رسیدم به محضر ابوبکر کتانی و ابوالحسن مزین و افراد هم‌طبقهٔ آنها رسیدم و ماجرا را برایشان تعریف کردم؛

آنها گفتند: ای احمق! او ابوجعفر مجذوم بوده است؛ ما از خدا به دعا می‌خواهیم که او را ببینیم؛ گفتم: که اینطور؛ گفتند: اگر مجدداً او را دیدی به او بپیوند شاید [بدین واسطه] ما هم او را دیدیم؛ گفتم: باشد؛ تا وقتی که به منا و عرفات رفتم او را ندیدم اما در روز جمره مشغول انداختن ریگ‌ها بودم که ناگهان فردی مرا کشید و گفت: ای ابوالحسین سلام بر تو باد؛ با دیدنش به من حالی دست داد که غش کردم و به زمین افتادم و او رفت؛ به مسجد خیف آمدم و یارانم را از این واقعه باخبر کردم؛ هنگام وداع دو رکعت نماز پشت مقام[ابراهیم] خواندم و دستانم را بلند کردم که ناگهان فردی مرا کشید و گفت: ای ابوالحسین می‌خواهی [با دیدن من] فریاد بکشی؟ گفتم: نه فقط می‌خواهم که مرا نزد خدا دعا کنی؛ گفت: آنچه می‌خواهی درخواست کن؛ من از خدا سه چیز را خواستم و او دعاهای مرا آمین گفت و رفت و دیگر او را ندیدم»؛ به من[= ابن خفیف] گفته شد که از ابوالحسین بپرس دعاهایش چه بوده است؟ من از او پرسیدم؛ به گریه افتاد و گفت: «اول آنکه گفتم: ای خدا فقر را برای من دوست‌داشتنی کن و اکنون در دنیا چیزی بیشتر از آن را دوست ندارم؛ دوم آنکه گفتم: خدایا مرا از آن افرادی قرار مده که شب در حالتی به خواب روم که چیزی [برای فردا] ذخیره کرده باشم و از آن زمان یکسال است که هیچ چیز برای ذخیره کردن ندارم؛ و سوم گفتم: خدایا اگر به اولیایت اجازه می‌دهی که به تو نظر کنند مرا نیز از جملۀ آنان کن و چشمِ امید دارم که انشاء الله به این خواسته نیز برسم»؛ چنین گفت یا چیزی شبیه به این.

آنچه گفتم گوشه‌ای از صفات این گروه[صوفیه]بود که به اختصار و بدون پرگویی بیان شد. منت و حمد مخصوص خداست و درود و سلام خدا بر محمد و خاندانش.

ترجمهٔ رسالهٔ الاقتصاد[1]

بسم الله الرحمان الرحیم
خداوندا آسان گیر و یاری رسان

حمد خدایی راست که با ثناگفتن بر خویش، خود را حمد می‌گوید و به واسطهٔ اسماء و صفاتش خود را به مخلوقات می‌شناساند و به واسطهٔ زیباییِ نعمات و موهباتی که به بندگانش می‌بخشد، خود را نزد ایشان محبوب می‌کند. خدایی که بندگانش را فرا می‌خواند که هیچ ضد و همتایی برایِ او نشناسند تا به [کمال] توحید او برسند. حمد برای خدایی است که با لطف هدایتش هر که را بخواهد خاص می‌کند و سینه‌های ایشان را برای پذیرش اوامر و نواهی‌اش فراخ می‌کند و ایمان به وحدانیتش را برای ایشان دلپذیر می‌کند. هم اوست که راهِ دستیابی به رضایتش را برای بندگان خاصش آسان می‌کند و از سرِ کرامت، ایشان را از گرفتار شدن به رنج عقابش بر حذر می‌دارد و آنان را از مخالفت منع می‌کند و با توفیق و حمایت خود، ایشان را در این کار یاری می‌کند و پرده‌های بخشایش خود را بر ایشان می‌افکند و با پنهان کردن لغزش‌هایشان از خودشان، بر ایشان منت می‌گذارد. و درود خدا بر آدم، بدیعِ فطرتِ او و زبانِ قدرتِ او و پیشوایِ فرشتگانش؛ آنکه او را با

---

۱. مترجم: معین کاظمی فر.

دست خویش بساخت و فرشتگان را بـه سـجدهٔ او واداشـت. و درود خـدا بـر محمد، خاتم پیامبرانش و بر اصحابِ لواءِ حمدش و بر خاندانش که به نسـبِ او مخصوص شده‌اند و بر همهٔ مهاجرین و انصار و بر امـت او در هـر شـهر و دیار.

فصل

این کتاب مختصری برای مریدان مبتدی است و در بردارندهٔ خلاصهٔ علوم متصوفه است و اینها علومی است که مریدان ناگزیر باید آنها را بدانند. من این کتاب را بر سبیلِ اختصار و نه تفصیل نوشته‌ام تا ایشان بر اصل مذهب وقـوف یابند و این را دست‌آویزی کنند تا از خلالِ اشارات لطیف و عبارات رفیـع، بـه درک مطالب گوناگونی که صوفیه کشف کرده و نوشـته‌انـد نائـل آینـد. و باللـه التوفیق.

فصل

نخستین چیزی که در آغاز راه بر مرید واجب می‌شود آن اسـت کـه قصـد [تبعیت از] حکیمی از حکمای زمانه کند. حکیمی که در دینـداری‌اش بتـوان اطمینان کرد و در خیرخواهی برای امت شـهره باشـد و بـه راه‌هـایی کـه أهـل ارادت[= سالکان] می‌پیمایندآشنا باشد و خود این راه را پیموده باشـد و بتوانـد حقیقت احوال را درک کند. [چنین حکیمی باید] عـارفی باشـد کـه در طلـب سنت‌های نبی صلی الله علیه و سلَّم است. پس [اگر چنین کسی را یافت باید] خود را تسلیم وی کند و ترک مخالفتش را اعتقاد خویش سازد و [در برابر وی] صدق را حالت خویش سازد. آن عارف نیز باید کیفیت بازگشت به سوی آقا و خالقش را به مرید بیاموزد و این عبارت است از توبه به سـوی اللـه عزوجـل. اولین [مرحلهٔ] بازگشت به سوی خدا، دستیابی به شناخت توحید او و تصدیق رسول او صلی الله علیه و سلَّم است. تحقق اثبات وحـدانیت خـدا بـه کمـالِ

اسماء و صفاتش در گروِ نفیِ اضدا و همتایان و همانندان اوست؛ چه او خدایی است که به هیچ چیز نمی‌ماند و شنوا و داناست. خدای سبحان از این مطلب چنین خبر داده است: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (۵۱:۵۶) ابن عباس رضی الله عنه گفت: «منظور از لیعبدون، لیعرفون است» در سنت نبوی حدیثی آمده است که چنین برداشتی [از یعبدون] را تایید می‌کند. ابن عباس رضی الله عنه گفت: «وقتی پیامبر صلی الله علیه و سلَّم معاذ رضی الله عنه را از جانب خود به یمن فرستاد به وی سفارش کرد که نخستین چیزی از عبادت خدای عزوجل که آنها را بدان فرامی‌خوانی، دعوت به معرفتِ خدا باشد. پس هنگامی که به معرفت دست یافتند آنگاه آنها را آگاه کن که خداوند نمازهای پنج‌گانه را بر آنها واجب کرده است.» این حدیث با تفصیل در سنت ذکر شده است. بر مرید لازم است که به صحت این مطلب اعتقادِ حقیقی و یقینی داشته باشد.

فصل

بر مرید لازم است از ترس اینکه مبادا گرفتار اختلاف و بدعت شود، ایمان و آنچه لازمهٔ آن از صحت اعتقاد است بشناسد. وی باید باور داشته باشد که آنچه ایمان نامیده می‌شود دو حال دارد: یکی از آنها موهبتی است و دیگری اکتسابی. اما در مورد ایمانی که موهبت است خدای تعالی فرموده است: «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»(۴۹:۱۷) و گفته است: «مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا»(۴۲:۵۲) و خداوند عّزوجلّ گفته است: «لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ»(۱۴:۱) بی شک منظور از این آیه این است که خداوند آنها را از ظلمات کفر به نور ایمان می‌رساند. رسول خدا صلی الله علیه و سلَّم فرموده است: «هرکه بخواهد بنده‌ای را بیند که خداوند [نور]ایمان را دلش روشن کرده باشد به حارثه نظر کند.» خداوند به واسطهٔ نور [ایمان] گشودگی

و فراخی به دلها می‌بخشد. همهٔ اینها مصداق این سخن خدای تعالی است: «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ»(۴۹:۱۷) حالت دوم ایمانی است که بر بندگان واجب شده است و در این آیه بدان اشاره شده است: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ»(۷:۱۵۸) خداوند در این آیه از مردم خواسته که ایمان آورند؛ ایمان در اینجا به معنای تصدیق است چون موضوع خطاب نزد مخاطبان معلوم بوده است. خداوند در این آیه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم را از توحید در اسماء و صفات خبر می‌دهد سپس از مردم می‌خواهد که پیامبر را در آنچه از خدای عز و جل آورده تصدیق کنند؛ و می‌دانیم که تصدیق صفت قلب است. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفت: «به من امر شده که با مردم بجنگم تا آنگاه که ایشان لا اله الا الله بر زبان آورند و اقرار کنند که من رسول الله هستم»؛ و این سهمِ زبان از ایمان است.

فصل

مرید لازم است بداند که اعمال نیز بخشی از ایمان است. همانطور که خداوند عزوجل فرموده است: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»(۲۲:۷۷) و این سهمِ جوارح از ایمان است. همهٔ اعمال چه واجب و چه نافله، مصادیقِ این آیه هستند. همهٔ اعمال را می‌توان ایمان خواند اگر از سرِ تصدیق باشد زیرا همهٔ آنها برخاسته از خضوع و فروتنی در برابرِ واحد قهار است. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم نیز به همین نکته اشاره کرد آنگاه که ابوذر از او پرسید: «ای رسول خدا، کدام یک از اعمال برتر است؟ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در پاسخ گفت: ایمان به خدا و جهاد در راه او»؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در اینجا ایمان را نوعی عمل به حساب آورد. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم همهٔ انواعِ ایمان را چنین جمع کرد: «ایمان هفتاد و اندی باب دارد که بالاترین آن شهادت دادن به لا اله الا الله

است و پایین‌ترینِ آن برداشتن چیزهای آزاردنده(مثل خاشاک) از سرِ راهِ است و حیا نیز شعبه‌ای از ایمان است.» پس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بر این صحه گذاشت که ایمان تصدیق به قلب، اقرار به زبان و عمل به جوارح است.

فصل

بر مرید لازم است که اصول دین و آنچه را رسول الله صلی الله علیه و سلَّم و جبرییل علیه السلام بر آن اتفاق کردند بداند؛ جبرییل علیه السلام از پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از ایمان پرسید؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در پاسخ گفت: «ایمان این است که به [وجودِ] خدا و فرشتگان و کتاب‌های مُنزَل، پیامبران و رستاخیز پس از مرگ و قَدَر چه خیر باشد و چه شر مومن باشی آنگاه جبرییل از اسلام پرسید؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در پاسخ گفت: شهادت دادن به لا اله الا الله و اقرار به اینکه من رسول خدایم و اقامهٔ نماز و پرداخت زکات و روزهٔ رمضان و حج خانهٔ خدا پس جبرییل پرسید: اگر من این چنین کنم، من هم مسلمانم؟ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: بلی. جبرییل دربارهٔ ایمان نیز پرسید که اگر همهٔ آنها را بجا بیاورم، مومن به حساب می‌آیم، پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: بلی. سپس جبرییل از پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از احسان پرسید. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: احسان این است که خدا را چنان عبادت کنی که گویی او را میبینی، و اگر تو او را نمی‌بینی، بی تردید او تو را می‌بیند.» سوالاتی که جبرییل مطرح کرد قابل فهم است و جواب‌ها نیز روشن است. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم همهٔ این موارد را از اعمال بنده دانست؛ اعمالی که ادای آن از بنده خواسته شده و به سبب انجام آنها جزا می‌یابد و بر اثر ترکشان عقوبت می‌یابد. سپس پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «این جبرییل به سوی شما آمده تا امر دینتان را به شما بیاموزد.» پس مومنان اکتفا کردند به آنچه پیامبر و جبرییل -که بر هر دوی آنها سلام باد- بر آن اتقاق داشتند. و این پرسش و پاسخ صورتِ

تفصیلی همان گفتهٔ مجل بود که فرمود: «ایمان هفتاد و اندی باب دارد سپس فرمودند که اسلام بر پنج چیز بنا شده است»- حدیث. سپس مرید باید توبه را بشناسد؛ توبه از مخالفت‌هایی که بعد از وارد شدن در دایرهٔ ایمان از او سر زده است. خدای تعالی فرموده است: ««یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا»(۸:۶۶) و همچنین خداوند عزّوجلّ فرمود: «وَ تُوبُوا إِلَی اللَّهِ جَمِیعًا أَیُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ»(۳۱:۲۴) خداوند در آغاز[نزول قرآن] مخاطبان را با اسم جنس[= ناس] می‌خواند مانند این آیه: «أَیُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعًا»(۷:۱۵۸) و وقتی مخاطبان واردِ دایرهٔ ایمان شده بودند آنها را به اسمِ احوال[= الذین امنوا] می‌خواند: «یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا»(۸:۶۶) پس مرید باید توبه را بشناسد، توبه، بازگشت به سوی خدای عزوجل است از همان راهی که وی از خدا دور شده است. توبهٔ هر فرد با دیگری متفاوت است زیرا هرکس به دلیلی از خداوند عزوجل دور گشته است.[1] اگر دلیل دور شدن مرید از خدا کفر و تکذیب باشد، بازگشت وی همراه با ضدِ آنها یعنی تصدیق باید باشد و اگر وی به دلیل شرک از خداوند دور شده باشد، بازگشتش همراه با توحید که ضدِ شرک است، باید باشد و اگر سبب دور شدنش جَحد باشد، بازگشتش همراه با اقرار که ضدِ جحد است باید باشد و اگر به دلیل ارتکاب گناهان از خدا دور شده باشد، توبه‌اش همراه با انجامِ طاعات که ضدِ گناهان است، باید باشد. طائفه‌ای همراه با تصدیق و توحید و اقرار و اعمال به سوی خدا برگشتند. برخی از این گناهان به دلیل فرمان هوی و یا غلبهٔ غفلت بر افرادی عارض می‌شود بی آنکه در آن گناهان مداومت و اصرار داشته باشند؛ چنین افرادی با وجود خلافی که ازشان سر زده است مستحق آنند که همچنان مومن نامیده شوند؛ خداوند عزوجل به دلیل

---

۱. در اینجا عبارتی وجود دارد که ظاهراً زاید است چه مضمونِ آن در سطر بعد عیناً تکرار شده است: «اذا کان راجعاً الی الله بالتصدیق و التوحید».

ارتکاب گناهان، نام ایشان را از جمع مومنین حذف نمی‌کند؛ و از ایشان می‌خواهد که از گناهان بازگردند. و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که بداند بر پایهٔ چه کیفیاتی افراد در حوزهٔ ایمان جای می‌گیرند و چگونه افرادی که روزی در حوزهٔ ایمان بودند، از آن خارج می‌شوند. بدان که خدای عزوجل سه گروه از مردم را برشمرد: کافرِ مشرک، منافقِ مقر و مومنِ گناهکار؛ [و کیفیت توبهٔ هرکدام را جداگانه بیان کرد]. خداوند عزوجل توبهٔ کافر را همراه با ایمان آوردن ذکر کرد و توبهٔ منافق را همراه با اخلاص، آورد و توبهٔ گناهکار را همراه با صلاح، یاد کرد. دربارهٔ توبهٔ کافر گفت: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا»(۲۵:۷۰) و دربارهٔ توبهٔ منافق گفت: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ»(۴:۱۴۶) و دربارهٔ توبهٔ گناهکار گفت: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِک»(۲۴:۵) و «وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا»(۲:۱۶۰) پس خداوند بازگشت هرکدام را با توجه به راهی که از خداوند دور گشته بودند بیان کرد، و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که به وقتِ توبه، هم در ظاهر و هم در باطن به سوی خداوند بازگردد. اما منظور از بازگشت در باطن، پشیمانی از زشتیِ مخالفت‌هایی است که پنهانی یا آشکارا مرتکب شده است و همچنین تصمیم به ترک آنها همراه با عدم اصرار بر ارتکاب مجدد آنها و مداومت بر استغفار از آنها پس چون این شرایط را بجای آورد، وی را همان هنگام می‌توان توبه‌کار نامید هرچند که هنوز کاملاً دست از معصیت نکشیده باشد. سپس بر مرید لازم است که به ترتیب، آنچه توبه بر او لازم کرده از ادای موافقت‌ها و ترک مخالفت‌ها به جای آورد. اولینِ آنها بجا آوردن عباداتی مثل نماز واجب است

که به سبب عدمِ رعایتِ شرایط رکوع و سجود و طمأنینه و اعتدال و یا جهل به احکام طهارات و وضوی صحیح اعضا و یا غفلت در نیت، ضایع شده است. و یا بجا آوردن روزه‌ای که به دلیل جهل به احکام و شرایط صحت و ابطال آن، ضایع شده باشد. سپس بر او لازم است که به ردِّ مظالمِ بندگانِ خدا که بر عهدهٔ اوست بپردازد؛ اگر در مال، به کسی ستم کرده است باید آن را بازگرداند و از وی حلالیت بطلبد و یا [اگر آن مقدار مال ندارد] به جمع مال بپردازد و به او بازگرداند و اگر فرد طلبکار درگذشته است باید آن مال را به وارثش بازگرداند. اما اگر ضربه‌ای به کسی وارد کرده، باید پذیرای قصاص شود و از وی حلالیت بطلبد. اگر در مورد فردی غیبت و بدگویی و سخن‌چینی و ناسزاگویی کرده است یا باید از او حلالیت بطلبد و یا برای وی استغفار کند، و بالله التوفیق.

فصل

بر مریدانِ توبه‌کار لازم است که احکام نفس را بدانند و محرک‌های آن را بشناسند و بر شرورِ آن واقف باشند. باید دانست که نفس، خلق و خوی وحشی و سرکش دارد. پس باید در ظاهر در الزام احکام توبه بر او ملاطفت کرد اما در باطن به دشمنیِ او اعتقاد داشت. باید نفس را با ریاضت سرکوب کرد و با مجاهده آن را شکست و در مخالفت با خواسته‌هایش مداومت کرد و در منعِ او از شهواتش مبالغه کرد و با مواظبت دائمی او را از لذت‌هایش منع کرد تا آنجا که راه تنفسش بسته شود و با مراعات نفس و مراقبت احوال آن، مواظب بود که شرایط توبه و احکام آن را رعایت کند. باید با [مواظبت دائم و] ترک غفلت از نفس به احوال مختلف او در حالات زیاده و نقصان و شب و روز علم پیدا کرد. با این روش است که شرایط عبودیت و مجاهده به درستی بجا می‌آید؛ زیرا نفس مأوای هر نوع بدی است. بدین دلیل خداوند او را با صفت «امّارة بالسوء» یاد کرد، بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که بعد از آگاهی از خلق و خوی ناخوشایند نفس، با فراوانی افعال و کثرت اوراد در مبارزه با وی جد و جهد نشان دهد و از آن جمله باید به طور مداوم روزه بگیرد زیرا با ترک خوراک و نوشاک، خلل ناشی از غم‌ها در قلب پر می‌شود و در صفات قلب انقلاب رخ می‌دهد و از آنچه بر آن عادت داشته عبور می‌کند. مرید باید بجای سیری، گرسنگی و بجای خواب، بیداری و بجای دسترسی به تمنیات، ترک شهوات و بجای رفاه، مجاهدهٔ طولانی در ترک خواستنی‌ها برگزیند و همچنین باید نفس را از تمتع از پوشیدن لباس‌های فاخر بازدارد و لباسی بپوشد که موجب کوچکی و ذلت نفس گردد و باید جامهٔ خشنِ تنگ بپوشد تا در آن هیچ جایی برای عزت و فخر نماند. و همچنین باید نفس را از پرداختن به امور باطل و غفلت‌آور و سستی در ادای واجبات و روی‌گردانی از مستحبات مانع شد. باید نفس را به نماز دائم و شرکت مداوم در [نماز] جماعت واداشت و با خلوت‌نشینی از مجالست‌ها کاست و در گریهٔ سحرگاهان افزود. پس مراقب باش که طلبِ توبه و استغفار از گناهان در آن اوقات[=سحرگاهان] فوت نشود و باید که قلبت نیازمند باشد و زبانت خواهشگر و رویت در برابر خداوند عزوجل به خاک آغشته باشد و در اثنای عبادت مراقب باش که نفست به سستی نگراید و در خدمت دچار ملال نگردد و بپرهیز از تأویلات و دانشی که تو را به سوی آسان‌گیری بر نفس[= رخصت] بکشاند که این نهایتاً منجر به سستی می‌شود. و مبادا که گوشت بخوری که ولع به خوردن گوشت در آدمی همانند ولع به خوردن خمر است. گفته شده که خداوند عزوجل به داوود علیه اسلام وحی کرد و گفت: «ای داوود اقویا را چه می‌شود که روی به شهوات می‌آورند؟ من شهوات را تنها برای مخلوقات ضعیفم قرار دادم زیرا عقل کسانی که دلشان به شهوات روی کند، از من در حجاب می‌شود» و بالله التوفیق.

فصل

سپس مرید باید در طلب اخلاقِ بزرگواران باشد و شیوۀ أهل وفا را مطالعه کند؛ کسانی که صدرنشینان این امت بوده‌اند و به سلامت [از دارِ دنیا] خارج شدند و همواره در صدد رعایت این گفتۀ خداوند بودند: «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ»(۲۴-۲۳: ۳۳) و بدان که نخستین فتنه‌ای که مرید بدان مبتلا می‌شود هم‌نشینی با أهل رخص [=آسان‌گیری بر نفس] و أهل تأویل است. و اولین سستی‌ای که بدان دچار می‌شود رفتن در طلب علمی است که ایشان را از تفحص در حقیقت حالشان منع می‌کند و راهزنِ ایشان از رسیدن به مقاصدشان می‌شود؛ ایشان بر اثرِ هم‌نشینی با این گروه‌های فریبکار به تأویلات و تبحر یافتن در فنون روایات متمایل می‌شوند. زید بن اسلم از پدرش روایت می‌کند که گفت: «بر عمر رضی الله عنه وارد شدم و او را در حالِ گریه دیدم، پس گفتم: چه چیز تو را به گریه انداخت؟ گفت: اقوامی در آخر [الزمان] این امت را به خاطر می‌آورم که عالِم خوانده می‌شوند به ایشان تشبه می‌کنند و سخنان ایشان را گرد می‌آورند اما در حقیقت عیب‌جو و لعن‌کننده و طعن زننده و غیبت‌کننده اند، نه از خدا می‌ترسند و نه از مردم باک دارند؛ ایشان و پیروانشان اولین کسانی‌اند که ارکان جهنم را پر می‌کنند و ندا درمی‌دهند ای وای از نمازها و روزه‌ها،[در آن وقت] نه پاسخی دارند که بدهند و نه سخن ایشان شنیده می‌شود؛ از نزدِ من برخیز، پس من برخاستم در حالیکه من و او گریه می‌کردیم.» عمر ایشان را چنین وصف کرد که قومی‌اند که گفته‌های علما را گرد می‌آورند اما خداوند تعالی از این علم بدیشان نفعی نمی‌رساند زیرا ایشان بدان علم عمل نمی‌کنند، و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که از مطالعۀ علمی که او را از ادای احوال موظف

بازمی‌دارد و او را به سستی و آسان‌گیری متمایل می‌کند بپرهیزد و از دانشی که او را به اغماض و مسامحه [در کار نفس] برای طلبِ دنیا فرامی‌خواند بر حذر باشد زیرا خداوند مراقب است و زجر و تهدید او در کار است. خداوند در وصف چنین گروهی گفته: «رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» (۵۷:۲۷) خداوند در این آیه خبر داد از آنچه گروهی در طلبِ رضوان الهی و نجات از رنج عذابِ او برگزیده‌اند اما گروهی از فاسقین شرایط آنرا بجا نیاوردند و بدان وفادار نماندند، پس خداوند چشم آنها را بر بصیرتی که در پیِ آن بودند و به راهِ آن میرفتند بست. خداوند عزوجل گفته است: «وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ»(۲:۲۶۷) و این اشاره دارد به آنکه بلا و فتنهٔ مرید، سستی و آسان‌گیری بر نفس است؛ و اصل سستی نیز قطع شدن سرچشمه‌های غیب از دل است که منجر به ساکن شدنِ اشتیاق قلب و رخوت در طلب می‌شود و این هنگامی رخ می‌دهد که نفس به سبب کثرت[و اختلاف] روایاتی که عالمان فریب‌خورده از [اخبار] صدر اسلام عرضه می‌کنند به تأویلات روی بیاورد. عالمانی که همانطور که عمر وصفشان کرد، فتنهٔ مریدان شده‌اند و أهل سستی و کسانی که از راهِ [اهلِ] اراده بازگشته‌اند به سخن آنان احتجاج می‌کنند. [اهل اراده] کسانی‌اند که نفس خود را از ارتکاب آنچه ممنوع است بازمی‌دارند و حتی در بهره‌گیری از مباحات بر خود سخت می‌گیرند و با نفس خود در منعِ شهوات مجاهده می‌کنند و همهٔ اینها به سبب ترسی است که از درافتادن به فتنهٔ دنیا و سوال قیامت دارند؛ چه آنها حقایق زندگیِ راستان را از علما شنیده‌اند. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم روزی ابوبکر و عمر رضی الله عنهم را دید که گرسنه‌اند و از گرسنگیِ خودش به آنها خبر داد پس آنها را به خانهٔ یکی از انصار برد و آنها را نان و گوشت و خرمایِ نارس خوراند و آب نوشاند. پس گفت: «این‌ها از جمله نعمت‌هایی اند که در قیامت ازشان پرسیده می‌شوید.» هرچند آن دو طمع و قصدی در آنها

نداشتند. پیامبر آن دو را چنین مورد خطاب قرار می‌دهد و عمر [درمورد نعمت‌های دنیوی]از پیامبر صلی الله علیه و سلَّم می‌پرسد و پیامبر صلی الله علیه و سلَّم می‌گوید: «جز آنچه مرد با آن عورت خود را می‌پوشاند یا آنچه با آن سدّ جوع می‌کند یا خانه‌ای که او را از سرما و گرما حفظ می‌کند؛ افزون بر این‌ها برای فرزند آدم حقی [از دنیا] نیست.» سستی، پیوسته[در افرادی که در پیِ آسان‌گیری‌اند] قوت می‌یابد تا آنکه به دنیا نزدیک می‌شوند و آن را می‌گیرند و به بدترین وضع به آن باز می‌گردند. گویی این گفته پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در مورد آنان است که فرمود: «هرکس سستی و آسان‌گیریش [خارج از] سنت من باشد هلاک می‌گردد و الا نجات می‌یابد» و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که اگر نفسش از او خواستار یادگیری علم شد، قصد فراگیری والاترین و برترین علوم که همانا علم زهد و ورع است کند چه این دو علم به اصلاح خوراک و پوشاک می‌انجامد؛ پوشاکی که درستیِ حالِ هر پیامبر و صدیق و شهید و بدیلی در گروِ درستی آن است. چه دین بر مدارِ این دو می‌گردد و قبولی عبادات بواسطهٔ این دو است. پس دقت در درستیِ خوراک و پوشاک باعث می‌شود که مریدِ تائب در ادای فرائض و نوافل استقامت ورزد. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفته است: «چگونه دعای کسی که خوراک و پوشاکش حرام باشد مستجاب می‌گردد؟» و همچنین پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به سعد گفته است: «اگر می‌خواهی دعایت مستجاب شود، خوراکت را پاک گردان.» و او کسی است که در میان صحابه به مستجاب الدعوه بودن مشهور بود و گفته است: «چیزی در شکمم وارد نشد مگر آنکه دانستم از کجا بدست آمده است.» پس دقت در صحت خوراک[و پوشاک] اصلِ عبادت و والاترینِ آن است و بواسطهٔ اصلاح آن حالِ آدمی بهبود می‌یابد و با غفلت از آن و مسامحه در آن، حیرتش طولانی می‌شود و برکتش نقصان می‌پذیرد و

روح و راحت را در عبادت از دست می‌دهد. و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که بداند هیچ فعلی از آنچه ذکر کردیم درست نمی‌گردد مگر با فراگیری علم اخلاص. زیرا خداوند تعالی از بندگان، اخلاص طلب کرد و بواسطهٔ آن است که بندگان را به عبودیت می‌رساند و [به خود] نزدیک می‌گرداند. خداوند عزوجل فرمود: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (۹۸:۵) خداوند هیچ طاعتی که به منظور نزدیکی به او بجای آورده می‌شود، نمی‌پذیرد مگر آنکه خالص برای او باشد. اخلاص عبارت است از منحصر کردن مقاصد در خدا و پاک کردن اعمال از رؤیت خلق. و برای مرید چنین چیزی حاصل نمی‌شود مگر آنکه علم توحید و معرفتش به اوصاف خدا درست گردد و برایش محقق گردد که اوست که ضرر و نفع می‌رساند و اوست که عطا می‌کند و مانع می‌شود و اینکه کلیدهای آسمان‌ها و زمین به دست اوست؛ و بداند که قصدِ اصلی از عبودیت، طلبِ بخششِ او و طمع در بخشایش او و رسیدن به بهشتش و فرار از رنج عذابش است. [مرید باید بداند که] اوست و خداوند گفته است: «قائِمٌ عَلى كلِّ نَفْس بِما كَسَبَتْ»(۱۳:۳۳) و باید میزانِ اثرگذاری، ضعف و ناچیزیِ نفع و ضررِ خلق را بشناسد که «وَ أَنَّهُم لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا»(۲۵:۳)؛ وصف خلق همان است که خداوند از قول ابراهیم علیه السلام گفته است: «لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا»(۱۹:۴۲) در درستی این گفتهٔ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به ابن عباس یقین داشته باش که گفت: «ای پسر بدان که اگر اولین و آخرینِ خلایق جمع گردند تا به تو نفعی برسانند که خدا مقدر نکرده است، توانایی آن را ندارند.» سپس گفت: «قلم[تقدیر] آنچه باید باشد خشک شده است تا روز قیامت.» و همچنین پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هیچ یک از شما حلاوتِ ایمان را نمی‌چشید مگر آنکه متوجه

شوید آنچه به صواب انجام دادید، نمی‌شد که به خطا انجام دهید و آن خطایی که مرتکب شدید، نمی‌شد به صواب انجام دهید.» پس مقاصدِ[عارفان] بر علمِ توحید[و اخلاص] بنا شده است و آن در گروِ معرفت به این گفته حق است که فرمود: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(۳:۲۶) و همچنین در گروِ آگاهی از میزانِ اثرگذاریِ مخلوقات است که آنها حتی به خودشان هم نفع و ضرری نمی‌توانند برسانند. پس اخلاص مبتنی بر بیداری و آگاهی قلب از اوصاف معبود است. و بالله التوفیق.

فصل

مرید لازم است بداند که اخلاص به اوصافِ گوناگون ظاهر می‌شود و البته وجودِ آن در همهٔ عبادات، واجب است. اولین جایی که اخلاص واجب می‌گردد در توحید است که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هرکه با اخلاص بگوید: لا اله الا الله، وارد بهشت می‌شود» و همچنین فرمود: «هرکه دنیا را از سرِ اخلاص، صرفاً برای خدا و عبادت پروردگار که شریکی ندارد ترک کند، خداوند را از خود راضی کرده است.» سپس فرمود: «این دین خدا است که رسولان آنرا آوردند و ابلاغ کردند پیش از آنکه سخنان گوناگون و هواهای رنگارنگ [در امرِ آن] پدید آید.» اخلاص در توحید عبارت است از اینکه فرد موحد، خدا را در کمالِ آنچه او از اوصاف و صفات و اسماء خود خبر داد، بی همتا ببیند. اوصاف و صفات و اسمایی که خود در قرآن از آن سخن گفت و رسول صلی الله علیه و سلَّم از آن خبر داد؛ او در عزت و کبریا و قدرت و سلطنت و عظمت بی همتاست و او حیِ قیّومی است که هرگز نمی‌میرد: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»(۴۲:۱۱) هیچ نوع تشبیه، تمثیل، تصویر، مقایسه، مخایله و ممازجه در موردِ او مصداق ندارد؛ نه به چیزی می‌ماند و نه با اعضای مفصلات و ترکیب‌های مخترعات توصیف

می‌شود و نه با زبان‌ها و دهان‌ها توصیف می‌شود و نمی‌توان سکون، حرکت، زوال و دگرگونی را به او نسبت داد؛ او الهِ واحدِ احدِ صمدِ فرد است «لَـمْ يَلِـدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (۴-۳: ۱۱۲) و بالله التوفیق.

فصل

مرید لازم است بداند که بعد از اخلاص در توحید، نوبت به اخـلاص در عبودیت می‌رسد که خداوند فرمود: «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّـهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَـلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»(۱۸:۱۱۰) و اگر توحید، والاترینِ بندگی‌ها باشد، طبق گفتهٔ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم اخلاص، خاص[ترینِ آنها]است. اخلاص در عبودیت عبارت است از آنکه قصدت از انجام اعمال این نباشد که خلق آنها را ذکر کنند و یا آنها را رؤیت کنند. همچنین برای تحقق اخلاص، صاف کردن نیت در انجام آنچه خداوند از تو خواسته و یا تو را بدان فراخوانده واجب است. و علاوه بر این باید که [در انجام اعمال،] مخلوقات را از نظر بیندازی و در مقاصدت و به هنگام درخواست نعمت، تنها خدا بر قلبت غالب باشد و مانع شوی که قلبت به هنگام عبادت، طالب جاه و رفعت نزد خلق باشد؛ تا مصداق این آیه شوی: «إِنِّـي ذَاهِـبٌ إِلَـىٰ رَبِّـي سَيَهْدِينِ»(۳۷:۹۹) و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که علم اخلاص را از حکما فراگیرد و به مقدار علمش در اخلاص ورزیدن سعی کند تا وقتی برسد که حکیم او را به اخلاص در اوصاف آشنا سازد. و والاترین نوع اخلاص در اوصاف آن است که همت را از آنچه موجب تفرقهٔ خاطر می‌شود خالص کنی و از موافقت با صفات دست برداری و با خواهش‌های نفس همراهی نکنی و مراعات کردن با مردم به منظور جلب منفعت را ترک کنی و در آنچه از کار دنیا و آخرت که به دست داری،

نگاهت به سوی خلق نباشد. در این صورت همتت همگی در خداوند منحصر می‌شود و او مراد و مقصود [واقعی] است؛ که اگر همت از اسباب[تفرقه] خالی شود، طلوع ملکوت و قرب محبوب را در پی دارد. خداوند به عیسی علیه السلام وحی کرد: «مرا همچون هم و غم خود، قرین و همراه خود کن و مرا ذخیرهٔ معادت قرار ده و با نوافل به من تقرب جوی تا تو را به خود نزدیک کنم و به غیرِ من روی نکن که تو را خوار میکنم، آنگاه که چشمان غفلت‌زدگان می‌خوابد تو بیدار باش و شب را پاس بدار تا شادیِ مرا بیابی، و برای آن روزی که نزدِ من خواهی بود، تشنگیِ روز را تحمل کن»؛ پس هنگامی که همتت را از مراعاتِ لذت‌های نفس بازداشتی، همتت پاک می‌شود و غیب طلوع می‌کند و اگر همتت را در طلب لذت‌های نفس پراکنده کردی، دچار تشتت می‌شوی و از دلِ آن غم‌های فراوان زاده می‌شود و [خداوند] اعتنا نمی‌کند که چنین کس در کجا هلاك می‌شود. و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که اخلاص را در همهٔ احوال خود به کار بندد حتی در خوراک و پوشاک و رفتارهای خود. وی باید خوردنش را از حظ نفس خالی کند و صرفاً غذا را بعنوان حقِ[نفس] بخورد و نفس را از آنچه علم آن را نکوهش کرده بازدارد و خود را از حرصِ زادهٔ طبع حفظ کند و از حمله ور شدن به خوراک دست بکشد. این سخن در مورد وقتی است که مرید می‌خواهد از حظِ نفس که زادهٔ شهوت و طبع است جلوگیری کند[اما] این اندازه اختیار دارد که هوای خود را در طلبِ طیبات و لذات آزاد بگذارد همچنانکه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم اجازه دادند: «نفس را بر تو حقی هست» پس حق آن را بده اما حظش را نه. پس بعنوان اولین حق نفس، مرید باید غذایش را از حرام و شبهه پاک کند و بر اساس این قولِ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم رفتار کند: «یک سوم [از فضای شکم] را برای خوراک، یک سوم را

برای نوشاک و یک سوم را برای نَفَس قرار بده.» این اعتدالی است که بموجب احکام تدبیر باعث قوامِ نفس می‌شود. در هنگام غـذا خـوردن بـه ایـن عقیـده وفادار باش که تو برای خدا غذا می‌خوری و نه برای نفـس تـا مصـداق همـان گفتهٔ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم باشی: «[دنیا حرام شده مگر] آنچه مرد با آن عورتش را می‌پوشاند یا غذایی که با آن سدّ جوع می‌کند و یا خانه‌ای که او را از سرما و گرما حفظ می‌کند.» مرید حتی اگر قدرت و دارایی داشته باشد، نبایـد به غذاهای لذیذ روی بیاورد بلکه باید باقی‌ماندهٔ [غـذا] در سـطوح مَشـک(یا خیک) را استفاده کند و نفس را به شیوه‌ای که پیامبر صـلی اللـه علیـه و سـلَّم عمل می‌کـرد تربیـت کنـد؛ وی از فـرط گرسـنگی سـنگ بـه شـکم خـویش می‌بست. پس خوراکت را از [حظ] نفس مبـرا کـن و آن را بـرای پروردگـارت خالص کن. و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که اخلاص را همانگونه کـه در مـورد خـوراک بـه کـار می‌گیرد دربارهٔ پوشاک نیز به کـار بنـدد و آن بـدین شـرح اسـت کـه نبایـد در پوشیدن لباس، زیبایی را در نظر گیرد و یا آنکه به پوشیدن لبـاسِ کهنـه رغبـت داشته باشد. باید لباسی بپوشد که غرض از پوشیدنِ لبـاس[=حفظ از سـرما و گرما و ستر عورت] را برآورده کند. باید لباسی بپوشد که نه موجـب تحقیـرِ او نزد اغنیا شود و نه موجبِ کبر او نـزدِ فقـرا گـردد و همچنـین بایـد از [لبـاس] شهرت بپرهیزد. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هـرکس لبـاس شـهرت بپوشد، با آن در آتش جهنم می‌سوزد.» و همچنین مریـد بایـد قصـد کنـد کـه مصداق این مدح پیامبر صلی الله علیه و سلَّم بشـود: «هـرکس لبـاس زیبـا[و فاخر] را ترک گوید در حالیکه بر پوشیدن آن از طریق حلال تواناست، خداوند در روز قیامت او را با حلّه‌های کرامت می‌پوشاند.» پس باید لباسی برگزیند که او را از سرما و گرما حفظ کند بی آنکه قصد زینت یافتن با آن را داشته باشـد؛

لباسی بپوشد همانند لباس تودهٔ مردم و قصدِ پوشیدنِ لباسی نکند که حقیقتِ حالش متناسب با آن نباشد[۱] چه در این صورت مثالِ کسی است که بی آنکه غذایی به او رسیده باشد وانمود می‌کند سیر است و با چنین لباسی بخواهد خود را با آنچه حقیقت ندارد بیاراید و احوال صدیقین را به خود ببندد. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «ایمان به خودآرایی و وانمود کردن نصیب نشود بلکه ایمان نصیب کسی می‌شود که در قلبش احساس وقار کند و عملش [حقیقتِ درونیِ]او را تصدیق کند.» پس در حالیکه شهوت و حرص بر او غالب است نباید لباسی بپوشد که نشان‌دهندهٔ زهد او است[۲] و مبادا بیرونش بهتر از درونش باشد؛ چنین کسی از زمرهٔ صادقین، خارج شده است. و نباید به‌گونه‌ای لباس بپوشد که موجب تکبر او در برابر مردم شود؛ که اگر چنین کند مصداق این گفتهٔ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم می‌شود: «خداوند به سه گروه نظر نمی‌کند و آنها را پاک نمی‌کند و عذاب دردناک نصیبشان خواهد بود: پیرِ زناکار، امامِ دروغ‌گو و فقیرِ متکبر.» پس باید نیتش پوشیدن لباسی باشد که با آن فرایضش را بجا بیاورد و عورتش را بپوشد و لباسی نپوشد که مغایر با حقیقتِ حالش باشد. مرید باید متواضع، خاکسار، شکسته‌حال و بی‌تکبر باشد و با لباسش فخر نفروشد. پس مرید با به هوش باشد که شیطان او را نفریبد و دچار خودشیفتگی نکند تا مبادا کارش به تفاخر بر مردم و پیشی‌جویی از هم‌سلکانش بکشد و یا بخواهد به واسطهٔ لباس، عطایی از بندگان بیابد و یا طمعی در آنچه در دستِ مردم است کند و یا بخواهد با

---

۱. منظور نویسنده آن بوده که مرید نباید بی آنکه از علم و زهد بهره داشته باشد لباس عالمان یا زاهدان و یا امثال آنان را بپوشد.

۲. اصل عبارت چنین است: «فیکون لباسه بخمسة دراهم و شهوته و إرادته بعشرة دراهم» که معنای تحت اللفظی آن چنین می‌شود: «لباسش پنج درهم نشان می‌دهد درحالیکه شهوت و میلش ده درهم است.»

لباسش حقوقی برای خود قائل شود و مردم را مکلف به ادای آن کند؛ در همـهٔ این موارد مقصـود چیـزی غیـر از خداسـت و همـین او را از مرتبـهٔ اخـلاص فرو می‌افکند و اراده‌اش را متوجه خلق می‌کند؛ و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است آنچه را پیامبر صلی الله علیه و سلَّم دربارهٔ فقیرِ متکبـر هشدار داد در نظر داشته باشد چه ممکن است تا مبادا دچار کبر شود پس باید بداند که از نشانه‌های تکبر، خودبرتربینی نسبت به بندگان خدا یا هـم‌سـلکان است. آنچه فقیر را به سوی تکبر و خودبرتر بینی می‌کشـاند، بـی‌شـک دانـشِ اندک است و همچنین گمانِ اینکه خود کامل است و کسی از او برتر نیسـت. فقرِ چنین مریدی او را به خـودبینی و خـودبزرگ‌بینـی مـی‌کشـاند و احسـاس می‌کند یکتا و بی‌مانند است. چنین کسی به سمتی پـیش مـی‌رود کـه بنـدگانِ خدا را بردهٔ خود می‌بیند و از ایشان فرمانبری مـی‌طلبـد؛ در ایـن حـال نـزدِ او دانشمندِ دانا و حکیمِ ادیب و زاهدِ بصیر بی مقدار می‌شود و دیگران را در پرتوِ بزرگیِ خود، خرد می‌بیند. و چون شرف و علوِ خودش چشـمش را پـر کـرده، احساس استغنا و استقلال می‌کند و مردم را کوچک مـی‌شـمارد و آنچـه بـه او می‌دهند حقیر می‌بیند و طالبِ چیزی بیشتر است. حتی وقتی کسی چیزی بـه او می‌دهد، دهنده را حقیر و کوچک می‌بیند و نسبت به آنان سنگدل مـی‌شـود چه احساس می‌کند که دیگران در حقِ او کوتاهی کرده‌اند و آنان چنان که بایـد قدر او را نمی‌دانند؛ پس چنین فردی نه با کم، سیر می‌شود و نه از زیاد تشـکر می‌کند و در این حال با خودبینی احساس می‌کند آنچه نـزدِ مـردم اسـت حـق اوست و او مستحق آن است؛ و صرفاً نظر به کوتاهی و نقص مـردم دارد. پـس از سجایای اخلاقیش، خشم به مردم می‌شود و شرافت را در حقد و کینه به آنها می‌بیند و در وهمش دائماً در حال پرورش بغض نسبت به دیگـران مـی‌شـود. محبتش به مردم، تحقیرِ آنهاست و ارادتش به آنها بـدگویی و سـرزنشِ آنهـا و

نهایتِ همتش، کوتاه نیامدن در برابر آنهاست. جواب سلامِ دیگران را دادن، غرامت و مجالست با آنها را خسارت می‌داند و حالتِ دائمیِ‌اش عیبجویی از دیگران می‌شود. به این دلیل خداوند به متکبران در قیامت نظر نمی‌کند و با این کار آنها را عقوبت می‌دهد؛ و در این عقوبت، ایشان را در کنار زناکاران آورد و با ایشان قیاس کرد. پس مریدِ فقیر باید که از این اوصاف بپرهیزد و در آنها در نپیچد که مبادا دچار آن گردد و هلاک شود و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که در کلام و به هنگامِ اِخبار و اظهار علم و دانشش نیز اخلاص ورزد و قصدش از طلب علم و اظهار و نشر آن خالص باشد و نیتش از طلب علم، نجات باشد و علمی بیاموزد که واقعاً به او نفعی می‌رساند. نخستین نکته در مورد اخلاص در کسبِ علم آن است که مرید، علمی بیاموزد که به آن در حرکات و سکناتش احتیاج داشته باشد و وی را در عبادتش یاری کند. و این سخن پیامبر صلی الله علیه و سلَّم را در گوش داشته باشد که فرمود: «هرکه علم را به انگیزهٔ مجادله با علما یا هم‌رنگی با سفیهان یا موردِ توجه دیگران واقع شدن بطلبد، در آتش است.» مشغلهٔ مرید در کسب علم باید بدست آوردن دانش تشخیصِ حلال از حرام و حق از باطل باشد و علم را مَرکَبی سازد به سوی خدا تا با آن از عذاب الهی برهد. و نباید خود را مشغول علمی سازد که خداوند عزوجل امرِ آن را کفایت کرده است؛ پرداختن به علمی که مطلوب[نفس]وی است، مرید را از علوم راجح‌تر و نافع‌تر بازمی‌دارد. دغدغهٔ مرید باید کسب علومی باشد که با آن بتواند آنچه خداوند از وی در شب و روز، آشکار و پنهان از احکام خوراک، پوشاک، نماز و روزه خواسته بجای آورد و آنچه از آن نهی شده یعنی مراعات با نفس و مماشات با دشمنش[=نفس] و محرک‌های آن را ترک کند و [بواسطهٔ آن علم] توجهِ خود را آنگونه که خدا خواسته به او معطوف کند. پس چنین علمی به اخلاص و نیل

به حقیقت یاری می‌رساند. [در غیرِ این صورت] تو در پیِ علمی بوده‌ای که به تو ربطی نداشته و در عوضِ علمی را که به تو ربط داشته ترک کـرده‌ای. پیـامبر صلی الله علیه و سلَّم فرموده است: «از نشانه‌های اسلامِ درستِ فرد این است که آنچه را که به وی ربطی ندارد ترک کرده است.» و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که در نشر آنچه آموخته و اظهار آنچه فهمیده اخـلاص ورزد و برحذر باشد که مبادا دنیا و طلب جاه و برتری و محبت مردم و میل به رفعت منزلت و گردآمدن پیروان راه‌زنِ او شوند. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از قول جبرییل و جبرییل از جانب خداوند فرمود: «ای محمد، امتت را بشـارت بده به برتری و بلندمرتبگی و یقین و توانایی یافتن در امرِ دین، زیـرا کسـی کـه عملِ آخرت را انجام دهد اما آن را وسـیلهٔ کسـب دنیـا سـازد، در آخـرت بـی نصیب است.» بدان که خداوند عزوجل کسانی را که دین را وسیلهٔ کسب دنیا می‌سازند مذمت کرد، پیامبرش صلی الله علیه و سلَّم نیز آنها را مذمت کرد، و خداوند عزوجل و پیامبر صلی الله علیه و سلَّم مردم را از اینکه با اظهـار دیـن در طلبِ دنیا بیافتند بر حذر داشتند. خداوند عزوجل از حال امت‌هـایی خبـر داد که کتاب[خدا] را خودشان می‌نوشتند و مـی‌گفتنـد: «هَٰـذَا مِـنْ عِنـدِ اللَّـهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْـدِيهِمْ وَوَيْـلٌ لَّهُـم مِّمَّـا يَكْسِـبُونَ» (۲:۷۹) بدین ترتیب کسی که به پیروی از سنت پیامبر صلی الله علیه و سـلَّم تظاهر می‌کند اما قصدش دعوت[افراد به خویشتن] اسـت و کسـی کـه بـرای کسب منزلت و رفعت و رسیدن به دنیای پست، اظهارِ حکمت می‌کند همگی از زمرهٔ کسانی‌اند که خداوند از علمشان بدانها سودی نرسانده و همگی حامل علمی‌اند که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از آن به خدا پناه برده است: «بـه تـو پناه می‌برم از علمی که نفعی نبخشد» و از وی روایت شده کـه فرمـود: «مثـل چراغی نباشید که خودش را می‌سوزاند و تنها به دیگران نور می‌رساند و کثرتِ

اطرافیان یک فرد شما را فر یب ندهد.» مرید لازم است که از آموختن [فنـونِ] نزاع در مباحث دینی و جدال دربارهٔ [مباحثی چون]چیستیِ اوصاف منـافقین بر کنار باشد همچنین شایسته است که [آموزشِ] علم و حکمت را حرفهٔ خود نسازد و [عقاید] دیگری را حقیر نشمارد و به [عقاید] دیگری یورش نبـرد و در نشرِ علم صرفاً ناصح بندگان خدا باشد بی آنکه طمعی به آنها بورزد و در کـارِ نشرِ علم مراقب نفسِ خود باشد و بترسد از اینکـه بـه دلیـل نشـر علـم دچـار خودپسندی شود و گرفتارِ پندارِ برتری بر دیگران شود. و از اینکه مصداق ایـن حدیث پیامبر صلی الله علیه و سلَّم شود بر حذر باشد: «اولین کسانی که وارد آتش می‌شوند این سه نفرند: قاری، غازی و سخی؛ از قاری مـی‌پرسـند کـه از قرائت قرآن چه منظور داشتی؟ و او می‌گوید: [می‌خواستم] که کلامِ پروردگار، برتر باشد، پس به او گفته می‌شود: دروغ می‌گویی، تو صرفاً مـی‌خواسـتی کـه گفته شود فلانی قاری قرآن است؛ این چنین گفته می‌شود و سپس امر می‌شود و وی با صورت به سمت آتش کشیده می‌شود» و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که که جویایِ اخبارِ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم و تفقه در آنها باشد. از عدی بن حاتم روایت شده که گفت: «پیامبر خدا صـلی اللـه علیه و سلَّم گفت: در روز قیامت خداوند گروهی از مردم را به سـوی بهشـت می‌برد و اجازه می‌دهد که به آن نزدیک شوند و بـه میـوه‌هـایش نظـر افکننـد و رایحه‌اش را ببویند و آنچه خداوند برای بهشتیان فـراهم کـرده ببیننـد؛ در ایـن هنگام ندا سر داده می‌شود که آنها را از بهشت بازگردانید که آنها از آن نصـیبی ندارند؛ آن گروه می‌گویند: پروردگارا اگر پیش از آنکه بهشـت را ببینـیم بـا مـا چنین می‌کردی بر ما بسی آسان‌تر بود، پس خداوند می‌گوید: ارادهٔ من چنـین بود، زیرا شما در خلوت با ارتکاب محرمات بزرگ بـا مـن مبـارزه کردیـد، از مردم پروا داشتید ولی از من پروا نداشتید، مـردم را بـزرگ مـی‌داشـتید و و مـرا

بزرگ نمی‌داشتید، برای [رضایِ] مردم [گناه] را ترک می‌کردید اما برای [رضایِ] من ترک نمی‌کردید، امروز علاوه بر آنکه شما را از ثوابم محروم می‌کنم، عذابم را به شما می‌چشانم.» پس ای برادرم بشنو! پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در این حدیث اوصاف کسانی را بیان کرد که ریاکارانه و به ظاهر [گناهان را] ترک گفته‌بودند؛ عظمتِ خلق بر قلبشان چنان مستولی بود که از پاسداشتِ عظمت خداوند تعالی و جلالش رویگردان شده‌بودند. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در این حدیث خبر داد که ایشان از مردم پروا داشتند از هیبت خداوند غافل بودند درحالیکه از ایشان خواسته شده بود که خداوند را بزرگ بدارند و از او پروا داشته باشند و ترکِ [گناهشان] صرفاً از سرِ پاسداشتِ عظمت و جلال خداوند عزوجل باشد. در این حدیث پیامبر فرمود که هر ترک[گناهی] برای رضای خدا نباشد، برایِ [تأمین رضایت] کسی جز خدا است؛ ترکِ مخالفت با خدا اگر از ترسِ خلق باشد، ترکِ گناه یا طاعت به حساب نمی‌آید همانطور که خداوند چنین افرادی را اینگونه وصف کرد: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ»(۵۹:۱۳) همچنانکه طاعاتی که به قصدِ کسب جاه و منزلت در بین مردم باشد جزء طاعات نیست؛ زیرا ترک[گناه] برای خلق بوده و نه برای خالق و عظمت و جلالی [برای خلق] قائل شدند که تنها حضرت حق، مستحق آن بود، پس بزرگ داشتند آنچه را که خداوند در عبودیتش کوچک شمرده بود و از پاسداشتِ عظمت خداوند تعالی رویگردان شدند. این حدیثی عام برای مومنین است اما به طورِ خاص باید مورد توجه مریدان باشد، و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که برای کسبِ شادی خداوند، پاسِ شب را داشت باشد تا معلوم شود که در دعوی و ابراز نیازش در مناجات صادق است. و اگر می‌خوابد، خوابش یا لِله [=برای خدا] باشد و یا بِالله [=با یادِخدا] و مبادا

خوابش عن الله [=غفلت از خدا] باشد. در مناجات داوود علیه السلام آمده است: «دروغ گفت آنکه ادعای محبت مرا داشت اما آنگاه که شب فرا رسید [غافل]از من خوابید، مگر نه هر محبی دوست دارد که با محبوبش خلوت کند؟ هان آگاه باش که من از قلوب دوستانم با خبرم؛ آنها هنگامی که شب فرا رسد به من اظهار دوستی می‌کنند؛ آنها خوابشان برای من است و قصد دارند که خواب [اولِ شب] را وسیله‌ای سازند [برای تجدید قوا] تا بتوانند آخر شب را برای من قیام کنند؛ در آخر شب خداوند بندگانش را فرامی‌خواند و می‌گوید: آیا دعا کننده‌ای هست؟ دعایش را مستجاب می‌کنم؛ آیا کسی هست که چیزی بخواهد؟ به او می‌بخشم؛ آیا کسی هست که طالب غفرانِ من باشد؟ او را می‌بخشایم.» [دوستانِ خدا] کراهت دارند که محبوبشان آنها را فرا بخواند و آنها چون مردگان در بسترهایشان در خواب خوش باشند اما کسانی که خوابشان بالله است کسانی‌اند که آگاهی شان از آنکه «لاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولانَومٌ »(۲:۲۵۵) خوابشان را ربوده است و در پیِ آنند که خواب را از خود دور کنند و برخی از آنان در طلبِ بیداری، خود را از لذت خواب محروم کرده‌اند اما خواب بی اختیار بر آنها چیره می‌شود. خداوند آنها را چنین مدح کرده است: «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ »(۳۹:۹) سپس گفت: «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا»(۲۵:۶۴) آنها در خوشیِ مناجاتِ با اویند که خواب بر آنها چیره می‌شود و به هنگام سجودشان خواب بر آنها غلبه می‌کند در این هنگام خداوند عز وجل می‌گوید: «بنده‌ام در حالِ سجده است و روحش نزد من است.» و نباید مرید از کسانی باشد که در پیِ لذتِ خواب‌اند و غافل از خدا می‌خوابند. و مبادا از جملهٔ کسانی باشد که پس از خلاص شدن از بلای روز و رهایی از بار غفلت‌ها و فراوانیِ لغزش‌ها و ارتکاب اشتباه‌ها و درحالیکه از گناهانی که مانعِ ادای وظایف پرشده و ذکر خداوند عزوجل را فراموش کرده به بستر برود و بدون وضو بخوابد. چنین کسی به وقتِ بیداری از آغازِ روزِ خود کراهت دارد و

نیازش به خواب رفع نمی‌شود و بهره‌ای از آن نمی‌برد و به‌هنگام صبح شیطان در گوشش ادرار می‌کند و احساس کسالت و درماندگی می‌کند.

فصل

بر مرید لازم است در آنچه عطا می‌کند صادق باشد تا بدین وسیله جامهٔ آزادگی به تن کند و رغبت به دنیا را از قلبش بزداید و جامهٔ زهد را جانشینِ لباس مذلت کند و با درآوردن جامهٔ زیاده‌خواهی به قناعت رسد و حالش بهبود یابد و به اندک اکتفا کند و بیخ حرص را بخشکاند و با تحمل گرسنگی برای سیر کردن همسایه شکمش را لاغر کند و ایثار کند تا به صفت کرامت برسد. و مرید باید که برای فرونیفتادن در ناپاکی‌های انسان‌ها، کم‌خواهی را پیشهٔ خود کند تا نفسش را از رنجِ خواستن برهاند و با مجاهدهٔ سرسختانه میل رقابت و دشمنی با مردم را در خود فروشکند تا از کثرت غم‌ها نجات یابد و باید که محرک‌های نفس را با امساک از تنعم و فراخیِ عیش از بین ببرد و در خاموش کردن خواسته‌ها و محرک‌های نفسانی که قلب را از دیدن ضمان الهی کور می‌کند بکوشد. پیامبر صلی الله علیه و سلَّم گفته است: «پر شدن هیچ ظرفی بدتر از پر شدن شکم فرزند آدم نیست، برای او تنها چند لقمه‌ای کفایت می‌کند که با آن پشتش را راست نگاه دارد و اگر ناگزیر می‌خواهد بیشتر بخورد یک سوم از فضای شکم را برای خوراک و یک سوم را برای نوشیدنی و یک سوم را برای نفس کشیدن اختصاص دهد» و بدین وسیله با کنایه‌ای صریح [به کم‌خوری] دعوت کرد. گفته شده است: «اگر سگِ گرسنگی را به گِرده‌ای و کوزه‌ای آب ساکت کردی پس پشت به دنیا کن.» و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که هنگامی که می‌خواهد به آنچه ذکر کردم[از خوراک و پوشاک] بپردازد، زمام نفسش را به دست گیرد و رغبت به آنها را ترک کند و

به محل تامینِ غذا و پوشاک دقت کند و با تسویف و آرزواندیشی، خود را مشغول نکند بلکه در انجام آنچه بدان اعتقاد دارد بشتابد و با رویگرداندن همت از شهوات، نفسش را از زیاده‌روی در خوردنی‌ها منصرف کند. بر مرید لازم است به هنگام مواجهه با ثروتمندان أهل دنیا و کاسب‌های بازاری سخنش را از حرص و درخواست‌های زاید حفظ کند؛ زیرا زاهدانِ متقی و عالمان زبردست [کرامت] نفسشان را صرفاً از طریق کم‌خواهی حفظ می‌کنند و آنان با صفتِ ترکِ زواید شناخته می‌شوند و در کتاب‌های علما ایشان با ویژگی انقطاع از دنیا و اسباب آن و ترک مجالست با دنیاداران و دنیادوستان یاد شده‌اند و بی شک آنچه موجب هلاکت آنان می‌شود طلبِ زواید دنیا و ناپاکی‌های آن است؛ و عموم هلاک شوندگان، هلاکتشان ناشی از زیاده‌روی‌های زبانی است همچنان که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هرکس از شرِ آنچه بین دو فکش است[= زبان] در امان بماند، من بهشت را برایش تضمین می‌کنم.» قاریان، ذلیلِ دنیاداران و بازاریان شده‌اند و در طلبِ حطامِ دنیا هلاک شده‌اند. همچنانکه حرص توانگران و ثروتمندان برای افزون کردن سفره و لباس فاخرِ مازاد بر نیاز موجب هلاک آنها گردیده است. آنان هلاک شدند و مشتاق زیاد کردن شدند و کاسبانی که تنها به فکر گردآوری‌اند و قاریانِ طمع‌کار همگی از راه خدا دور افتادند. و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که در آنچه برشمردم از اوصاف گروه‌های مختلف با همهٔ تفاوتی که در خواسته‌ها و امیالشان موجود است تامل کند و ببیند که چگونه کارشان به نابودی کشیده شده و بداند که سبب گرفتاری آنها در این بلیات چه بوده است. و با تامل در احوال دار فانی و دور شدنِ دنیاداران از دارِ باقی و رنج و دردی که بدیشان می‌رسد، لباس کناره‌گیری از دنیا را بپوشد و از اوصاف أهل بلوی دوری کند و در پیِ اوصاف أهل عافیت باشد. پس در طلب

راحت باشد و مرکب کم‌خواهی و ترک دنیا را سوار شود. در این صورت علم به احوال دنیا و أهل آن مرکبش و زهد و ورع خصلتش و قناعت و کم‌خواهی زینتش و طلب نزدیکی و میل به خدا اراده‌اش، و طلب عافیت و در معرض بلا نبودن نهایتِ خواسته‌اش، کوتاهیِ آرزو و رهایی از دنیا بنیادش، اکتفا به خدا و استعانت از او حقیقتش، ترک معاشرت با دنیاداران و دنیاخواهان کارش، بکارگیری آنچه ذکر کردم همتش و ترک سخن گفتن و درخواستِ زواید پوششش می‌شود. بدین وسیله زندگی‌اش خوش و نفسش بلندنظر، اطوارش[۱] پذیرفته، اعمالش پاک، مخارجش اندک می‌شود و مسلمانان از دست و زبانش در امان می‌مانند و به سبب پرداختن دائم به حال و شغلِ خویش از پرداختن به [عیوب] بسیاری از هم‌نوعانش روی‌گردان می‌شود و به‌طور کلی از دنیایی که خدا آن را زندان دوستانش و بهشت دشمنانش قرار داده اعراض می‌کند و از خداوند تعالی حیا می‌کند زیرا [می‌داند که]خداوند از قلبش مطلع است و لذا اینکه می‌بیند قلب خواهان چیزی است که موجب خشم خداست و طالب چیزی است که خدا در آن نظر نمی‌افکند از آنها اعراض می‌کند و تنها به خدا اکتفا می‌کند، و بالله التوفیق.

فصل

بر مرید لازم است که وقتی نام و آوازه‌اش انتشار یافت و اوصافش زبانزد شد مراقب [احوال خویش] باشد و آنگاه که به سبب ظهور احوالش، نزد خاص و عام معروف شد و او را با اوصافِ والا یاد کردند و چشم‌ها به طرفش خیره شد و انگشت‌ها به سمتش اشاره کرد و از هر ناحیه اموال به سویش روانه شد و آشکار و نهان، املاک به او بخشیده شد و زبان‌ها به ثنای وی گشوده

۱. استجابت اطواره

شد، خود را حفظ کند و مراقب باطنش باشد و وفادار به صداقتی باشد که شایستهٔ حالش است و آن وفاداری عبارت است از اینکه نیتش را در [بهره‌بردن] از احوالی که خدای تعالی او را نصیب کرده تا به واسطهٔ آنها به چنین منزلت و رفعت و مقامات عالی‌ای برسد پاک نگاه دارد. چه این زمان، زمانِ آزمایشِ اوست تا صداقت خود را در استفاده از موقعیتی که برایش فراهم شده تا در آن به عبودیت قیام کند و [زنگار] طبیعت را از قلبش بزداید اثبات کند و نشان دهد نیتش صرفاً حق‌جویی بوده است. و مبادا به دنیای پستی مایل شود که موفق به ترک آن شده و [به یاد داشته باشد که] شأنی که خدا به وی عطا کرد ناشی از بی‌میلی به دنیا بوده است. و پاسِ این سخن خدای تعالی را داشته باشد که فرمود: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ» (۲۴-۲۳: ۳۳) و در احکام ناپیدای خداوند برای امتحان کردن [بندگان] تأمل کند و مواظب باشد که به سوی تأویل نگراید چه تأویل همان است که مردم أهل زمانه را از کسانی که منسوب به تقوی هستند گرفته تا هم‌کیشان و هم‌مسلکان سست‌عنصر و پیمان‌شکنان را به نابودی کشانده است و در اثنای [این امتحان] در سحرگاهان بسیار به خدا پناه برد و فقر و اعتذار و درماندگی خود را اظهار کند. بطور مداوم استغفار کند و از شر نفسش به خدا پناه برد و از خدا بخواهد که برای چشم‌به‌هم زدنی کارش را به نفس نسپارد که هلاک می‌شود و در حالات سستی و خواری از خدا یاری بطلبد و در اظهار نیاز و بی‌پناهی نزد عزیز غفار بیفزاید و بداند که چنین زمانی، زمان ابتلا و آزمون اوست و زمانی است که باید صدق و اخلاص خود را نشان دهد، و بالله التوفیق.

فصل

بر مریدِ صادق لازم است بداند بیهوده رها نشده و از او خواسته شده است

که از سرِ وفاداری در حالاتش صدق ورزد. و خداوند عزوجل با سخن خویش چنین خبر داده که: «الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» (۳-۲: ۲۹) پس هرکس گمان کند و یا به قلبش خطور کند حقیقتِ ادعاهایش سنجش نمی‌شود فریب خورده است. و این گفتهٔ خدا به این موضوع اشاره دارد: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى»(۷۵:۳۶) و [گمان برده مرید که] آزموده نمی‌شود و دربارهٔ حقیقتِ کراماتی که در حال عافیت نصیبش شده از جمله انقلاب اعیان و تغییر دادن ذات یا رنگ اشیا از وی پرسیده نمی‌شود؟ پس ای مرید بر تو لازم است که در حالاتت صداقت داشته باشی و جامهٔ هوشمندان را بپوشی و اقتضای حالت را در نظر داشته باشی و در اعمالت، بعد مرگت را در نظر بگیری و آنچه خداوند را به دوستانش می‌رساند فرابگیری و در خاطر داشته باشی و با لحن شفقت‌آمیز سخن بگویی. و مرید باید با نفسش مجاهده کند و آن را به سوی خدا فرابخواند و مراقب باشد که از مدح‌گویانش جانبداری نکند و فریب ثناگویانش را نخورد و به واسطهٔ سخنان افراد نادان از معرفت نفس دست نکشد زیرا وی چیزی از نفس خود می‌داند که از دیدِ ناظران بیرونی پنهان مانده است و هرگز شنیدن با دیدن قابل مقایسه نیست و برای لحظه‌ای هم گوش به سخن ثناگویانش و آنانکه مراقب زبانِ خود نیستند نکند زیرا کسی که با گفته‌های خلق از [مراقبت]نفس دست بکشد بی تردید فریب خورده است، و بالله التوفیق.

فصل

مرید باید هنگام دعوت [خلق] به آنچه مورد رضایت خداست، مراقب امتحان الهی باشد و مبادا عوض شدن داوری و زبان و رفتار خلق حجابی شود و خدا را از وی بپوشاند. [مرید باید بداند] آنگاه که خداوند ثنای مردم را به اعراض بدل کرد و ادبار و جفای خلق را جانشینِ اقبال مردم کرد و بعد آنکه از

بخشش مردم برخوردار بود، گرفتارِ کناره‌جویی و اعراض خلـق شـد و بعـد از آنکه مردم در سلام کردن به وی پیش مـی‌گرفتنـد، ابـراز بـی‌اعتنـایی کردنـد و رفتارشان سرد شد و بعد از آنکه خلق مشتاق دیدن وی و شنیدن کلامش بودند اظهار سردی و دوری کردند، وی در معرض احکام امتحـانِ قلـب اسـت... و این امتحان دوم بعد از امتحان نخست یعنی زمان اقبال مردم و فرمانبری آنها و نفوذ امر و کلامش در آنها رخ می‌دهد و مراد خدا از این امتحان دو چیز است یکی اینکه ببیند که مرید تا چه اندزه به خداوند روی می‌کند و به خلق بی اعتنا می‌شود و دیگر اینکه [تأثیر]احکامی که بر اساس اراده‌اش بر بنـده‌اش جـاری ساخته ببیند. و مبادا مرید در آزمونِ درستیِ عقیـده‌اش، نهـانی بـرای [نزدیـک شدن به] خلق، موافقتِ خدا را ترک کند و نباید که خلق، حجـاب او از عزیـز غفار گردد زیرا موافقتِ خلق، دیـدگان را از نظـر کـردن بـه حکمـت خداونـد می‌پوشاند و همچنین نباید که [در این موقعیت] زبـان بـه بـدگویی از خلـق و سخن‌چینی و غیبت و شماتت بگشاید زیرا چنین رفتارهـایی قلـبش را گرفتـار خشم و دشمنی و کینه و مذمت[خلق] و همچـنین اعـراضِ کلـی از خداونـد عزوجـل و خـروج از احکـام حقیقـت مـی‌کنـد و موجـب پایمـال شـدنِ ازخودگذشتگی‌هایش در اقبال به خداوند عزوجل و ترک صـدق و خـروج[از احکام خداوند] می‌شود. نباید مرید در قلبش از احکام و قضای الهی احساس حرج کند و باید خود را کاملاً تسلیم [ارادهٔ خدا] کند. اگر خداوند مریـد را بـه فضل خود[با امتحانی] مواجه کرد، بر وی لازم است که قلب خـود را متوجـه دو حال گرداند یکی تأمل در غیب و دیگری صبر بـر تلخـیِ ارادهٔ خـدا و ایـن برای او شایسته‌تر است و اگر خواست در آنچه مستحقِ آن شده تامل کند بایـد سرزنش‌گرانه به نفس خود روی کند و نفس خـود را بـه سـبب بـروزِ خیانـت، جنایتکار بداند؛ این[عمل،] وی را نجات خواهد داد وگرنه هلاک مـی‌شـود و بالله التوفیق.

فصل

مرید باید مراقب باشد که اگر خداوند از آنچه یادکردیم وی را حفظ کـرد و او را از این دو امتحان[۱] خارج کرد و وی از خلقِ خدا اعراض کرد و وفادار ماند و صدق را بکار بسـت و نفسـش را در راه خـدا آورد و در احـوالش اعتقـاد بـه خداوند عزوجل را بکار گرفت و نه از اقبال خلق متاثر شد و نه از ادبار آنها، از فتنهٔ دو گروه[مدح گویان و قدح گویان]به سلامت گذر کرده است و باید کـه قلبش را از توجه به آنها مهار کند و مقصودش حق باشد...[اگر خداوند] بلا بر وی باراند و تلخیِ نابِ مرگ را جرعه جرعه به وی نوشاند و امراض عجیـب و بیماری‌های گوناگون را بر وی سرازیر کرد و و خلق را از عیـادتش منـع کـرد و آنها را از مهربانی به وی بازداشت و او را علاوه بر تنگ‌دلی دچـار فقـر شـدید کرد و در همان حال، یاران صمیمی‌اش نیز وی را ترک کردند و دوسـتانش نیـز در بیماری به وی پشت کردند و دلایل دوستی از میان رفت و دل‌ها نیـز وی را از یاد بردند و خلق یاد و حالش را به فراموشی سپردند و چشمه‌هـای رحمـت بندگان خدا نسبت به او خشکید و پیوندش[با دیگران] تبدیل به نفرت شـد، از مرید خواسته شده شکوه‌ای نکند و به خاطر مصیبت‌هایش ناله سر ندهد؛ چه بسا که مصیبتش شدت گیرد پس اگر صبر کند و بخدا پناه برد و از نفسش بِبُرد و به [خدا] بازگردد و به خاطر وضعیتش عذر به درگاه خـدا آورد و بـا تامـل در احکام و دیدن محبت خدا تنهـا از او کمـک بخواهـد، خداونـد بـه وی نشـان می‌دهد که این بلاها تیرهای او هستند کـه بـه سـوی انبیـا و اولیـایش پرتـاب می‌کنند؛ [ارادهٔ] سابق الهی در علم قـدیمش قبـل از آنکـه [از بنـی آدم] عهـد بگیرد به چنین [بلاهایی] تعلق گرفته است و خلقـت و عـزت بـرای اوسـت و خداوند در قضایش عادل است و در تشخیص اینکه برای [انسان‌ها] در دنیـا و

---

۱. منظور از دو امتحان همچنانکه در فصل پیش ذکر شد یکی امتحانی اسـت کـه در زمـان اقبـال مردم به مرید رخ می‌دهد و دیگری در زمان ادبار خلق از او صورت می‌پذیرد.

آخرتشان چه‌چیزی سزاوارتر است مختار است و این سهمی است که خـدا در صفات أهل بلا و بندگان مخصوص و اولیای برگزیده‌اش در نظر گرفته است و او نسبت به بندگانش مهربان‌تر از آن است که بلاهایی نازل کند که امکان اقرار به وحدانیت خدا را از آنها سلب کند؛ اقراری که خود برای آنها برگزیده اسـت و یا ایشان را از صحت ایمان محروم کند و یا مانعِ معرفتِ خداداد بنـدگان بـه نعمت‌ها شود و فضل و انعام قدیمش را سلب کند. چه اگر خداوند برای یـک لحظه انسان را در بلاهایش به خودش واگذارد، زمـین و آسـمان بـر وی تنـگ می‌آید؛ و خداوند حتی در ابتلاهـایش نگهـدار و حـافظ اسـت و دوسـتدار و یاریگر انسان است و وی را از یاد نمی‌برد، و بالله التوفیق.

فصل

سپس مرید باید مراقب باشد و هنگامی که به سبب ریاست آوازه‌اش بلنـد شد و اوصافش همه‌گیر شد و نزد مردم قبول یافـت و نـزد خـاص و عـام دارای رفعت و منزلت شد، حالِ خود را مراعات کند و مبادا آغازِ بر سرِ زبان‌ها افتادنِ نامش، پایانِ [کمالِ] حالش باشد و بر اوست که همـان احـوال والای خـود را حفظ کند. اولین چیزی که باید مد نظرش قرار گیرد حفظ همان احوال قدیم و اوقاتِ سازنده [ای که پیش از ریاست از آن برخوردار بود] و وفادار مانـدن بـه عهد خود با خدا است و این عهدی است که باید تا قیامت بر آن پایدار بماند. [وقتی مرید به ریاست رسید] باید که با نور تواضع خود را بپوشاند و نسبت به طالبانِ خدا فروتن باشد و به ضـعیفان نـرم‌خـو باشـد و اکـرام یتیمـان و تفقـد همسایگان و حفاظت از بیوگان را از یاد نبرد و بایـد هـر کمکـی از او سـاخته است برای رفع احتیاجات مردم انجام دهد و دلخـوری و شـکایت از مـردم را ترک کند. و باید که تفضل و گشاده‌رویی را شاملِ حالِ بـرادران و یـاران کنـد و آنها را در [فواید] مال و جاه خود شریک کند؛ حتی اگر این کار برایش سخت باشد باید بر آن پافشاری کند. اگر انجام کار [دیگران] نیـاز بـه بـذل جـاه دارد

نباید از آن شانه خالی کند و نباید از برآوردن احتیاجات آنها کنار کشد و هرچه برای ترفیع منزلت آنها نیاز است بایـد انجـام دهـد و از هـیچ خیـرخـواهی‌ای نسبت به آنها نباید دریغ کند و هیچ علم و حکمتی را نبایـد از آنهـا بپوشـاند و بویژه از مستحق نباید اعراض کند. و مبادا که امانت‌های خدا را ضـایع کنـد و نباید که حکمت را در اختیار طالبان دنیا قرار دهد زیرا خداوند از تـو رعایـت حقِ علم و امتناع از تضییع آن را خواسته است. و قدر آنچه خداونـد بـه تـو در طول خدمت و ایام عبودیتت عطا کرده بـدان و ارزش آنچـه خـدا تـو را بـدان مخصوص کرده از ترک دنیا و سردی نسبت به آن بشناس و اوقاتت را در آنچـه رضایت خدا را به‌همراه دارد بگذران؛ تا وقتی که خـدای تعـالی چنـین بـه تـو لطف کرده و تو را أهل آن قـرار داده چنـین کـن و تـو این[ریاسـت دنیـوی] را خوراک و قوت کسبِ آن دنیا قرار ده؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به مردی که سوره‌هایی از قرآن را به مردی از انصار تعلیم داده بود و آن مرد در ازای آن، بـه او کمانی هدیه داده بود گفت: «اگر می‌خواهی به کمانه‌های آتش گرفتـار آیـی آن را قبول کن.» از ابراهیم بن ادهم روایت شده که او کسی را نزد سفیان ثوری رحمة الله علیه فرستاد و به او پیام داد: «برای من حدیثی چنـد بیـاور و بـر مـا بخوان؛ سفیان کیسه‌ای برگرفت و در آن چند کتاب نهاد و بـه سـوی ابـراهیم و اصحابش روانه شد، [راوی] گوید: هنگامی که سـفیان بـه آنهـا نزدیـک شـد، ابراهیم [به یـارانش] گفـت: هیجـان‌زده مباشـید، [راوی] گویـد: پـس ثـوری نشست و سلام کرد و گفت: ای برادران فرستادهٔ شما نزد من آمد و خواست که حدیثی چند برای شما بیاورم؛ [راوی] گوید: ابراهیم و یارانش برخاستند و او را در صدر نشاندند و پیرامونش نشستند، پس ابراهیم گفت: ای اباعبداللـه، مـن صرفاً می‌خواستم تو را امتحان کـنم و تواضـعت نسـبت بـه فقـرا را بـه هنگـام

ریاستت ببینم، پس ثوری گفت: ای برادرانم به خدا قسم دوست داشتم که ترک و دیلم نزد من فرستاده شوند و من حدیث رسول الله صلی الله علیه و سلَّم را برایشان ببرم»[۱] و بالله التوفیق.

فصل

سپس مرید باید مراقب باشد و هنگام برخورداری از احوالِ والا قلبش به سوی کسبِ خوشایندِ خلق میل نکند تا بخواهد بدین وسیله به شهرت برسد در این صورت وی بعد از آنکه به حالی حقیقی رسید، گرفتارِ تصنع و ریا و سمعه می‌شود و از اخلاص خارج می‌شود و به سوی تزید و تکلف می‌رود. و مرید باید اکراه داشته باشد از اینکه بخواهد به شهرتی خلاف آنچه بدان شناخته می‌شده دست یابد و بخواهد برای کسبِ عزت و ماندگار کردن نامش اوصاف خود را به رخ بکشد زیرا نفس اخلاقی ناپسند و خصلتی وحشی دارد و بنده[هرگز] از محنت‌ها نفس و میل آن به نمایش توانایی‌ها و بلند آوازه شدن در امان نیست. [و مبادا مرید] بخواهد که در عینِ پوشاندنِ انگیزه‌های حقیقی‌اش، ویژگی‌های خود را به چشم مردم بکشد و سپس با ذکر اوصاف پیشینیان ادعا کند که این ویژگی‌ها از اوصاف أهل الاجاشه(؟)فرماندهانِ خلق به سوی خداست. و مبادا مرید قصد کند که احوال پنهانی‌ای که با خدا در خلوت‌ها دارد و آمیخته با صدق و اخلاص است فاش کند و آن را وسیله‌ای برای کسب جاه و منزلت قرار دهد و چنین ادعا کند [و به خودش بگوید] که به خاطر این کار مواخذه نمی‌شوی و افشای این احوال در حقیقتِ حالت تاثیر ندارد و بیان کردن آنها موجب فزونی کمال برای تو و دیگران می‌شود. این

---

۱. ظاهراً سفیان ثوری در این هنگام از شهرت و ریاست بر زهاد و صوفیه برخوردار بوده است؛ عرب وقتی می‌خواهد مثالی در عداوت شدید زند می‌گوید: آنها ترک و دیلم اند(نگاه کنید به رسائل جاحظ)

چنین ادعاهایی از مخفی‌ترین تاویل‌ها و ظریف‌ترین ریاهای پنهان در نفوس است آنچنان که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «ریا در شما از حرکت مورچهٔ سیاه بر سنگ سختِ تیره در شب تاریک پنهان‌تر است» و بالله التوفیق.

فصل

سپس مرید باید مراقب باشد که بعد از آنکه احوالِ والایی همچون حال معرفت در وجودش محقق شد با دنیادارانِ ثروتمند معاشرت نکنند زیرا کوشش و نیرویش از اثر این مصاحبت‌ها کاسته می‌شود و باید که نفس خود را از مجالست و مصاحبت با آنها حفظ کند و از حضور بر سرِ سفره‌هایشان اجتناب کند و با ایشان هم خوراک نشود و هنگامی‌که به آنها احساسِ نیاز می‌کند بلای درون خود را تحمل کند[و نیازش را ابراز نکند] و تنگی و رنج و شدت فقر شدید را در درونش تاب بیاورد و به خاطر آنچه بین او و خداوند عزوجل وجود دارد سختی‌ها را جرعه جرعه بنوشد هرچند که گلوگیر باشد اما تلاش کند که هیچ‌یک از ثروتمندان و همچنین یاران و برادران از حالش مطلع نشوند تا مشغولیت خلق از بین برود بلکه بالعکس باید که به هنگامِ دیدار ایشان علی رغم فقرش، پاکیزه و با نشاط خود را بنماید و با اظهار شکایت از آنها به دلیل بی‌توجهی‌شان به حالِ او و بیان اینکه در عزلت دچار مرارت است خود را به موش مردگی[1] نزند زیرا اظهار فقر چیزی جز ذلت و خواری و نیست و موجب پست شدن حقیقت و کاسته شدن از محبت می‌شود و این کار مایهٔ خواریِ أهل سلوک و ننگِ أهل حقیقت است و باعث می‌شود اجاشه(؟) و اظهار شرف زهد و عدم از بین رود. و این بدان دلیل است که اگر یکی از آنها

---

۱. «تماوت» به معنی خود را مرده نشان دادن است.

دریابد که تو در عینِ دسترسی به احوالِ والا همچنان بـه وی نیـاز داری دچـار چنان صولت و نخوت و خودپسندی‌ای می‌شود که هرگز او را رها نمـی‌کنـد و در نهانش تو را حقیر و ناقص می‌شمرد و این حجتی علیه تو و هم مسـلکانت می‌شود؛ پس احتیاجِ تو نوعی عار است و او [همه جا] می‌گوید: فلانی با همه جلالتِ حالش باز هم محتاج و نیازمند [بـه مـن] اسـت پـس مریـد بـا ابـراز احتیاج در حالت درماندگی و پستی، بهانه و دسـتاویزی [بـرای اغنیـا] ایجـاد می‌کند. از اینروست که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم به عایشه رضی الله عنهـا گفت: «از معاشرت با ثروتمندان بپرهیز و لبـاس‌هایـت را حتـی هنگـامی کـه وصله‌دار هم شدند بپوش[1] و غذایت را برای ماه بعد ذخیره نکن.» و الله اعلم.

فصل

سپس مبادا مرید پس از دستیابی به معرفت، ذم دنیا را حرفهٔ خود سـازد و تحقیرِ أهل دنیا را پیشهٔ خود سازد تا بدین وسیله نـزد هـم‌سـلکانش بـه‌عنـوان فردی شناخته شود که ظاهراً از دنیا و دنیا داران بیزار است درحالیکـه خداونـد عزوجل می‌داند که تو در باطن مشتاق نزدیکی به دنیا و دنیاداران هستی؛ و تـو در حالیکه در بین دنیا داران اظهارِ زهد می‌کنی، بیشترین میـل و رغبـت را بـه آنها داری و چنین است که خداوند چنین رفتاری را دشمن می‌دارد چرا که این چنین اظهار زهدی از جملهٔ نفاق است و خداوند عزوجل از آن آگاه است کـه تو در درونت به ضدِ آن چه اظهـار مـی‌کنـی تمایـل داری و بپرهیـز از اینکـه [دائماً] به مذمت أهل فساد از میانِ هم‌کیشانت بپردازی و این تبدیل به خلق و

---

۱. «و لا تلبسي ثوباً حتی ترقعیه» ترجمهٔ تحت اللفظی آن چنین می‌شود: «لباست را تا آنگـاه کـه وصله بر آن ندوختی مپوش» که ظاهراً نمی‌تواند صحیح باشد؛ این حدیث را به انواع دیگر ثبت کردند و مثلاً به جای «تلبسی»، «تستخلفی» آورده‌اند که در آن صورت معنای درستی می‌یابد: «لباست را تا انگه که به وصله نیاز دارد عوض نکن» و یا «حتی آنگاه که وصله هم نیاز دارد عوض نکن»

خویت شود، اگر کسی که شایستهٔ خیرخواهی است از تو سخنی [در ردِ أهل فساد] طلبید و تو ناچار به افشای کذب أهل انشقاق بودی، تو صرفاً به تمییز حق از باطل کمک کن و بدین وسیله شرفِ أهل حقیقت را آشکار کن و مبادا سخنِ تو مستمسکِ نادانانِ شمات‌گر و کینه‌جویان علیه رقیبانشان شود و با سخنانِ تو علیهِ مخالفانشان زبان بگشایند و با عصای مذمت همه را برانند درحالیکه خودشان توانایی تشخیص پاک از ناپاک را ندارند. و سخن تو [ناخواسته] باعث شود که یارانت گناهی علیه أهل حقیقت مرتکب شوند؛ و این بدان سبب است که گاه گروهی از منسوبان به علم و حکمت می‌خواهند به وسیلهٔ عیب‌جویی از رقیبانشان به مایهٔ ناچیز و سود آلوده‌ای که در دست آنهاست برسند، و [گمان می‌کنند که] بدان نمی‌رسند مگر با افشای عیب و نقص رقیبانشان. [فرد عیب‌جو] بدین وسیله می‌خواهد خود را از رقیبانش جدا کنند و چنین بنماید که او از آنها نیست و [تلاش می‌کند]دیگران، وی را نه از جملهٔ آنها بلکه ضدِ آنها بدانند و [البته] خداوند دشمنِ چنین رفتاری است زیرا همواره در هر فرقه‌ای صالح و طالح وجود دارند و هیچ مذهبی از این خصیصه بری نیست و بالله التوفیق.

فصل

سپس مریدِ صادق باید مراقب باشد و هنگامی‌که در عباداتش دچار سستی شد و گرمای نخستین را از دست داد، صدق و اخلاص را به کاربندد بدین معنی که از ترس از دست رفتن جاهش چنان وانمود نکند که حالش همانند ایام نخستین است؛ [یعنی] نباید در عینِ گرسنگی، وانمود به سیری کند و احوالِ گرم‌روان و چابکان [راهِ خدا] را به نمایش بگذارد و ادعای کمال کند و درحالیکه از حقیقت بی‌بهره است، خود را متحقق بنماید. و نباید که حالش را پنهان کند و یا سعی در توجیه آن داشته باشد. باید صدق و اخلاص به کار بندد و نباید دشمنِ کسانی شود که از وی روی گردان می‌شوند و باید با اعتراف و

بیان تقصیرات خود، از خداوند طلب بخشش کند و هنگامی که به سوی خدا بازمی‌گردد تا بهره‌های[معنوی] ازدست‌رفتهٔ خود را طلب کند باید به‌خاطر آنچه از دستش رفته اظهار تاسف کند و از نیکیِ احوال قدیمش و اوصاف پسندیدهٔ سابقش یاد کند. و نباید سستی و رخوت او و تلاش او برای توجیه کردن حالش، بلایی برای هم‌کیشان و افراد منتسب به دینداری از میان هم‌مذهبانش شود. گفته شده خداوند عزوجل می‌گوید: «آیا نسبت به [صبر] من فریفته شده‌اند و بر من جرأت یافته‌اند؟ به عزتم سوگند فتنه‌ای برای ایشان پدید می‌آورم که افراد حلیمشان را حیران کند.» پس مرید باید حق را بگوید هرچند به ضررش باشد. ابوبکر صدیق چنین به برتری[معنوی] دیگران بر خودش اعتراف کرده است: گفته شده که ابوبکر صدیق بر قومی گذر کرد که قرآن بر آنها خوانده می‌شد و ایشان می‌گریستند؛ ابوبکر [با دیدن آنها] چنین گفت: «ما نیز تا پیش از آنکه دل‌هایمان سخت شود مانند آنها بودیم.» و وی چنین از درستیِ راه دیگران یاد می‌کند: «خوشا به حال کسی که در حالِ عجز[در برابر خدا] بمیرد» یعنی در حالی که [ارتباطش با خدا] گرم است و با توبه و رجعتی حقیقی نزد خدا بازگشته است، و بالله التوفیق.

فصل

و مرید باید بپرهیزد از اینکه تکیه‌اش [در امر معاش] به اعتماد بر صفت مردم زمانه‌اش باشد و این ضروری‌ترینِ چیزها و مفسده‌خیزترین امور در زمانهٔ اوست. و مبادا که مدعی شود که خوراکش از غیب به او می‌رسد و بدین توجیه به مخارج خوراک و پوشاکش نرسد و جد و جهدی نکند. زیرا خداوند نماز و روزه و دیگر عبادات را از وی قبول نمی‌کند مگر آنکه لباس و خوراکش پاک باشد؛ بلکه مرید باید اوقاتش را پس از نماز، صرفِ آن[=مال حلال] کند تا لباس و پوشاکش از پاک ترین مال‌هایی باشد که مطابق علم شریعت کسب می‌کند و اگر بعد تلاش بسیار در طلب [مال] حلال، مال بیشتری نیافت، نباید

دست به [مال] آلوده [و شبهه‌ناک] دراز کند زیرا الزاماتی که بر عالِم است بر جاهل نیست؛ بویژه وقتی در زمانه فساد همه‌گیر می‌شود، عالِم نباید [در طلب مال] سهل‌انگاری و اغماض پیشه کند. همچنانکه خداوند عزوجل فرمود: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ»(۲:۲۶۷) و اگر مرید بعد از تلاش و کوشش بسیار نتوانست مال حلال بدست آورد، باید به خودش رجوع کند و صرفاً به‌اندازهٔ غذای یک‌روز که گرسنگی را برطرف کند و سرپناهی که او را از سرما و گرما حفظ می‌کند[از دیگران] قبول کند زیرا [در چنین شرایطی] چشم‌انتظار بودن برای رسیدن خوراک یکی از ارکان توکل و نشانگر درستیِ اعتماد بر خدا است و [در این حال] کارِ خوش آن است که که کسب را ترک کند و با فقر و ترکِ اسباب، هم‌نشینِ خدا شود زیرا [مالِ] حلالی [که رزق اوست] در دست [سایر] مسلمانان است و خداوند اصلِ ثروت‌ها را کفایت کرده است و کسی که بر خدا توکل می‌کند می‌تواند مال را از هرجا به او برسد بگیرد زیرا اصل ثروت‌ها [متعلق به خدا و لذا] مباح است و این چیزی[=مالی] است که بی‌آنکه آن را طلب کرده باشد بدان دست یافته است. اما طلبِ [مال] حلال... از جملهٔ اصول دین است و علم، [آدمی را] به طلب آن تشویق می‌کند و این از مهم‌ترین ارکان اسلام است همچنانکه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «طلب [مال] حلال فریضه‌ای است که بعد از فریضهٔ قبول اسلام قرار دارد» ایشان وجوبِ آن را هم‌ردیفِ وجوبِ توحید و شرایع اسلامی کرد و این حالی است که عارف تا حد نهایی و سایر افراد تا حد ابتدایی ملزم‌اند رعایت کنند و همچنین مرید و بویژه مریدانِ ناسک باید که بدان الزام داشته باشند، و بالله التوفیق.

فصل

و مرید باید از هم‌نشینی با این ولگردهایی که در شهرها جولان می‌دهند

پرهیز کند؛ اینان کسانی‌اند که نه أهل یقین در دین‌اند و نـه احکـام شـریعت و واجبات برایشان اهمیت دارد؛ تکیه‌شان صرفاً بر پوشیدن لباسِ صـدیقان و وام گرفتن اشارات محققان است و به زیِ أهل فضل خـود را آرایـش مـی‌کننـد در حالیکه در حقیقت از دین خارج شده‌اند. مبادا فریـب ایـن بـازیگرانِ مقلـد را بخوری؛ بر تو باد که راهِ متقدمان را پی بگیری و در طلبِ آثار بزرگانِ صحابه و تابعان و افراد شناخته شده و صاحب اثر و صالحی باشی که خداوند آنها را ثنا گفته است؛ به الفاظ آراسته‌ای که این گروه [درویش‌نما] از علوم جمع و تفریق بیرون کشیده‌اند فریفته مشو و مبادا در کارِ این ظاهرسازان و مدعیانِ فقـر نظـر کنی؛ این مرقع‌پوشان در واقع گدایانی سمج‌اند که از کار گریزان‌اند و پیشه‌شان رقص و پای‌کوبی بر محاکاتِ مخنثان است. به واقع اینان راهزن مریدان و فتنهٔ أهل دین اند و وجودشان موجـبِ وهـنِ فقیـران و مسـکینان [حقیقـی] اسـت کسـانی کـه أهـل عبـادات طـولانی و مجاهـدات فـراوان‌انـد. ایـن جمعیـتِ [درویش‌نما] چنین اعمـالی را وسـیله‌ای بـرای کسـبِ حطـام [دنیـوی] قـرار می‌دهند و جز از این راه‌ها بدان نمی‌رسند. و بر تو است که کـه مـلازِمِ احـوالِ اسلاف و افراد نجیب شناخته شدهٔ از هم‌کیشانت باشی. و بر تو لازم است که اوصاف ایشان را جستجو کنی و در پیِ احوال ایشان باشی زیرا آنکه به اوصاف ایشان دست یازید، رستگار و مسرور اسـت و آنکـه از ایشـان رویگـردان شـد فریب‌خورده‌ای است که هلاک می‌شود؛ خیرخواهی واجب است و از ایشـان بپرهیز و مبادا ایشان کاری کنند که شیطان را به فراموشی بسـپاری کـه در ایـن صورت از گمراهان می‌گردی، و بالله التوفیق.

فصل

مرید باید مراقب باشد اگر نفسش از وی هم‌نشینی با دیگران را طلب کرد، وی با افـرادِ شـناخته‌شـده بـه دینـداری و کسـانی کـه دائمـاً مشـغولِ اصـلاحِ خویشتن‌اند نشست و برخاست کند؛ کسانی که به منظورِ نزدیکی به خداونـد

عزوجل مراقبِ اوقاتشان هستند و مرید نیز باید به هنگامِ حضور در مجالس از اوقاتش محافظت کند زیرا بلیه‌های فراوانی در هم‌نشینی‌ها نهفته است و نباید [در مجالس،] غیبت‌کننده، لعن‌کننده، طعن زننده و سخن‌چین باشد و همچنین نباید از جملهٔ افرادی باشد که وقتش را مصروف نظرکردن به خطاهای خلق و به‌یاد سپاریِ بدی‌های آنها می‌کند؛ وی[مطلقاً] نباید مشتاقِ آن باشد که شاهدِ لغزش دیگران باشد و از شادی به سبب لغزش‌های دیگران پرهیز کند بلکه باید از پیشامدی که برای بندگان خدا حادث شده غمگین شود و برای صلاح امت و فلاح مومنان دعا کند و در احوال گروه‌های که با آنها مجالست می‌کند تامل کند و اگر همت آنها را در تصفیهٔ خوراک و پوشاک دید، مصاحبشان شود زیرا سلامتِ هم‌نشینی‌ها اندک و ملامتش بسیار است و رسول خدا صلی الله علیه و سلَّم عقبة بن عامر را هنگامی که از وی پرسید: «ای رسول خدا نجات در چیست؟» چنین نصیحت کرد: «زبانت را به خود بگیر و خانهٔ خودت را باش و بر خطاهای خود گریه کن.»؛ یکی گفت: «نزد فلانی رفتم و او به من گفت: از کجا می‌آیی؟ گفتم: از نزدِ یوسف ابن أسباط، گفت: آیا او را می‌شناسی؟ گفتم: بلی، گفت: ملازم او باش زیرا او می‌داند از کجا قوتش را می‌خورد» با این حال تنهایی را بیش از اجتماع دوست بدار و بپرهیز از خصومت با دیگران و بر حذر باش از اینکه نفست به مجالست‌های ناپسندی که در آن‌ها طنز و خنا و رقص و محاکات و شوخی با سرمدیات وجود دارد عادت کند زیرا اینگونه مجالست‌ها به غیبت و بدگویی می‌انجامد و سرمنشأ بسیاری از مصیبت‌هاست و پاسِ اوقات روز و شبت را داشته باش تا به بیهودگی نگذرد؛ این چیزی است که از تو خواسته شده است و مراقب باش که [اوقاتت] در روز قیامت وبال و حسرتی برای تو نباشد، و بالله التوفیق.

فصل

مرید باید مراقب باشد و ساعات خود را با نوعی از انواعِ ذکر آبادان کند و

از ساعاتِ غفلت‌بار بپرهیزد؛ پس باید ساعاتش را از طلوع فجر تا وقت غروب خورشید به بخش‌هایی تقسیم کند و بکوشد که در این ساعات یا درپیِ علمِ نافعی باشد که او را در قطع علایق مدد رساند و به خیراتی که در نظر دارد برساند و یا به ملاقاتِ افرادی رود که دیدارشان یاد آخرت را در دل زنده می‌کند و تو را پیگیر خواسته‌هایت مصمم می‌کنند یا در پیِ کسب روزی از اِکرام خداوند باشد و این مهم‌ترین کوشش است و یا مشغولِ ادای اورادی باشد که بر خودش فرض کرده است و یا در صدد برآوردن حوائج برادران باشد و یا اینکه برای کسب ثواب الهی به زیارت صالحین برود و یا به برادر و یا افراد ضعیف یاری برساند و در این راه از علم و یا کارِ بدنی، هر چه برایش مقدور است مایه بگذارد و در همهٔ این احوال بر اذکار قلبی و زدودن غفلت‌ها مداوت ورزد. به هنگامِ روز، نفست را از خواب بهره‌ور کن تا در قیامِ شبانه تو را یاری کند و در روزه‌ها جوارحت را از آنچه منع شده و آنچه وبالِ تو می‌شود و در روزه‌ات تاثیرِ [سوء] می‌گذارد بازدار و به [تشییع] جنازه‌ها برو به شرطی که قصدت خالص باشد و در طلبِ خودنمایی و نمایش دادن خود به صاحبِ جنازه نباشی که در این صورت اجرت زایل و سعیت باطل است و خود را به عیادتِ بیماران بویژه بیماران فراموش شده عادت بده و ایشان را از هر طریقی که نافع است یاری رسان و بدین منظور از مال و زبان و بذل آبرو مایه بگذار و أهل فضل را از حوال ایشان آگاه کن و آنها را ترغیب کن تا با تفقد از ایشان به ثواب الهی برسند و [یادآوری کن که] هرکس به برآوردن حاجات و زدودن تنگ دستی یا خدمتِ مریضان فقیر برخیزد، خداوند وی را عوض می‌بخشد؛ بی‌شک این‌ها از اموری است که تو را به خداوند عزوجل نزدیک می‌کند و بالله التوفیق.

فصل

مرید باید مراقب ساعات شب، آنگاه که تاریکی فرا می‌رسد باشد تا از

دست نرود. پیامبر صلی اللّه علیه و سلَّم امتش را [به پاسداشت شب] برانگیخت و فرمود: «بر شما باد، قیامِ شب که آن رسمِ صالحان پیش از شما و بازدارنده از گناه و دور کنندهٔ بیماری از بدن است.» و همچنین ایشان صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هیچ کس نیست که تا صبح بخوابد مگر آنکه شیطان در گوش‌هایش ادرار کند.» و مرید باید پاسِ نمازهای مغرب و عشا را داشته باشد که این دو، نمازهای توبه‌کنندگان است و اوقاتی است که روزه‌داران و افطار کنندگان در مراتب مختلف بدان اهتمام دارند. و مراقب باشد که نمازهای جماعت را از دست ندهد بویژه نماز صبح و عشا که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمود: «هرکس بر دو نماز صبح و شام محافظت کند، وارد بهشت می‌شود»[1] و زنان نیز در کنار پیامبر صلی الله علیه و سلَّم در این دو نماز شرکت می‌کردند. و مرید باید بکوشد که قرائت [قرآن] در آغاز شب و آخر آن را از دست ندهد مبادا در زمرهٔ غافلان نوشه شود. و باید تلاش کند که هنگام سحر و قبل از طلوع فجر بیدار باشد تا اوقاتی را که پیامبر صلی الله علیه و سلَّم چنین از آن خبر داد درک کند: «خداوند سبحان در یک‌سومِ پایانی شب به آسمان دنیا می‌آید و دستش را می‌گشاید و می‌گوید: سائلی نیست که به وی عطا کنم؟ دعاکننده‌ای نیست که دعایش را برآورم؟ و استغفار کننده‌ای نیست تا او را ببخشایم؟» و خداوند صادق‌ترینِ گویندگان است و [شأنش] از آن بالاتر و والاتر است که وعده دهد اما خلافِ آن عمل کند و بنده‌ای را که کلام او را راست پنداشته و قصدِ او کرده و در طلب او روان شده و خواهان و نیازمند او شده و با او نجوا می‌کند و سائل و عذرخواه و نادم به نزد او آمده از بخشش خود محروم کند و به وی بخل ورزد در حالیکه خداوند می‌گوید: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»(۴۰:۶۰) «مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ»(۲:۲۵۵)؛ شب

---

۱. من حافظ علی البردین دخل الجنة

مرکب ابرار و ملجأ برگزیدگان و أهل درد و فقر و طلب و بخشش است، و بالله التوفیق.

فصل

مرید باید در حالتی که دچار سستی[در عبادات] شده نیز مراقب باشد و همچنان صدق و اخلاص را در پوشاندن احوال [نیک باطنی‌اش] به‌کار بندد و باید بیشتر نگرانِ احوال پنهانش باشد تا احوالی که از وی آشکار می‌شود مگر وقتی که خداوند لباسِ عمل را بر وی می‌پوشاند که در این صورت وی را اختیاری نیست تا بخاطر علاقه به نهان کردن، احوالش را بپوشاند. این بدان سبب است که گاه مرید بر اثر احوالِ والا، نامبردار می‌شود و مجاهدت‌های گرانقدری چون کثرت روزه و نماز و ترک شهوات و کمیِ خواب در شب‌های تاریک و ترک دنیا برایش دست می‌دهد و زهد و ورع خود را ظاهر می‌کند اما [ناگاه] زمان سستی سر می‌رسد و وی از آن احوال والا جدا شود- همچنانکه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم فرمودند: «برای هر عالمی دوران پر نشاطی است اما هر دوران پر نشاطی نیز گرفتار سستی می‌گردد» و بر اثرِ این دوران سستی، مرید تلاش می‌کند که با همان اوصاف سابق از وی یاد شود [و کسی به فترتش واقف نگردد] و لذا تظاهر به روزه می‌کند درحالیکه در خفا غذا می‌خورد و در مورد بهره‌مندی از لذات، پنهان کاری می‌کند و اکراه دارد که مردم از بازگشت و انقطاعش [از آن حالات عالی] مطلع شوند و دوست ندارد که به چشم فردی که گرفتار فترت و بازگشت و انقطاع از آن احوال عالی شده به وی نگریسته شود، چنین مریدی از آن احوال والا شروع می‌کند و [کارش بدانجا می‌رسد که] نهانی و در جاهای ناشناخته مثل کوچه‌ها و خیابان‌ها و رواق‌های دور غذا می‌خورد و در ازای مقبولیت یافتن نزد خلق، رویگردانی نهانی‌اش از دنیا را رها می‌کند و برای جلب نظر مردم تلاش می‌کند و به زهد و ورع و کم‌میلی به دخالت [در امور دنیوی] تظاهر می‌کند و در این وقت دیگر حالتش به حالت

کسانی که در حال مجاهده هستند نمی‌ماند زیرا اخلاص را از همه نظر ترک کرده است؛ چنین کسی صدق در اعمالش را از دست داده است و این صدق همان عاملی است که وی را به حق رسانده بود و کسی که اوقاتش با عبادت و تقرب نزد خداوند و کم‌توجهی به خلق آبادان شده بود [کارش به جایی رسیده که] رعایت نظر خلق، قبلهٔ دلش شده و [دائماً] نگران است که مبادا مردم از احوالش به هنگام خوردن و آشامیدن و بهره‌مندی پنهانی از دنیا و در جاهای دور و رهگذرها و در شب‌های تاریک مطلع شوند، و بالله التوفیق.

فصل

سپس مرید صادق باید در مورد اظهار ریاست پیش از رسیدن زمان و وقتِ آن مراقب باشد زیرا آفاتی در پی خواهد داشت که منجر به جدایی وی از خداوند می‌شود؛ وی در حالی که ادعا می‌کند که به سوی خدا دعوت می‌کند، در حالِ گسستن از اوست. از جملهٔ این آفات یکی این است که قلبش به [رعایت حال] هم‌نشینانش مشغول می‌شود و اندیشه‌اش این می‌شود که چگونه نزد ایشان مقبول شود و شدیداً از اینکه هم‌نشینانش از وی جدا شوند و به دیگری بپیوندد غمگین می‌شود و نسبت به این مصاحبِ جداشده و آن فردِ مقصود [که مصاحبِ او را جذب کرده] دچار حقد و بدخواهی و نفرت می‌گردد. از زاذان نقل شده که گفته است: «با امیرالمومنین علی ابن ابی طالب رضی الله عنه بودم و علی در حالیکه تازیانه‌ای در دست داشت وارد مسجد شد و با مردی مواجه شد که برای دیگران [از قرآن و پیامبر] سخن می‌گفت؛ علی رضی الله عنه وی را متوقف کرد و به او گفت: ناسخ و منسوخ را می‌شناسی؟ گفت: نه؛ گفت: فرائض را می‌دانی؟ گفت: نه؛ علی وی را تازیانه زد، من گفتم: سبحان الله! مردی را می‌زنی که ذکر خدا می‌کند؟ علی گفت: از رسول خدا صلی الله علیه و سلَّم شنیدم که می‌گفت: در آخرالزمان افرادی پدید می‌آیند که برای خلق سخن می‌گویند اما اگر یکی مجلس ایشان را ترک

کرد و به مجلسِ دیگری پیوست کینه‌اش را به دل می‌گیرد، اینان همان کسانی‌اند که خدا لعنتشان کرده و آنها را گنگ و چشمانشان را کور کرده است» روایت نقل شده چنین بود یا چیزی با این مضمون. خصلت [ناپسند] دیگر اینکه او[=مرید] دیگران را به کارهایی مکلف کند که خودش نکرده است [اما چنان وانمود کند که خود پیش از این آنها را به انجام رسانده] تا بدین وسیله به قلب آنها نزدیک شود و محبت دیگران را به خود جلب کند. خصلت [ناپسند] دیگر اینکه او تلاش کند که دانشمندان و حکیمان را با این تهمت که آنها دنیاطلب هستند پست و حقیر کند و به آنها آفات و تخلفاتی نسبت دهد که از چشم حاضران بیفتند تا خود را بدین کار بالا بکشد. خصلت[ناپسند] دیگر اینکه [مرید گمان کند که] او نزد دیگران منزلتی رفیع نمی‌یابد مگر با تنزل مرتبهٔ دانشمندان دیگر و [بدین منظور مشغول شود به] بدگویی کردن از آنها و مبرا کردن خود از ننگ و اوصاف ناپسند ایشان وهمهٔ اینها برای نمایاندن خود است. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه او از اوصاف أهل حقیقت سخن بگوید و به برخورداری از آنها وانمود کند درحالیکه نه بدانها علم دارد و نه در پی آنهاست تا اینگونه خود را نزد دیگران ثابت کند. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه با تصنع و به سودایِ رفعت منزلت به ملاقات دانشمندان و أهل حقیقت برود تا نزد دیگران ارج یابد. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه به حکایات أهل قصه[=مشایخ] و طول خدمتگزاری خود به آنها مباهات کند تا بزرگی خود را اظهار کند و به چشم دیگران [ارجمند] بیاید و حاضران منزلت و طول مصاحبت وی با آنها را بدانند و این‌ها همه برای خود نمایی است. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه آنچه از اوصاف پیشینیان و حکایات صالحین شنیده، به خود ببندد تا نفسش را منزلت بخشد. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه به وقتِ دستیابی به ریاست از یادگیری آنچه بدان احتیاج دارد رویگردان شود تا مبادا دیگران او را به‌عنوان فردی محتاجِ یادگیری ببینند و چنین بپندارند که او استحقاق آن را ندارد که استادِ مریدان باشد و همهٔ اینها برای عزیز کردن نفس

است. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه از لباس و جامهٔ مشایخ تقلید کند، با این ادعا که او نیز از نظایر و همانندان آنان است. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه تدبیری به کار گیرد تا از جملهٔ کسانی به حساب آید که در محافل، نامشان بر سر زبان هاست و با آنها هم‌قدم شود تا در چشم عوام و حتی برخی خواص چنان بیاید که او نیز از ایشان و یکی از آنهاست و همهٔ اینها به منظور خودنمایی است. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه نزد او از دانشمندِ ادیب یا حکیمِ دانایی سخن به میان نمی‌آید مگر اینکه وی گناهان و لغزش‌ها و خطاهایی که [به هر حال] بزرگان نیز از آنها بری نیستند به وی نسبت می‌دهد تا بدین وسیله خودنمایی کند. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه او بیش از هرکسی خطای متقدمان و لغزش‌های متاخران را بر اثر سوء نیت در خاطر نگه می‌دارد تا خود را بنمایاند. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه وقتی منافقی را بیابد به دقت به وی گوش می‌دهد تا مسائل پنهانیِ افراد منسوب به آنها[=گروه رقیب]را–از مسائل حقارت‌آمیز گرفته تا فسادها و کارهای ناشایستی که گناهکارانِ آنها مرتکب شده‌اند– کشف کند و آنگاه این فسادها را به همهٔ افراد گروه رقیب نسبت می‌دهد بی‌آنکه بین نیک و بد آنها تمایز قایل شود و تمامِ این کارها را برای آن انجام می‌دهد تا خود را تبرئه کند. و خصلت [ناپسند] دیگر اینکه او تمامِ اوقات شب و روزش را صرف اهتمام به مجالس و امور افرادی که نزدش می‌آیند و مراعات حال آنها و توجه به مریدان و تملق گفتن عامهٔ مردم می‌کند تا به واسطهٔ این کارها ریاست خودش را اثبات کند؛ مرید باید از همهٔ این خصلت‌ها حذر کند و بداند که در معرض این خطرها قرار دارد، و بالله التوفیق.

فصل

سپس مریدِ صادق باید مراقب نفسش باشید و حتی اگر در معرفت و علم به خداوند عزوجل به حد نهایت رسیده باشد، باز هم نباید از نفس غفلت

کند؛ چه پیامبر صلی الله علیه و سلَّم با وجود برخورداری از [مقام] نبوت نیز مراقب نفس بود و از آن به خدا پناه می‌برد و می‌فرمود: «خدایا از شرِ نفسم به تو پناه می‌برم» و می‌فرمود: «خدایا مرا به اندازهٔ چشم‌به‌هم‌زدنی به نفسم وامگذار و نه کمتر از آن و نه بیشتر از آن؛ اگر تو مرا به نفسم واگذاری مرا به چیزی هلاک کننده و شرم‌آور واگذار کرده‌ای». پس در همه‌حال از نفس بر حذر باش و بدان که نفس طالب آن است که با اوامر خداوند تبارک و تعالی مخالفت کند و در پی آن است که در [محقق کردن] خواسته‌هایش همتای خداوند باشد؛ نفس [دقیقاً] در همهٔ آن چیزهایی که خداوند از سرِ استحقاق از بندگانش طلب کرده، طمع کرده بلکه همهٔ آنها را مطالبه می‌کند؛ خداوند عزوجل از بندگانش خواسته او را ثنا و مدح گویند، نفس نیز طالب [شنیدن مدح و ثنا] است؛ خداوند از بندگانش خواسته که نامِ او بین عوام و خواص مردم یاد شود، نفس نیز طالب آن است. خداوند از بندگانش خواسته که او را شکر کنند و وی را قصد کنند، نفس نیز طالب آن است؛ خداوند از بندگانش خواسته که او را از سرِ ذلت و خواری معبود خود بدانند، نفس نیز چنین می‌خواهد؛ خداوند از بندگانش خواسته که با امرش مخالفت نکنند و با وفاداری برای او قیام کنند، نفس نیز خواستار این است؛ خداوند از بندگانش خواسته که او را از بدی منزه بدانند، نفس نیز همین را خواستار است؛ خداوند از بندگان خواسته که او را به جود و کرم وصف کنند، نفس نیز همین را می‌خواهد؛ خداوند از بندگانش طلب کرده که تنها از او بترسند و تنها به او رغبت کنند، نفس نیز همین را می‌خواهد؛ خواسته‌های نفس را [پیش از این] در مساله‌ای جداگانه شرح داده‌ام و در آنجا به حد کفایت از خوی و خصلت نفس یاد کرده‌ام؛ و بالله التوفیق.

فصل

و مرید صادق باید بر حذر باشد و کسب و حرفهٔ خود را ترک نکند و در

طلب عوائد معاش شایسته باشد و به وجهی که در مسائل پیشین ذکر شد [اگر نتوانست کسب کند] از دیگران قبول کند تا دینش حفظ شود و مذهبش پاک بماند و در ترک کردن کسب و کار از أهل زمانه‌اش –کسانی که ادعای توکل و فقر دارند اما پیش از آن در شناخت نفس و خوی و خصلت آن استوار نشده‌اند و به ریاضات و مجاهدات نپرداخته‌اند و خود را به سخت‌گیری‌ها و عباداتی چون کاستن از خوراک و به کار بستن قناعت در پوشاک ملزم نکرده‌اند– تقلید نکند. این بدان دلیل است که اگر پیشاپیش نفس را به کم‌خواهی از سرِ زهد و ورع و ترک عادت‌ها و مألوفات و چشم‌پوشی از طیبات و شهوات عادت نداده باشد، هنگامی‌که نفس آنچه از خواسته‌هایش که بدان‌ها عادت کرده نیابد، طمع‌کار می‌شود و همچون سگان گرفتار حرص می‌شود و به خواهش و تکلف روی می‌آرد تا جایی که کارش به ولگردی در بازارها و راه‌ها می‌کشد و با نمایش حال خود و اظهار فقر و فاقه و به طمع به چنگ آوردن مال مردم روانهٔ شهرها می‌شود. پس کسب و کار، مشروط به آنکه بدان وجهی صورت گیرد که در کلام پیامبر صلی الله علیه و سلَّم مباح دانسته شده، متضمنِ خیر مرید است؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از طمع منع نمود و از آن به خدا پناه بردند. علما و فقها و حکمای أهل قصه[= طایفهٔ مشایخ] بسیار در باب فسادِ طمع و طلب و گدایی– بویژه در مورد افراد این طایفه[=صوفیه]– سخن گفته‌اند پیامبر صلی الله علیه و سلَّم نیز فرمود: «اگر یکی از شما ریسمانی برگیرد و با آن هیزم حمل کند برای او بهتر از آن است که از مردم گدایی کند و مردم نیز به او بدهند یا ندهند» پس راه احتیاط آمیز برای مراقبت از نفس آن است که مرید در طلب [کسب مال] صحیح باشد زیرا او بر اصلاح کسب و کارش توانا است؛ [اما اگر کسب میسر نشد] می‌تواند از دیگران [مال] قبول کند هرچند باید بکوشد تا می‌تواند [مال] از مردی که نسبت به دخل و خرجش لاابالی است و مراقب پاکی و حلال بودن اموالش نیست قبول نکند؛ مرید اگر نهایت تلاش خود را در طلب [مال] حلال کرد ولی [کسب مال]

برایش میسر نشد، ناچار گرفتار مال شبهه‌ناک[که از دیگران قبول می‌کند] می‌شود که این مال از حرام بهتر است ولی چنین مریدی نزد خدا از جملهٔ فریب‌خوردگان به حساب می‌آید.اما کسی که کسب و کارش را ترک می‌کند و اهمیت نمی‌دهد در کجا هلاک شود و از چه کسی مال قبول می‌کند از زمرهٔ افرادی است که دیروزش از امروز بهتر است و برای امثال او در زیر زمین بودن[=مردن] بهتر از روی آن بودن است؛ بیشتر خواص از [شیوخ] سرشناس که به تصفیهٔ قلب اشتغال داشتند مانند ابراهیم بن ادهم و غیره و سفیان ثوری و سلیمان الخوّاص و وهیب بن الورد و یوسف بن اسباط و ابومعاویه الاسود و داود طائی و حذیفه المرعشی و فضیل بن عیاض و پسرش و ابوعبدالرحمان العمری رحمة الله علیهم، خود را عادت به اظهار طلب و تکلف نداده بودند؛ و اگر لفظ «تارک[۱]» را در کلام آنها یافتی، بدان که مراد امامان از این لفظ، ترک کسب و کار و تکیه بر طلب و تکلف نبوده است، و بالله التوفیق.

فصل

و مرید به موجبِ صدقش باید مراقب باشد و از هم‌نشینی با صاحب‌نظرانِ زمانه که با عنوان [اهل] مجادله شناخته می‌شوند پرهیز کند زیرا پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم به شدت از مجادله نهی فرمود و گفت مراء[=جدل] بر سرِ قرآن کفر است چرا که اول‌چیزی که از جدل متولد می‌شود عداوت [بین دو طرف جدل] است؛ أهل جدل به‌منظور کسب ریاست به مجادله برمی‌خیزند و این در بینشان فتنه و کینه و دشمنی بوجود می‌آورد. فصاحت [اهل جدل] در مناظرات و گفته‌هایشان و اظهار مهارت و صدای بلند و چیره شدن بر دشمنان تو را نترساند؛ چرا که همهٔ این‌ها نه برای خیرخواهی بلکه در

---

۱. عبارتی به‌عنوان جملهٔ معترضه به کار رفته که معنای آن دانسته نشد: «منذ سنیات یسیرة، و الا فقولهم: الترک و هو التارک»

طلب ریاست و رسیدن به دنیای دنی و رسیدن به جایگاه بلند نـزد سـلاطین و [امیران] ستمکار است؛ أهل جدل [بـه واسـطهٔ ایـن فـن] مـی‌کوشـند کـه بـه خواسته‌هایشان دست یابند که از آن جمله یافتنِ منزلـت نـزد آنها[=سـلاطین] است و برای [رضایت خاطر سلاطین]حاضرند حق را ترک کنند و از آنچه [در باطن] بدان مخـالف‌انـد چشـم بپوشـند و گسـتاخی‌هـای آنها=[سـلاطین] را تحسین کنند؛ پیامبر صلی الله علیه و سلَّم از قولِ جبرییـل و جبرییـل از قـول خداوند عزوجل گفته‌است: «ای محمد امتت را بشارت بده به [یافتن] رفعـت و بلندی و منزلت و یقین در دین [؛ نه در دنیا]» پس هرکس با عمـلِ آخـرت، بخواهد دنیا را به چنگ آورد در آخرت بی‌نصیب می‌ماند و پیـامبر صـلی اللـه علیه و سلَّم فرموده است: «هرکس علم را طلب کنـد تـا بـدان بـا دانشـمندان منازعه کند یا با سفیهان مجادله کند و یا اینکه توجه مردم را به خود جلب کند، جایش آتش است» و بالله التوفیق.

فصل

سپس مرید باید مراقب باشد و در نهان و آشکار از گوش دادن بـه سـخنان هم‌کیشانی که به بدعت و ضلالت شـناخته مـی‌شـوند پرهیـز کنـد زیـرا آنهـا گروهی‌اند که پیامبر خدا صلی الله علیه و سلَّم امت خود را از آنهـا بـر حـذر داشت و به خاطر وجود آنها نگرانِ امت بود؛ پیـامبر صـلی اللـه علیـه و سـلَّم فرمود: «از بیشترین چیزی که بر امتم می‌ترسم منـافقِ خـوش‌زبـان اسـت کـه گفته‌اش حق، اما عملـش ظلـم اسـت» و همچنـین فرمـود:«در آخـر الزمـان جوانانی نادان پیدا می‌شوند که بهتر از همهٔ خلق سخن می‌گویند [امـا] ماننـد تیری که از کمان خارج می‌شود، از اسلام خارج می‌شـوند» و بـاقی حـدیث. پس راه اصحاب حدیث را برگزین و [سخن را] از فقهای ایشان بشنو و به آثـار ایشان بپرداز و در جستجو و طلب مذهب ایشـان بـاش و بکـوش تـا صـحت روایات ایشان را کشف کنی و بر احوالشان واقف شوی. و البته در بین آنها نیز

از افراد مفتون و فریب‌خورده‌شان بپرهیز زیرا آنها[=اهل حدیث] گروه‌هـی انـد که اگر راهِ پیشینیان خود را بروند عزیزترین مردم و اگر از راه آنها عدول کردنـد فتنه‌انگیز ترینِ مردم‌اند و امت و شریعت را به نابودی می‌کشند. پس معیار تـو [برای شناخت آنها] اوصاف متقدمان باشد پس هر که را دیدی که علم آنهـا[= متقدمان] را به کار می‌برد و از مذهب آنها پیروی می‌کند و از دربـار سـلاطین کراهت دارد و بهره‌مندی از حطام ناچیزی که در اختیار آنهاست ترک می‌کند و از طمع در آن رویگردان است و شب و روز بر دربار آنها تردد نمی‌کند و از آنها فراری است و طالبِ قرب آنها نیست و تلاش بـرای شناسـاندن خـود بـه آنهـا نمی‌کند به وی تمسک جو. شـنیده ام [روزی] معتضـد خواسـت کـه بِشـربن حارث حافی را ببیند؛ این را به بشر گفتند پس بشـر گفـت کـه بـه او بگوییـد: سوگند به خدایی که جز او خدایی نیست اگر به من بگویند که تو بارِ دیگر مـرا یاد کردی از همسایگی تو–از بغداد– خارج می‌شوم؛ ایـن سـخن بـه معتضـد رسید و گفت: به او بگویید: دیگر تو را یاد نمی‌کنم؛ یا چیزی با این مضـمون، و بالله التوفیق.

کتاب الاقتصاد تألیف شیخ، امام، علامه، پیشروِ ارباب حقیقت، معـروف به شیخ کبیر، ابوعبدالله محمدبن خفیف قدس الله روحه و رضـی عنـه پایـان یافت. و حمد، مخصوص خداوند رب العـالمین اسـت و او بـرای مـن کـافی است و بهترین تکیه‌گاه است و درود خدا بر سرور ما محمد و خاندانش؛ و در برابر او به خوبی تسلیم شوید؛ به دستِ کاتب نجیب بن امـام الـدین ایجـی ـ خدا آنها را بیامرزاد ـ در جـامع عتیـق شـیراز، آخـر جمـادی الاولـی، [سـال] هشتصد و هشتاد.

ترجمهٔ وصیت ابن خفیف[1]

بسم الله الرحمن الرحیم و به نستعین

این ترجمهٔ مختصرست در بیست و پنج خصلت و خاتمه؛ و وصیتی که حضرت سلطان المشایخ المحققین، برهان قواعد المدققین، قطب الاولیاء الناسکین، الهادی إلی طریق حق الیقین، آیت من آیات الله، الملک اللطیف الشیخ ابو عبدالله محمد الخفیف قدس الله سرّه رقم فرموده که مرید قاصد صادق چون رعایت و حفظ این برخود لازم و واجب داند امید که از مضیق نفس و طبیعت در بساط عبودیت ثابت و راسخ گردد بفضل الله و حسن توفیقه؛ و این نسخه بر بیست و پنج خصلت وضع شده.

خصلت أول ندامت است از روزگاری که در غفلت ضایع کرده یا در مناهی و ملاهی صرف کرده و سعی است در اداء حقوق الله تعالی از تدارک فوات فرایض و حقوق عباد از ردّ مظالم؛ خصلت دوم آموختن علم فرض وقت است که در عمل بدان محتاج است، تا علم زکات بر کس که زکات برو واجب

---

۱. این رساله را مرحوم آنماری شیمل در ذیل کتاب سیرت شیخ کبیر تالیف ابوالحسن دیلمی منتشر کرده است. نگاه کنید به: دیلمی، ابوالحسن(۱۳۶۳). سیرت شیخ کبیر ابو عبدالله بن خفیف شیرازی، ترجمه یحیی بن جنید شیرازی، تصحیح آنماری شیمل، به کوشش توفیق سبحانی، تهران: انتشارات بابک.

ترجمه‌ای که مشاهده می‌شود، ترجمه‌ای کهن است و مترجم آن ناشناس است.

نیست واجب نباشذ؛ خصلت سوم رعایت سه امر است: یکی خاموشی جهتِ تداوی حدیث نفس و دوم خلوت جهتِ جمع حواس سیوم مداومت ذکر جهتِ تصفیهٔ قلب؛ خصلت چهارم معرفت حق الله تعالی در قیام و قعود و جمیع احوال تا برعایت آداب آن مشغول تواند بود؛ خصلت پنجم باید که در هر امری که روی نماید بی‌مشورت شروع نکند تا از مفاسد محفوظ ماند؛ خصلت ششم طلب استادی یا برادری دینی است تا ببرکت او از مخاطرات ایمن ماند[1]؛ خصلت هفتم باید که دل و زبان باهم موافق باشد تا در ورطهٔ اختلاف نیفتد و باید که فکر دنیا و اقبال و ادبار آن در خاطرش خطور نکند تا لذت سویدا قلب رحلت ننماید؛ خصلت هشتم ملازمت صدق است در جمیع احوال و اقوال، شیخ شبلی قدس الله سرّه می‌فرماید که صدق پیوستن با برادران و یکتایی دل با حضرت رحمان است؛ خصلت نهم محافظت بطن و زبانست که مرید چون بمحبت شهوت مبتلا شوذ روزگارش بغفلت و عطالت گذرد و از وصول بمطلوب محروم ماند و چون بکثرت کلام میل کند دلش بذکر موانست نگیرد و بمراقبه نپردازد که معصیة اللسان اکثر من سائر المعاصی؛ خصلت دهم استعمال ادبست بظاهر جوارح و بباطن در تزکیّ و تصفیهٔ دل و تجلیهٔ روح؛ خصلت یازدهم رعایت سه امر است: یکی آنکه نخورد تا بغایت گرسنگی شود که قطع این مسافت بقطع غذاست دوم آنکه نیاشامد تا بنهایت تشنگی رسد سیوم بخواب میل نکند تا غالب نشود تا از غلبهٔ خواب محفوظ ماند تا از شبهات حقانی و مخاطبات ربانی با بهره باشد؛ خصلت دوازدهم اجتناب از محادثه و مجالست عورات است بتخصیص در موضع شهوت تا از تصرفات نفس و شیطان ایمن باشد؛ خصلت سیزدهم باید که نظر در راه از پشت پای بر حجرات مسلمانان نیندازد

---

۱. این خصلت در متن عربی وصیت موجود نیست.

که از حضرت رسول صلی الله علیه و سلّم مرویست که «انَّ من نظر فی حجرات المسلمین فهو منافق»؛ خصلت چهاردهم دوام طهارت است بتخصیص در زمان اکل و نوم که با طهارت فواید است و اثر آن ارباب طهارت ادراک کنند؛ خصلت پانزدهم اجتناب از مجالست أهل غفلتست مگر در وقت ضرورت برخیزد تا غفلت سرایت نکند؛ خصلت شانزدهم اجتناب از استماع کلام دنیاست که اکثر فساد و تفرقهٔ دل ازین معنی ظاهر شود و خوف آن باشد که بمحبت دنیا مبتلا شود و هلاک گردد؛ خصلت هفدهم باید که اجتناب کند از خانهٔ که در او عروسی باشد تا از راه باز نماند و بوسوسهٔ نکاح مبتلا نشود[1]؛ خصلت هژدهم از مثل این الفاظ محترز باشد که گر چنین کردمی چنین بودی و اگر چنین نکردمی چنین نبودی که این از قبیل کلام منافقانست باید که چنین گوید که آنچه خواست کرد و آنچه خواهد کند و هر چه تقدیر رفته باشد حسبنا الله و نعم الوکیل؛ خصلت نوازدهم باید که با قدریان و معتزّلیان و رافضیان و مبتدعیان البته مناظره نکنند که تغییر اعتقاد ایشان ممکن نباشد و ناگاه ناقص عقلی، بواسطهٔ این مناظره در سر رشتهٔ ضلالت آویزد؛ خصلت بیستم ترک عتاب و خطاب است با الله تعالی از ناهمواری خلایق و بمخالفت و معاندت خلایق موانست نمودن تا طبع بمحاسن اخلاق کریمه معتاد گردد و از عرضه سخط و غیره محصون ماند؛ خصلت بیست یکم اشتغال نفس است بامری که خیر آن زیادت باو عائد شود از شغل بغیر آن تا زودتر بنهایت مقعد صدق رسد و بعلمی مطلع شود که غیر را اطلاع نباشد؛ خصلت بیست دوم اجتناب از کبر است و کبر، نکوهش و سبک داشتن قدر خلایق باشد و این از امراض قلب است و عیبی بس عظیمست و خوف آن باشد که این صفت موجب سخط ابد گردد؛ خصلت

۱. این خصلت در متن عربی وصیت موجود نیست.

بیست سیوم اجتناب از عُجب است و علامت عُجب آنست که بعقل و رای هیچکس سر در نیاورد و صاحب عُجب بسیار در غلط افتد؛ خصلت بیست وچهارم اجتناب از حسد است و علامت حسد آنست که نعمتی که الله تعالی بر بنده فضل فرموده غبطت بری و منتظر زوال آن باشی و این صفت همواره شخص را در عذاب الیم دارد؛ خصلت بیست و پنجم آنست که بهیچ شغل شروع ننماید که دل او از ذکر باز ماند و در طلب، سست و بی‌ذوق گردد و از راه باز ماند و باید که سعی کند تا در مقعد صدق عند ملیک مقتدر راه یابد تا هر بلا و مشقت که بدو روی آرد سهل و آسان نماید.

فایده در بیان آنکه چهار چیز مرید را ضروریست: أول چهار پایی حاذق که در قطع این مسافت و سرعت سیر ماهر باشد دوم خانهٔ فراخ که درو سکونت و آرام گیرد سیوم جامهٔ حسن که [به] نظر خوش نماید [چهارم چراغ افروخته ....]. [اول] چهار پای صاحب مهارت، صبر است که بتوجه در عبادت و اجتناب از معصیت و تحمل در نزول بلا بدان سواری کند دوم خانهٔ فراخ، عقلست که بعقل از مضیق وسوسهٔ شیطان و مهلکهٔ مخالفت نفس ایمن توان بود سیوم جامهٔ حسن، حیا است که بلباس حیا از افعال و اقوال رکیک احتراز توان کرد و نفس را باداب روحانیت متأدَّب توان گردانید چهارم چراغ افروخته، علم نافع است که در طریق استقامت مرید را بنور هدایت رساند و بسرچشمهٔ توفیق ارشاد نماید.

دیگر بدانکه وصیت در محافظت شش چیزست: أول محافظت عهد که مخالفت عهد نشاید که فرومایگی باشد دوم وفا بوعده که وعدهٔ دروغ امارت نفاق است سیوم ملازمت درگاه حق بمجاهدات و ریاضات و تحمل بلا و مخالفات تا مستعد قبول صدق و قابل فیض و اسرار الهی گردد چهارم ملازمت ذکر الله تعالی در کل حال تا دل منجلی و منشرح شود و از وحشت غیریت خلاص یابد پنجم پنهان داشتن فقر است ظاهراً و باطناً از نظر نفس و مدح و قدر او بر عمل محفوظ ماند ششم نشستن از برای حق بگفتن اسرار

حق در طریق سلوک حق تا واصل شود بمعونت و هدایت حق بحضرت حق؛ ان شاء الله تعالی. و حسبناالله و نعم الوکیل نعم المولی و نعم النصیر و صلی الله علی خیر خلقه محمد و آله الطیبین الطاهرین و اصحابه .... و سلّم تسلیماً کثیرا و الحمدلله وحده. تم.

نمایـه
(آیات قرآن، احادیث، نام اشخاص، مکان‌های جغرافیایی)

الف) آیات قرآن

ب) احادیث

ج) اشخاص

د) اماکن